

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي  
جامعة قاصدي مرباح - ورقلة  
كلية الآداب و اللغات  
قسم اللغة و الأدب العربي



## المعتقد في الشعر الجاهلي

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم تخصص أدب قديم

إشراف الأستاذ الدكتور:  
أحمد موساوي

إعداد الطالبة:  
عباسية بن سعيد

السنة الجامعية: 2015 - 2016م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي  
جامعة قاصدي مرباح - ورقلة  
كلية الآداب و اللغات  
قسم اللغة و الأدب العربي



## المعتقد في الشعر الجاهلي

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم تخصص أدب قديم

إعداد الطالبة:

عباسية بن سعيد

لجنة المناقشة:

مشرفا	المركز الجامعي النعامة	أ.د أحمد موساوي
رئيسا ومقررا	جامعة ورقلة	أ.د العيد جلولي
عضوا مناقشا	جامعة ورقلة	أ.د أحمد قيطون
عضوا مناقشا	جامعة الأغواط	أ.د بوداود وذناني
عضوا مناقشا	جامعة الجلفة	أ.د لخضر حشلافي
عضوا مناقشا	جامعة مستغانم	أ.د محمد سعدي

السنة الجامعية: 2015م - 2016م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون  
وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون].  
سورة التوبة الآية: 104



# إهداء

أهدي خلاصة هذا الجهد إلى عائلتي

وخاصة أمي.

# مقدمة

## مقدمة

احتلت المعتقدات والعبادات والطقوس الدينية حيزًا كبيرًا ومهمًا في حياة الجماعات الإنسانية منذ القدم. فالإرث المعتقداتي منحدر من أصول أسطورية موحدة فيها تشابه عميق و إن اختلف في صورته إلا أنه بقي محافظًا على رموزه.

أمّا عن اختيارنا لموضوع المعتقد عند العرب وتحديدنا لفترة ما قبل الإسلام جعلنا نتساءل : ماهو الجديد الذي يمكن أن تضيفه هذه الدراسة إلى ما هو موجود من قبل ، و بعد العمل الكبير الذي قام به جواد علي في كتابه "المفصل في تاريخ العرب " و الذي لا ننكر فضله و استعانتنا به في هذا العمل، و ما جاء به الدكتور محمود سليم الحوت في كتابه "في طريق الميثولوجيا عند العرب " و الذي يعتبر بحثًا مسهبًا في المعتقدات و الأساطير العربية قبل الإسلام. و لا ننسى ذكر عمل الأب جرجس داود " أديان العرب قبل الإسلام ". لكن حجّتنا هي أنّ هذه الدراسة جاءت بعد فارق زمني عن ما سبقها بما يقارب أو يتجاوز الربع قرن من الزمن. و خلال هذه الفترة ظهرت دراسات جديدة فيما يخصّ علمي الإثنولوجيا و علم الآثار و من أهمّ الأعمال التي راجعتها رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآثار موسومة بـ " القرابين و النذور في الديانة اليمنية القديمة " للطالب هزاع محمد عبد الله الحمادي. فقد دلت بعض الحفريات الأثرية و المخطوطات التي اكتشفت عن وجود معابد و نقوش كشفت عن بعض خفايا السلوك البشري خاصة على صعيد المعتقد و أنماط التديّن و التعبّد. على أنّنا لا ندّعي أنّ هذه الدراسة ستأتي بالكثير والجديد بل قد تقدّم قراءة جديدة للنصوص علنا

نجد في ثناياها أفكارا لم تطرح من قبل . خاصة و أننا من خلال قراءتنا في هذا الموضوع اكتشفنا أنّ في ثنايا كل دراسة أو كتاب إلّا و هناك خلفية فكرية و دينية متحكّمة في توجّه كلّ دارس لموضوع المعتقد الدينيّ و هذا ما دفعنا إلى رمي دلوننا في هذا المجال و الذي نراه مهما لدرجة أنّه يستحقّ البحث فيه.

و اخترنا كعنوان لدراستنا " المعتقد في الشّعْر الجاهلي " بحيث رأينا أن لا نميّز بين الدين و المعتقد عند العرب قبل الإسلام ، فالمعتقد الديني يشمل كل الديانات السماوية و الوضعية إضافة إلى عقائد إيمانية أخرى و التي تفرض التصديق بها بعيدا عن عقلنة قد يجلّ انتهاكها، فتزول قدسيّتها لأنّ الدين الموحى به إذا تمكّن من ذهنية شعب يصبح طريقة تفكير و بالتّالي يصبح معتقدا و من هذا المنحى يندمج الدين مع المعتقد.

فمعظم الشعوب لا تقتصر إلى إرث معتقداتي و العرب مثل غيرهم من الأمم تأثرت بالظواهر الطبيعية الكامنة في البيئة الصحراوية ، ممّا دفعهم إلى الاعتقاد في وجود كائنات خفية لها دور في تغيير مجريات حياتهم ، فحاولوا استمالتها واسترضاءها بطقوس و عبادات و نسجوا حولها أساطير و خرافات . و هذا الإرث الفكري بقي راسخا في اللاشعور الجمعي ليفلت في الفنّ الشعري ، فالشّعْر له صلة عميقة بمخزون الذاكرة الجمعية. و التجاور بين الأنظمة اللغوية و الأنظمة العقائدية للحياة الجاهلية أثرت في هذا الشعر فأمدّته بمخزون من المفاهيم الدينية و الطقوسية. و ذلك ما جعل اعتمادنا لدراسة معتقدات العرب قبل الإسلام على الشّعْر الجاهلي أمرا ضروريا بلعتبر أنّ الشعر كان لسان قومه و مرآتهم التي تعكس حياتهم ،

و أصبح مصدرا لاستتباط الأفكار الإيمانية و المعتقدات الأسطورية التي تميّز بها المجتمع العربي. فالشعر يشكّل اللّون الأدبي الغالب و لعلّه اللّون الوحيد الذي تبقى لنا بشكل واضح و مباشر من ألوان الأدب العربي في الفترة السابقة لظهور الإسلام. و السّبب في ذلك عزوف العرب عن التدوين، الذي كان بإمكانه أن يثبت حقائق تاريخية و تراثا فكريا وأخبارا اعتقادية دينية. و يفسّر لنا الطقوس الشعائرية التي كانت سائدة في المجتمع العربي في فترة تعتبر من أشدّ الفترات ظلما في حياة الجزيرة . تلك الفترة الم تّفق على تسميتها بالعصر الجاهلي، على اعتبار أنّ هذه التسمية أطلقت على مرحلة سابقة عن الإسلام بنحو قرن و نصف القرن من الزّمان، كما هو معروف في تاريخ الأدب العربي. فالسّبب في التسمية كان دينيا وليس لأنّ المجتمع كان يجمع مظاهر العنف و الوحشية أو ضيقا في الأفق التأملي و الفلسفي أو لأنّ العربي في هذه الفترة اتّسم بالعصبية في المزاج أو أنّه كان محدود الخيال و الذكاء كما عرّفه بعض الباحثين. فمن خلال تفحصنا لهذا الشعر و تمحصنا لما جاء فيه من أخبار لمسنا قدرات الفكر العربي الخلاقة ، التي تواصلت لأجيال و صنعت حضارات ذات مجد و قوّة، منها ما بادت و منها من أخبرت بها آثارها من معابد و قصور كحضارة السبئيين و المعينيين و غيرها.

فالشعر كان له الفضل في بقاء الكثير من الأخبار المتعلّقة بالجاهلية، و لولاه لما كنّا لنعرف من أمرها شيئا . كما كان سببا في تخليد بعض الأحداث لسهولة حفظه و لقيام راويه بقصّ المناسبة التي قيل فيها. رغم أنّ الدارس لهذه المادّة التي يحصل عليها من المصادر المتاحة



له سواء أكانت هذه المادّة تتعلّق بأحداث أو مواقف أو اتجاهات ، فهو يضع في حسابه أنّ طبيعة الشّعْر و التي تتدخّل فيها عوامل العاطفة و الانفعال و التّصور و الخيال ، هي متناقضة و متعارضة من شاعر إلى آخر. بالإضافة إلى ما يؤخذ على الشّعْر الجاهلي أنّه لا يسهب في الحديث عن التاريخ السياسي للقبائل في شبه الجزيرة العربية بقدر ما ورد فيه عن الأحوال الدينيّة والاجتماعية. كما يؤخذ أيضا عليه أنّ ما وصلنا من الشّعْر الجاهلي لا يتخطّى بدايات القرن السادس الميلادي ، بالإضافة إلى ما لحق بعض قصائد الشّعْر الجاهلي من زيادة أو نقصان. فلحتمال التغيير أو الزيادة في الأبيات أو في القصائد يظلّ أمرا محتملا ، رغم ذلك فقد حفظ لنا الشّعْر الجاهلي صورا من حياة العرب قبل الإسلام خاصة الأحوال الدينية و الاجتماعية. و هذا العنصر هو الذي دفعنا إلى الاعتماد على الشّعْر كمدوّنة أساسية لتحليل المعتقدات التي كانت سائدة في هذه البيئة و التي تأثرت بمؤثرات خارجية من الأمم و الشعوب المجاورة لها ، دفعا لنظرية القائلين بعزلة العرب و بعدم اتّصالهم بالخارج.

و من أشهر شعراء الجاهلية الذين استفدنا من شعرهم في هذا الموضوع أصحاب المعلّقات كامرئ القيس الكندي ، طرفة بن العبد البكري و زهير بن أبي سلمى و لبيد بن ربيعة العامري و عمر بن كلثوم التّغليبي و عنتر بن شدّاد العبسي و الحارث بن حلّ زة البكري، بالإضافة إلى استعانتنا بدواوين لشعراء معروفين كالأعشى، أمية بن أبي الصلت ، السموأل،

الهذليين و ورقة بن نوفل و حسان بن ثابت. و بعض المقطوعات و الأبيات المتفرقة لشعراء مجهولين أو مغمورين.

أمّا ما يخصّ أديان الحضارات العربية الجنوبية البائدة أو العاربة فلستمدّيناها من النصوص القديمة بلهجاتها المتعدّدة من معينيّة و سبئية و ثمودية و لحيانية و التي تمكّن بعض الدارسين من ترجمتها إلى العربية الحديثة. غير أنّنا لا نجد نصا واحدا يشمل نصوص صلوات أو أدعية دينية، فمعظمها أمور شخصية مكتوبة على القبور أو آثار قصور أو دور عبادة، بفضلها عرفنا أسماء آلهة القبائل العربية القديمة. كما استعنا ببعض ما جاء في الكتابات و النقوش الآشورية و اليونانية التي حوت بعض أخبار العرب القدماء و أسماء أصنامهم. إضافة لما جاء به القرآن الكريم من إشارات للديانات السماوية التي دخلت بلاد العرب و أسماء الأوثان التي عبدها. و بفضل إقرار الإسلام لبعض أحكام و شعائر الجاهليين ، استطعنا الوقوف على جانب من أحكامهم و شعائرهم . فعرفنا بذلك بعض شعائر الحجّ رغم التغييرات التي طرأت عليها.

كما تعتبر كتب السيرة النبوية الشريفة و المغازي من المصادر المساعدة التي يستطيع الباحث الاعتماد عليها في دراسة تاريخ العرب ، لأنّ كتابها قد عرضوا لأخبار الجاهلية القريبة من الإسلام،بالإضافة لاشتمالها على الكثير من الشعر الجاهلي و لعلّ أشهرها كتاب السيرة النبوية لابن هشام. و من كتب التاريخ و الجغرافيا التي أخذنا عنها أهمّها على سبيل الذكر:كتاب التيجان في ملوك حمير لوهب بن منبه و كتابي "الإكليل" و "صفة جزيرة

العرب" للهمذاني ، و "معجم البلدان" لياقوت الحموي ، و "الكامل في التاريخ" لابن الاثير  
و "مروج الذهب" للمسعودي و أهمّ مصدر هو كتاب "الأصنام" لهشام بن السائب المعروف  
بابن الكلبي ، والذي خصّصه لدراسة الآلهة العربية القديمة و أسماءها و بيوت العبادة  
المعظّمة عند العرب كالكعبة و كعبة نجران و كذلك الطقوس التي كانوا يقومون بها.  
كما اعتمدنا في بحثنا على المصادر الأثرية التي تعتبر من الأعمال الحديثة لبعض  
الباحثين الأوروبيين و العرب بعد قيامهم برحلات إلى اليمن و حضرموت ، لاستكشاف  
النقوش المدفونة في الخرابات و القبور و المعابد . حيث ترجع أهمية المصادر الأثرية في  
كونها التعبير المادي الملموس الذي خلفه لنا الإنسان في الجزيرة العربية ، وأهمّها كتاب "25  
عاما حفريات و أبحاث في اليمن 1978 - 2003" و الذي أُصدر من قبل د. إريس جريلاخ  
عن المعهد الألماني قسم الشرق مكتبة صنعاء.  
و بخصوص المنهج فقد ارتأينا أن يشمل على وجهين كبيرين متكاملين الأول تاريخي لأنّه  
يفترض منا تحديد الزمن و الجغرافيا للأمة التي نتحدّث عن معتقداته ا و أديانه ا. فاللحظة  
التاريخية مهمّة في تحديد بنية التفكير، كما أنّ البقعة الجغرافية هي أيضا مهمّة في تحديد  
الذهنيات و الآفاق. أمّا المنهج الثاني تحليلي فني حيث نستفيد من ه لتحليل المدونة  
المدروسة (الشعر الجاهلي) و استخراج واقع المجتمع العربي الذي يعبر فيه عن معاناته  
و مواقفه و معتقداته و ثقافته. كما استعنا بالمنهج الأسطوري في تفسير بعض المعتقدات.

و قد واجهتنا بعض الصعوبات في الحصول على المصادر القديمة المهمة والدّاعمة للبحث إضافة إلى صعوبة إحصاء كلّ المعتقدات من دواوين الشعر و كتب التاريخ.

أمّا من النّاحية العلمية فقد كان لزاما علينا أن نقسّم بحثنا هذا إلى فصل تمهيدي عرضنا فيه الجوانب النظرية و تضمّن الحلقة الواصلة بين المعتقد و الأسطورة و الشعر. ثمّ تلاه أربع فصول: جاء في الفصل الأوّل تبيان أهمية الموقع الجغرافي ، و التعريف بالأمة العربية التي تعدّ من أقدم الأجناس السامية و تقسيم العرب إلى طبقات بائدة و عاربة و مستعربة. مع ذكر أهمّ الدويلات التي ظهرت في شبه الجزيرة العربية و الديانات التي كانت سائدة في العصور الغابرة، لتأكيد علاقات تواصل العرب مع الشّعوب و الأمم المجاورة.

أمّا الفصل الثاني فتناولنا فيه أهمّ الديانات السماوية و التي انتشرت في بلاد العرب قبل الإسلام من خلال تمحصنا و تفسيرنا للشعر الجاهلي . فقسّمناه إلى ثلاثة مباحث ، شمل الأوّل الديانة الحنيفية و الثاني اليهودية و الثالث المسيحية و التي عرفت طريقها إلى جزيرة العرب فوجدت موطنًا خصبا لانتشارها.

و في الفصل الثالث جاء فيه عرض للديانات الوضعية ك الوثنية و هم عبدة الأصنام، والتي انتشرت بين القبائل العربية في طول جزيرة العرب و عرضها ، فاتخذت كل قبيلة منها صنما ممّا أدى بنا إلى وضع قائمة إحصائية لأهمّ الأصنام التي عبدها العرب قبيل الإسلام وأدرجناها في ملحق. وفي المبحث الثاني تطرّقنا لديانة الصابئة وهم عبدة النجوم و الكواكب و أكّدنا بالدراسة على الثالوث السماوي المعبود في أغلب الحضارات السامية ( الشمس،

القمر، الزهرة). و تلاه مبحث ثالث درسنا فيه عبادة الأرواح و إيمانهم بالجنّ و الملائكة ،

و يرجع ذلك لتأثرهم بالطبيعة الموحشة التي جعلتهم يؤمنون بوجود قوى خفية تؤثر في

حياتهم و ما يتعرضون له خيرا أو شرا و من جلب السعادة و دفع الضرر.

و قد جاء الفصل الرابع استمرارا طبيعيا لسابقه لأننا خصصناه للكائنات اللامرئية أي للغيلان

و السعالي والشقّ و النسناس و خصصنا المبحث الثاني لمعتقدات أخرى كالكهانة و العرافة

و الرقية و الطيرة. كما درسنا فكرة الموت و ما بعده و هي الحالة التي شغلت الفكر الإنساني

بشكل عام والعربي بشكل خاص في ضوء شحّ التوضيحات الدينية لهذه الظاهرة. وأضافنا

إلى هذه الدراسة عادة اشتهرت عند العرب و هي طقوس الاستمطار. و للضرورة الملحة

لاستمرار العيش في هذه البيئة الجافة، نجد العربي تأمل في السماء فاعتقد أنّ للأنواء دور

في نزول الغيث أو انقطاعه . و ألحقنا ذلك بقائمة لأهمّ الأصنام المعبودة في البيئة العربية.

و ختمنا بحثنا بحوصلة لأهمّ الأفكار المطروقة في المتن.

و لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتوجّه بخالص الشكر و وافر العرفان إلى أستاذنا المشرف

موساوي أحمد على ما تحلّى به من صبر و أناة و فكر متفتّح طوال المدّة التي استغرقها

هذا البحث. و على ما أسداه إلينا من دعم و تشجيع لا سيّما في الأوقات التي يشعر فيها

الباحث بالكلل فينشغل بأمر دنيوية أخرى ، فجزاه الله عنّا خيرا الجزاء. كما أتقدم بالشكر

إلى كلّ من قدّم لي يد العون و المساعدة من قريب أو بعيد و أخصّ بالذكر أساتذة كلية

الآداب و اللغات جامعة قاصدي مرباح ورقلة .و شكر خاص مليء بالعرفان للجنة الموقرة  
التي قبلت بصدر رحب مناقشة هذا العمل ، لجميع أساتذتي شكري وامتناني.

تلمسان 2015-01-01

# الفصل التمهيدي

المعتقد - الأسطورة - الشعر

(علاقة و مفاهيم)

الفصل التمهيدي : المعتقد - الأسطورة - الشعر (المفاهيم و العلاقة)

احتلت المعتقدات و العبادات و الطقوس الدينية حيّزا كبيرا و مهماً في حياة الجماعات الإنسانية منذ القدم. فكلّ الحضارات القديمة عرفت شعوبها الأديان و تركت تراثا كتابيا و معماريا مليئا بالمعتقدات و الأساطير الدينية. إذ يؤكد يونغ أنّ "الشعور بالمقدّس هو شعور داخلي وثيق الصلة بالكينونة الإنسانية لذلك فهو غير قابل للانقراض"<sup>1</sup>.

و المجتمع الجاهليّ مثله مثل الشعوب الأخرى له تصورات و تساؤلاته حول مظاهر الطبيعة و القوى الإلهية و الحياة و الموت، فشكّلت كل هذه المضامين ما يسمّى بالمعتقدات. وقد ذكر هيرودوت في تاريخه: "أنّه لا يوجد شعب أكثر تديّنا من العرب ، أو هو أقوى الأمم استغراقا في العبادة و أشدهم شعورا بها، و لهم فقه و سنن و شريعة في تأدية الطقوس، و آراء و عقائد و خيال واسع و تعلق روعي".<sup>2</sup> و لهذا ارتأينا أن نتطرّق لهذه المعاني بالشرح و التفسير وإظهار العلاقة التي تجمع فيما بينها قبل البدء في الدراسة .و السبب الثاني هو أن نبيّن وجهة نظرنا في اختيار و تفضيل مصطلح المعتقد عن الدين.

<sup>1</sup>. يونغ : الدين في ضوء علم النفس ، ترجمة و تقديم نهاد خباطة ، دار العري للطباعة و النشر و التوزيع دمشق، ط1، 1988 ص 23.

<sup>2</sup>. تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح،مراجعة د. أحمد السقاف، إصدار المجمع الثقافي أبو ظبي 2001،ص



## المطلب الأول : الدين و المعتقد

الدين في تعريف علماء اللغة: العادة و الشآن، تقول العرب : مازال ذلك ديني و ديدني أي عاداتي. و الدين بمعنى الطاعة و التعبّد و قد يعني السلطان و الورع ، و الدين مشتقة من الدين و هي من أسماء الله الحسنى. <sup>1</sup> و قد ورد لفظ "دين" في نصوص ثمودية قديمة جاء فيها توسّل رجل إلى الإله "ود": ( ا ل ه د ي ن ي ق . ي د ) بمعنى أن يحفظ له دينه. و في نصّ آخر جاء فيه ( بدين و دامت ) أي بدين و د أموت أي على دين و د أموت <sup>2</sup>. و هذا دليل على أنّ لفظة "دين" هي كلمة عربية سامية. و الدين في الإسلام هو تكليف العبد عندما يبلغ الشروط بالعبادات سواء على مستوى الفرد أو المعاملات الجماعية. حيث نجد أغلب تعريفات علماء الدين تقتصر على الديانات السماوية الموحى بها. غير أنّ الراغب الأصفهاني يعرف الدين بأنّه: "مجموعة من الاعتقادات و الممارسات (الطقوس و العبادات) التي يعبر بها الإنسان أو المجتمعات الإنسانية عن شكل ارتباطها بالوجود ، و تشكل أساس القيم فيها كما ترسم خطوط الاتصال ما بين أفراد المجتمع و المجتمعات الأخرى". <sup>3</sup> كما عرفه دروكهايم بأنّه: "نظام من الرموز يصبح المجتمع بواسطته على وعي بذاته

<sup>1</sup> . أنظر ابن منظور: لسان العرب. دار صادر مجلد 13 مادة دين ص 166،170.

<sup>2</sup> من النقوش التي جمعها جريم grimme. S 34-40.MV. 646/17

عن جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين بيروت لبنان ، ط 1،1970، ج 6 ص 8.

<sup>3</sup> . الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ، طبعة كراچي 1961 ، ص 488.

و هو طريقة التّفكير التي تميّز الوجود الاجتماعي .<sup>1</sup> أمّا فريزر فيقول أنّ: "الدين هو الإحساس بأنّ هناك نفساً خفية تعترف بالنفس البشرية بما لها من سلطان على العالم و عليها و يجب أن تكون على اتصال دائم بها ما أمكن."<sup>2</sup>

و من ذلك نفهم أنّ الدين هو عملية استرضاء و طلب عون قوى أعلى من الإنسان ، يُعتقد أنّها تتحكّم بالطبيعة و الحياة الإنسانية. و هذه العملية تتضوي على عنصرين، واحد نظري و الآخر تطبيقي عملي. و لا يصحّ الدين بغير توقّر هذين العنصر، ذلك أنّ الاعتقاد الذي لا تتلوه ممارسة ما هو مجرد لاهوت فكري ، أمّا الممارسة المجردة عن أيّ اعتقاد فليس من الدين في شيء. و ممّا لا شكّ فيه أنّ للشعائر و الممارسات أهميّة كبرى في فهم الدين. فقد تكون هذه الممارسات شفوية كالتسبيح و الأدعية و غيرها . كما تكون جسدية كالاستحمام في مياه النّهر المقدّس عند الهنود و الوضوء في الإسلام و غيرها.

و من هذا المنطلق نجد فراس السواح يفرّق بين الدين و العبادة ، على أنّ هذه الأخيرة هي معتقد بسيط تتركّز حوله مجموعة من الطقوس و الأساطير الخاصّة بجماعة معيّنة من النّاس (عشيرة أو قبيلة أو شريحة اجتماعية). و يتطابق مفهوم الدين مع مفهوم العبادة لدى جماعة صغيرة شبه منعزلة ، فإذا اجتمع لشعب من الشعوب عدد من العبادات المتقاربة التي يختصّ كل منها بجماعة من جماعاته أسميناً شكل الحياة الدينية هنا دينا و سميّنا

<sup>1</sup>.Emile durkheim :les formes élémentaires de la vie religieuse, parie Ed Alcan,1927, p 65.

فريزر: الغصن الذهبي ، عن فراس السواح : دين الإنسان ص 25.

<sup>2</sup>. james frazen. the golden bough. Mac Millan. London 1971 pp 57-58 .

الشكل الفرعي عبادة.<sup>1</sup> أمّا عن نشأة الدين و أدوار تطوره التاريخية فظهر العديد من الآراء و النظريات<sup>2</sup>، أهمّها المذهب الحيوي (Animism) المذهب الطبيعي (Naturism) و المذهب الطوطم (Totemism) و مذهب التوحيد (Montheism). يرى بعض علماء تاريخ الأديان أنّ الأمم البدائية مرّت بثلاثة أطوار في اعتقادها بالآلهة و الأرباب ، و هي طور التعدّد و طور التمييز و الترجيح و طور التوحيد و الوحدانية. إلّا أنّ فريقاً منهم يقرّرون أنّ عقيدة الخالق الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في البشر، و الوثنيات ما هي إلّا أعراض طارئة. و من أشهر القائلين بهذا الرأي لانج الذي أكّد وجود عقيدة الإله الأعلى عند القبائل الهمجية في أستراليا و إفريقيا و كارل بروكلمان في المجتمعات السامية.

أمّا المعتقد فالأصل اعتقد الشيء أي صلب و استتر، و اعتقد كذا بقلبه ، و في الحديث أنّ رجلاً كان يبايع و في عقده ضعف أي في رأيه و نظره. قال سيوييه: و قالوا هدفي معقد الإزار، أي بتلك المنزلة في القرب.<sup>3</sup> فالمعتقد هو كل ما تعاقد الناس على اعتباره قوّة مؤثّرة في حياتهم و سلوكهم ، و هو مقدّس يتّصل بالأمر الدينية فيبيعث في النّفس احتراساً و رهبة و لا يجوز انتهاكه. و يمكن القول أنّ المعتقد يتألّف من عدد من الأفكار الواضحة و التي تعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدّسات سواء أنشأتها عقول الجماعة و عملت الأجيال

1. للتوسّع أنظر فراس السواح : دين الإنسان ص 87.

2. رأينا أنّه من المرجّح أن لا نطيل الحديث في هذا المجال لأنّه قد يأخذ منّا وقتاً أطول في النقاش و إظهار الاختلافات في الأفكار . و للتوسّع يمكن الرجوع إلى كتاب نشأة الدّين ( النظريات التطورية و المؤهلة ) لعلي سامي النشار، مكتبة الخانجي مصر ، 2005.

3. ابن منظور: لسان العرب مجلد 3. ص 296-299.

المتلاحقة على صقلها أو تطويرها.<sup>1</sup> أو هي أديان الوحي من حيث هي جذور تفعل فعلها في سلوك النَّاس. و بالتّالي فكلّ ما يتمّ تقديسه و عبادته يعتبر معتقدا سواء كان شيئا ملموسا أو مجردا. فالأديان و المعتقدات هي أنماط لصياغات طقسية و شعائرية تساعد على دمج الحقائق الأساسية و صهرها في أجسامنا ، لتتحكّم بوجودنا كله.<sup>2</sup> و لا يستطيع أن يستمرّ المعتقد (حالة ذهنية) في التواجد إلّا إذا تعلّق به الطقس. و الطقس هو القيام بسلوك ما كالصلوات و التراتيل أو الطواف أو تقديم القرابين، و بذلك يتحوّل الطقس من أداء فردي إلى أداء جمعي ذي قواعد و أصول و بالتّالي يتمّ ارتباط الطقس بالمعتقد، ممّا يؤكد الظاهرة الدينية.<sup>3</sup>

و نخلص إلى أنّ الأديان الوضعية و أديان الوحي لا تميّز بينهما من حيث هي جذور تؤثر في سلوك النَّاس. فالدين يتحوّل إلى طريقة تفكير و سلوك بما يفرضه من عبادات و معاملات و يصبح معتقدا. و بالتّالي فالدين والمعتقد يشتركان في الفكرة الذهنية و الطقس اللّذين يؤثران في مسار الحياة الاجتماعية و النفسية للإنسان. و يمكن القول أنّ الجانب الاعتقادي هو أساسي في الدين، ممّا جعلنا نختار كعنوان لبحثنا "المعتقد" ليجمع ما بين الأديان والمعتقدات.

<sup>1</sup>. فراس السواح: دين الإنسان ص 48.

<sup>2</sup>. محمد أركون : العلمنة و الدين ، دار الساقي 1990. ص 24.

<sup>3</sup>. أرظر فراس السواح: دين الإنسان ص 54.

## المطلب الثاني : علاقة المعتقد بالأسطورة

قبل التطرق لدراسة علاقة المعتقد بالأسطورة رأينا أنه من الضروري البدء بتعريف الأسطورة. فإن حاولنا إعطاء مفهوم للأسطورة فإننا سنجد تعريف بول ريكور الذي أورده محمد عجيبة و اعتبره التعريف الجامع لعديد من التعريفات السابقة حيث يقول أن: "الأسطورة حكاية تقليدية تروي وقائع حدثت في بداية الزمان و تهدف إلى تأسيس أعمال البشر الطقوسية حاضرا، و بصفة عامة إلى تأسيس جميع أشكال الفعل و الفكر التي بواسطتها يجدد الإنسان موقعه من العالم. فالأسطورة تثبت الأعمال الطقوسية ذات الدلالة و تخبرنا عندما يتلاشى بعدها التفسيري ، بما لها من مغزى استكشافي و تتجلى من خلال وظيفتها الرمزية، أي في ما لها من قدرة على الكشف عن صلة الإنسان بمقدساته."<sup>1</sup> و منه فإن الأسطورة في الأصل هي الجزء الناطق في الشعائر و هي تلك المادّة التراثية التي صيغت في عصور الإنسانية الأولى، و عبّر بها الإنسان في تلك الظروف الغامضة عن فكره و مشاعره اتجاه الطبيعة ، فاختلط فيها الواقع بالخيال. وتعتبر الأسطورة امتدادا طبيعيا للمعتقد فهي تعمل على توضيحه و إغناؤه ، و تثبته في صيغة تساعد على حفظه و على تداوله بين الأجيال. لأنّ دوام و استمرار أيّ معتقد يتطلّب إيمان عدد كبير من الأفراد به و إلا اندثر. فالأسطورة تثبت الأعمال الطقوسية ذات الدلالة. و إضافة إلى العروى الوثقى التي تجمع الأسطورة إلى المعتقد ، فإنّ الأسطورة من ناحية أخرى ترتبط بشكل وثيق بالطقس. فالطقس هو جسر

<sup>1</sup>. بول ريكور: الموسوعة العالمية الفرنسية مادة "hermémentique" ، ج9 ، ص 263

عن محمد عجيبة: موسوعة أساطير العرب ، عن الجاهلية و دلالتها ، دار الفارابي، بيروت لبنان ج 1، طبعة جديدة منقحة 2005، ص 74.

بين المتعبّد و قوى قدسيّة معيّنة. و كلّما كانت هذه القوى ذات شخصيات محدّدة و خصائص و سيرة حياة ترسمها الأساطير كلّما ازداد الطقس غنى و تعقيدا، و على العكس من ذلك فإنّ الطقس يميل نحو البساطة كلّما مال المعتقد إلى التجريد و افتقر إلى الأساطير<sup>1</sup>. فرغم أنّ الطقس يأتي كنتاج لمعتقد معيّن فيعمل على خدمته، إلا أنّ الطقس نفسه ما يلبث حتّى يعود إلى التأثير على المعتقد فيزيد من قوّته و تماسكه، بما له من طابع جمعي يعمل على تغيير الحالة الذهنية و النفسيّة للأفراد. وهذا الطابع هو الذي يجدّد حماس الأفراد و يعطيهم الإحساس بوحدة إيمانهم و معتقدتهم<sup>2</sup>.

و نخلص إلى أنّ الأسطورة فكر و معتقد احتوته قصّة تقليدية تروي و تفسّر تاريخا مقدسا صاحبت الطقوس و الشعائر التي مارستها الشعوب القديمة. و هنا يُطرح السؤال هل المجتمع العربي يعتبر من الشعوب البدائية التي نسجت أساطير طقوسية أو تعليلية و بنفس الشكل و المضمون كما فعلت الشعوب الأخرى؟ للإجابة عن هذا السؤال اعتمدنا على ما خلص إليه الدكتور محمد عبد المعين خان في كتابه "الأساطير العربية قبل الإسلام" و هو من الأوائل الذين اهتموا بهذا الموضوع و كتاب الدكتور محمد عجينة "موسوعة أساطير العرب" و الذي يعتبر حقا موسوعة تشمل مادة أسطورية وافرة نسجها الخيال العربي أو تأثرا بفكر الحضارات المجاورة . حيث نجده يؤكّد أنّ ظروف التدوين و ما تعرّض إليه من تغيير أو تحويل بسبب التباعد الزمني و المكاني كان له التأثير الكبير في اختزال التراث الفكري.

1 - فراس السواح: دين الإنسان ص 60

2 . المرجع السابق.

و يترتب عن ذلك أنّ انتقال الأساطير مشافهة عملية تُعاد فيها صياغة المادّة الكلامية عن وعي أو عن غير وعي. حيث يقول: "تستند الذاكرة الجماعية في عملها، ألا وهو حفظ التراث و اختزاله إلى التكرار. و كلّ رواية هي دوماً إعادة صياغة و إعادة بناء و قرار بالاحتفاظ برواية دون أخرى و بهذا العنصر منها أو ذاك ، أو منع لها من التداول و حكم عليها بالتلاشي و الاندثار، و كذا تقييدها بالكتابة".<sup>1</sup>

و الخلاصة أنّ العربي اتهم بقصور الخيال و بأنّه أمّة منعزلة عن العالم. إلا أنّ المعتقدات و الأساطير التي بقيت منها آثار باقية سواء في طبقات اللّغة العربيّة أو في المعاجم و كتب السير أو في كتب الأمثال و الأنواء لتؤكد أنّ العرب لم يشدّوا عن سائر الشعوب البدائية الأخرى. فمثلا بقايا أساطير الخلق و أساطير الجنّ و الغول و الأساطير الكوكبية و الوثنيّة تؤكّد تعايش الأساطير و المعتقدات الأسطورية جنبا إلى جنب و الفكر الديني الإسلامي على اختلاف شيع أصحابه و نحلهم. حيث نجد هذه الموسوعة تجمع أمثلة كثيرة و طريفة من سائر أنواع الأساطير.

### المطلب الثالث :علاقة الأسطورة بلشعر

من خلال التعريفات السابقة للأسطورة من حيث المضمون أو الوظيفة خلصنا إلى أنّها عمل فنيّ من صنع العقل البشري و خياله . أيضا هي خلاصة أفكار تعليليّة لظاهرة من الظواهر الطبيعيّة، وفي هذا المضمون يعرفها هوك فيقول: "إنّها ضرب من التدبّر في العالم الطبيعي و الاجتماعي و الثقافي يختلف من حيث وسائله و الشكل الذي من خلاله يتجلّى

<sup>1</sup>. محمد عجيبة: موسوعة أساطير العرب ص 112.

بحسب كلّ مجتمع من المجتمعات .<sup>1</sup> "ومن هنا يتبيّن لنا أنّ الأسطورة و الشعر يلتقيان في كون كلاهما ينشآن من الحاجة الإنسانية نفسها ، فهما يعبران عن وجدان وأحاسيس الجماعة من خلال الرّموز .و الشعر في رأي ريتا عوض : " انعكاس تام أو جزئي للأساطير بل إنّ الأسطورة و الشعر و الدّين تجلّيات تستلهم النماذج الأصليّة ذاتها ."<sup>2</sup> فالشعر ليس أسطورة بمقاييسها الفنيّة و إنّما حوى شذرات من الأسطورة . وهذه الأخيرة تعتبر إرثا فكريا بقي في اللاشعور الجمعي استقى منها الشّاعر صورته و التي يراها يونج مشتركة بين الجنس البشري ، حيث يسمّيها النماذج العليا . وهي نماذج وراثية من عهود الإنسانية الأولى وهي تُعتبر مصدر كثير من الخيالات و الصور الخاصّة بالجنّ و الأرواح و الموت والبعث. فالشعر العربي الذي وصلنا من مرحلة ما قبل الإسلام يحمل في طيّاته بعض الآثار الدّينيّة و الأسطوريّة و ما صاحبته من طقوس وشعائر مارسها العربي، قد تتشابه مع ما جاء في معتقدات الشعوب الأخرى و قد تتميّز في أخرى. وقد استطاع المنهج الأسطوري و الذي تبناه عدد من الدّارسين العرب<sup>3</sup> أن يكشف عن الارتباط الوثيق بين الشعر الجاهلي

(المقدمة) 11 p, Hook , Middle Eastern Mythology , s. 1<sup>1</sup>

عن محمد عجيبة : موسوعة أساطير العرب ص 70

<sup>2</sup> . ريتا عوض : بنية القصيدة الجاهلية للصورة الشعرية لدى امرئ القيس ، دار الآداب ط1 , 1992 ، ص 172.

<sup>3</sup>-ولعلّ من أقدم الدراسات التي يشار إليها في هذا السياق قراءة نصرت عبد الرحمان : الصورة الفنيّة في الشعر الجاهلي وعمل كمال زكي : التفسير الأسطوري للشعر القديم و دراسة إبراهيم عبد الرحمان : التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي ، وقراءة عبد القادر الرباعي : الطير في الشعر الجاهلي ، فضلا عن قراءته الأخرى تحت عنوان : مدخل إلى دراسة المعنى بالصورة في الشعر الجاهلي - التفسير الأسطوري- كما تشير أيضا إلى عمل مصطفى الشوري : الشعر الجاهلي -تفسير أسطوري- و لا نغفل عن ذكر علي البطل و دراسته "الصورة في الشعر العربي". أمّا ما يجمع بين دراسات هؤلاء جميعا هو تأكيد علاقة الشعر الجاهلي بمصادر أسطورية .كذلك تشترك في التناول الفني للشعر الجاهلي من خلال دراسة الصورة الشعرية أو بنية القصيدة نفسها ، حيث تقوم جميعها على تفسير رمزي و نفسي للصورة الشعرية .



و الفكر الميثوديني ، وهو جانب ظلّ مجهولاً طيلة القرون السابقة. فنجد مثلاً نصرت عبد الرحمان قد سعى إلى توظيف معنى جديد لفهم الشعر الجاهلي ، حينما ربطه بالمعتقد الديني بقوله: "و على الرغم من الغموض الذي يحوط الحياة الدينيّة في الجاهليّة فإنّ ما ظهر حتّى الآن يكون كافياً للإفادة منه في فهم الشعر الجاهليّ." <sup>1</sup> كما يرى أيضاً أنّ الشعراء الجاهليّون حوِّروا الأصول الميثولوجيّة لأغراض فنيّة ، خاصّة و أنّ الشاعر العربي قبل الإسلام اشتهر باهتمامه الكبير بالتشبيهات و استعماله لمختلف فنون البلاغة العربيّة، كما اعتمد على الحكاية القصصية في أسلوبه لتجسيد الصورة الأسطوريّة .

ونخلص إلى أنّه برغم الطعن والتشكيك الذي تعرّض له الشعر الجاهلي من جانب المستشرقين <sup>2</sup> أو العرب <sup>3</sup>، إلّا أنّنا و من خلال دراستنا للشعر الذي بين أيدينا اكتشفنا أنّه حوى إرثاً فكرياً ومعتقداتياً كبيراً يعبر عن ما كان سائداً في المجتمع الجاهلي .

<sup>1</sup>- نصرت عبد الرحمن : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، مكتبة الأقصى عمان الأردن ، ط2 1982، ص 110.

<sup>2</sup>- كمثال نذكر قول نيلسون : "هو شعر دنيوي لم يعرض للناحية الدينية و إن كان قد عرض في القليل من الحالات أسماء بعض الآلهة إمّا جهلاً و إمّا هيبة ." عن الديانة العربية القديمة ص 179.

<sup>3</sup>- ومن أشهر الأدباء العرب طه حسين والذي انتهى إلى القول : " إنّ الشعر الجاهلي لا يتعرّض إلى الحياة الدينيّة ." من كتاب الأدب الجاهلي ص 35.

# الفصل الأول

## جغرافية بلاد العرب و تاريخهم

## المبحث الأول: بلاد العرب

المطلب الأول: الموقع و الأقسام الطبيعية

المطلب الثاني: التعريف بالعرب

## المبحث الثاني: طبقات العرب ودياناتهم القديمة

المطلب الأول: العرب البائدة

المطلب الثاني: العرب العاربة

المطلب الثالث: العرب المستعربة

## جغرافية بلاد العرب و تاريخهم

### الفصل الأول : جغرافية بلاد العرب و تاريخهم

#### مدخل : الجاهلية معناها و زمنها

بداية ينبغي أن نعرف أنّ كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضدّ العلم و نقيضه<sup>1</sup>، إنّما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه و الغضب و الحميّة<sup>2</sup> و الخفة و عدم الانقياد لحكم و شريعة و إرادة إلهية، و لا يشترط أن يكون الرجل جاهلاً أمياً. و وردت الكلمة في الذكر الحكيم و الحديث النبوي الشريف و الشعر الجاهلي بهذا المعنى. ففي القرآن الكريم نجد قوله تعالى : " وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) " .<sup>3</sup> و قوله أيضاً : " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا " .<sup>4</sup> وقال سبحانه و تعالى : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) " .<sup>5</sup> و في الحديث الشريف أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم قال لأبي ذرّ و قد عير رجلاً بأمه : " إِنَّكَ امرؤٌ فيك جاهليّة " .<sup>6</sup>

<sup>1</sup> . ابن منظور . لسان العرب ج 13 مادة جهل . أنظر مادة " جاهلية " في دائرة المعارف الإسلامية .  
<sup>2</sup> . جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 ، 1970 ، ج 1 ص 38 ، 39 . أنظر أيضاً كتاب شوقي ضيف : تاريخ الأدب - العصر الجاهلي - دار المعارف ، القاهرة ط 22 ، ص 39 .  
<sup>3</sup> . سورة البقرة الآية 67 .  
<sup>4</sup> . سورة الفرقان الآية 63 .  
<sup>5</sup> . سورة الأعراف الآية 199 .  
<sup>6</sup> . أحمد أمين : فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، د.ت ، د.ط ، ج 1 ص 16 . و في لسان العرب ج 13 مادة جهل : و في الحديث " إِنَّكَ امرؤٌ فيك جاهليّة " هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه و رسوله و شرائع الدين و المفاخرة بالأنساب و الكِبْر و التجبّر و غير ذلك .

## جغرافية بلاد العرب و تاريخهم

و في الشعر الجاهلي قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته :

أَلَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا      فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ<sup>1</sup>

فللشعراء الجاهليون كانوا يريدون بالجهل التوحّش لا عدم المعرفة. والجهل بمعنى الاستخفاف ذكره النابغة في قصيدة له :

دَعَاكَ الْهَوَىٰ وَ اسْتَجْهَلْتَنَّا الْمَنَازِلُ      وَ كَيْفَ تَصَابِي الْمَرْءُ وَ الشَّيْبُ شَامِلٌ؟<sup>2</sup>

أمّا عن زمن استخدام لفظة الجاهليّة فقد روي عن ابن خالويه أنّها " أُطلقت في الإسلام على الزّمن الذي كان قبل البعثة "<sup>3</sup> بدليل ورودها في السور المدنيّة<sup>4</sup> دون السور المكيّة، فاتّخاذها فاتّخاذها لهذا المعنى كان بعد الهجرة. و أُطلقت تسميات عديدة على هذه الفترة منها أيّام الجاهليّة ، زمان الجاهليّة، الجاهلية الجاهلاء<sup>5</sup>. ممّا يدلّ ضم نيا على شيء من الازدراء و الاستهجان للأوضاع السابقة. و قد يتبادر إلى الأذهان أنّ العصر الجاهلي يشمل كلّ ما سبق الإسلام من حقبة و أزمنة ، فهو يدلّ على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد و بعده. ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتّسعون في الزّمن به هذا الانتّاع ، إذ لا يتغلغلون به إلى ما وراء قرن و نصف قبل البعثة النبوية و

<sup>1</sup> . عمرو بن كلثوم : الديوان ، المعلقة، جمعه و حققه و شرحه د.إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت ط 1، 1991، ص 78. و معنى البيت : لا يسفهنّ أحد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم.

<sup>2</sup> . قصيدة النابغة الذبياني يرثي النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني الديوان، اعتنى بشرحه حمدو طماس ، دار المعرفة بيروت لبنان، ط 2، 2005، ص 88.

<sup>3</sup> . أنظر عبد المعيد خان: الأساطير العربية قبل الإسلام ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط 1 ، 2005 ، ص 3. و بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب للألوسي عني بشرحه وتصحيحه و ضبطه محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1314 هـ ، ج 1 ص 15 ، 17 ، 18.

<sup>4</sup> . السور المدنيّة هي : آل عمران الآية 154 ، المائدة الآية 50 ، الأحزاب الآية 23 ، الفتح الآية 26.

<sup>5</sup> . أطلقوا على الجاهلية الجاهلاء ، و الجاهلاء صفة للأولى يراد بها التوكيد و تعني الجاهلية القديمة.

هي الحقبة التي تكاملت اللّغ العربية و جاءنا عنها الشّعـر الجاهلي. وقد ذكر ذلك الجاحظ إذ قال: " أمّا الشّعـر (العربي) فحديث الميلاد، صغير السنّ، أوّل من نهج سبيله و سهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر و مهلهل بن ربيعة... فلذا استظهرنا الشّعـر و جدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام- خمسين و مائة عام ، و إذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام ."<sup>1</sup> و نخلص إلى القول أنّ الكلمة (جاهليّة) استخدمت من القديم للدلالة على السفه و الطيش و الحمق. و قد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام أو بعبارة أدقّ على العصر السّابق له مباشرة ، و كل ما كان فيه من وثنية و أخلاق قوامها الحميّة و الأخذ بالنّار و اقتراف ما حرّمه الدّين الحنيف من موبقات.<sup>2</sup>

### المبحث الأوّل : بلاد العرب

#### المطلب الأوّل : الموقع و الأقسام الطبيعيّة

بلاد العرب قطر فسيح تبلغ مساحته حوالي مليون ميل مربع و هي تقع في الجنوب الغربي لآسيا. يطلق العرب على بلادهم اسم " جزيرة العرب " تجاوزا لأنّ البحار و الأنهار تحيط بها من جميع الجهات . فيحدّها من الشرق بحر فارس(الخليج العربي) و من الجنوب بحر الهند(المحيط الهندي) ويحدّها بحر القلزم(البحر الأحمر) من الغرب ،أمّا شمالا فنجد الفرات يمتدّ إلى غاية الحدّ الشمالي الشرقي و هي في الحقيقة شبه جزيرة. يصفها جواد علي فيقول: " ليس بين أشباه الجزر شبه جزيرة تتيف على شبه جزيرة العرب في المساحة فهي

<sup>1</sup> . الجاحظ : الحيوان ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط 1 ، 1998 ، ج 1 ص 74.

<sup>2</sup> . شوقي ضيف : تاريخ الأدب - العصر الجاهلي - دار المعارف القاهرة مصر، ط 22 ، ص 39 .

## جغرافية بلاد العرب و تاريخهم

أكبر شبه جزيرة في العالم <sup>1</sup>. كذلك كان من بين أسباب التسمية أيضا أنّ المنطقة تشبه جزيرة بشرية يتحدّث سكانها باللّغة العربيّة ، و تحدّها (غير الحدود البحرية) مجموعات بشرية تتحدّث بلغات أخرى، ممّا حدى بالهمداني إلى أن يقول إنّ المنطقة " تسمّى جزيرة العرب لأنّ اللسان العربي فيها شائع و إن تفاضل <sup>2</sup> ". <sup>3</sup>

فبلاد العرب تمثّل في كتلتها الرئيسية هضبة تتحدر من الغرب إلى الشرق نحو الخلي ج و سهول الفرات. و تتألّف الأراضي الوسطى من هضبة تدعى " نجدا " يبلغ متوسط ارتفاعها زهاء 2500 قدم وتقع في قلب جزيرة العرب ، يحدّها من الغرب جبال السراة و سمّيت نجدا لارتفاع أرضها <sup>4</sup>. وقد قسم علماء العرب الجزيرة إلى خمسة أقسام الحجا <sup>5</sup> وتهامة <sup>6</sup> و اليمن <sup>7</sup>

<sup>1</sup>. جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج1 ، ص 140.

<sup>2</sup>. يقصد بكلمة تفاضل : و إن تفاوتت درجات النقاء اللغوي من بيئة إلى بيئة وفقا لظروف جغرافية و اجتماعية مختلفة.

<sup>3</sup>. الهمداني : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوح الحوالي ، مكتبة الإرشاد صنعاء، ط1، 1990، ص1.

<sup>4</sup>. ياقوت الحموي : معجم البلدان، دار بيروت للطباعة و النشر لبنان، 1984، ج4 ص 262.

<sup>5</sup>. الحجاز : تمتد رقعتة من تخوم الشام عند العقبة إلى الليث و هو واد بأسفل السراة يدفع في البحر(عن معجم البلدان

ج 2 ص 218).

<sup>6</sup>. تهامة : تبدأ حدود تهامة من بحر القلزم ، فتكوّن المنطقة الساحلية الضيّقة الموازية لامتداد البحر الأحمر. و يختلف

عرضها بلختلاف قرب السلاسل الجبلية من البحر و بعدها عن (عن معجم البلدان ج6 ص 311).

<sup>7</sup>. اليمن : تقع في الركن الجنوبي الغربي لشبه جزيرة العرب و تخترق جبال السراة اليمن حتّى البحر عند حدودها

الجنوبية. و الظاهر أنّ لهذه التسمية أصلا في الجاهلية و قد كان العرب يسمّون ما كان عن يمين الكعبة للمتجه شرقا بلسم اليمن و ما كان عن شمالها بلسم الشام. كما ذكر البعض الآخر أنّ سبب التسمية يرجع إلى اليُمن و الخير لما فيها من زراعة و نخيل و ثمار. (عن معجم البلدان ج5 ص 447 و الهمداني : صفة جزيرة العرب مادة : يمن ص 51).

## جغرافية بلاد العرب و تاريخهم

و العروض<sup>1</sup> و نجد<sup>2</sup>. أمّا اليونان و الرومان فقسموها إلى أقسام ثلاثة و هو تقسيم يتفق مع الناحية السياسيّة التي كانت عليها البلاد العربيّة في القرن الأول الميلادي وهي:

1. العربيّة السعيدة *arabia felix* : و المقصود بها بلاد اليمن أو الأرض الخضراء.
2. العربيّة الصخريّة و ترجمت بالعربيّة الحجريّة *arabia petraea* و تقع في الشمال من بلاد العرب ، جنوب غربي بادية الشام حيث مملكة الأنباط.
3. العربيّة الصحراوية *arabia deserta* : و كانت تطلق على بادية الشام ثمّ شمل اسمها البادية الواسعة و المناطق الصحراوية كلّها، و هي أعظم الأقسام الثلاثة لكثرة صحراواتها في الوسط و الشمال و الجنوب و لم يظهر هذا التقسيم إلا عند هيرودوت و عرف هسترابون *strabon* و لم يأخذ به العرب مع أنّهم عرفوا جغرافية بطليموس<sup>3</sup>.

### المطلب الثاني : التعريف بالعرب

كلمة عرب لغويا تعني فصيح و أعربّ الكلام بيّنه ، و منها عربّ الاسم الأعجمي أي نطق به على منه اج العرب و تعربّ أي تشبّه بالعرب<sup>4</sup>. يطلق لفظ العرب على قوم جمعوا عدّة أوصاف، لعلّ أهمّها أنّ لسانهم كان اللغة العربيّة و أنّهم كانوا من أولاد العرب، و أنّ مساكنهم

<sup>1</sup> . العروض : يشمل اليمامة و البحرين و ما والاها، و أغلب الأرضين فيه صحاري و سهول ساحلية ترتفع في الجهات الغربية عن ساحل البحر. ( عن معجم البلدان ج3 ص 101 و ج6 ص 160 )

<sup>2</sup> . نجد : هي الهضبة الوسطى في شبه الجزيرة و هي الأرض العريقة التي أعلاها تهامة و اليمن و أسفلها العراق و الشام و يقسمها ياقوت الحموي في معجم البلدان ج 8 ص 401 إلى قسمين : نجد العالية و نجد السافلة أمّا العالية فما ولي الحجاز و تهامة و أما السافلة فما ولي العراق.

<sup>3</sup> . ptolomy geography , v 15,18,19

عن حسين الشيخ : العرب قبل الإسلام. دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، د ت ، د ط ، ص 50.

<sup>4</sup> . أنظر مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، القاهرة 1400 هـ ، ص 411.



## جغرافية بلاد العرب و تاريخهم

كانت أرض العرب و هي جزيرة العرب<sup>1</sup>. و قد اختلف النَّاس في العرب لم سمّوا عربا فقال بعضهم<sup>2</sup> أوّل من أنطق الله لسانه بلغة العرب يَعْرُبُ بن قحطان<sup>3</sup> و هو أبو اليمن و هم العرب العاربة. و قال آخرون<sup>4</sup>: نشأ أولاد إسماعيل بعربة و هي موضع من تهامة فنُسبوا إلى بلدهم. و يقول الألوسي: "العرب جيل من النَّاس لم يزلوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام و الفصاحة في المنطق و الذلاقة (البلاغة في النطق) في اللسان و لذلك سمّوا بهذا الاسم فإنّه مشتق من الإبانة و منه قوله صلى الله عليه و سلّم: الثيّب تُعرب عن نفسها."<sup>5</sup> و في اللّغة العبرية<sup>6</sup> القديمة جاءت "عرب" نسبة لسكّان عَرَبية و هي بمعنى الصحراء أو البادية، و يقولون أنّ أهل البادية في الجزيرة كان يطلق عليهم عرب و أعراب بمعنى سكّان الصحراء في حين كان لأهل المدن و العمران أسماء أخرى جاءت في كتب اليهود القديمة<sup>7</sup>,

<sup>1</sup> الألوسي: بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ، عني بشرحه وتصحيحه و ضبطه محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية بيروت ، ج 1 ص 77.

<sup>2</sup> قال هشام بن السائب الكلبي : قال أبي أوّل من تكلم بالعربية يقطن بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . و يقال إن يقطن هو قحطان عُرِب فسَمي قحطان و لذلك سمي ابنه يَعْرُب بن قحطان ( أنظر معجم البلدان ص 96-97 ج 4 مادة عَرَبية).

<sup>3</sup> . حيث قال شاعر مجهول :

فَمَا مِثْلُ قَحْطَانَ السَّمَاخَةِ وَ النَّدَى  
وَ لَا لِأَبْنِهِ رَبُّ الْفَصَاخَةِ يَعْرُبُ

<sup>4</sup> . قال الأزهري في معجمه تهذيب اللغة : " و الأقرب عندي أنهم سمّوا عربا بلسم بلدهم العريات . و قال إسحاق بن الفرج : عربة باحة العرب و باحة دار أبي الفصاحة. و قال : و أقامت قريش بعربة فتتخت بها و انتشرت سائر العرب في جزيرتها فنسبوا كلهم إلى عربة ( راجع لسان العرب لابن منظور كلمتي عرب و عرابية )

<sup>5</sup> . الألوسي : بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ، ج 1 ، ص 77.

<sup>6</sup> . ورد في الفصحة 2 من الإصحاح الثالث من سفر أرميا " في الطرقات جلست لهم كعربي في البرية " و كما في الفصحة 2 من الإصحاح التاسع عشر من سفر إمشعيا " و لا يخيم هناك عربي " و قد استعمل لفظ عربي في هذين النصين بمعنى البدوي.

القديمة،<sup>1</sup> كذكر أسماء بعض القبائل مثل كنده و قيس و تميم و عيس و ذبيان ، أو بأسماء

المناطق مثل أهل نجد و الحجاز و اليمن. إذ يقول جورجي زيدان : " و بما أنّ تلك البلاد

صحراء بادية صار لفظ عرب في اللغات السامية يدلّ على البادية كما في العبرانية و

العربية.<sup>2</sup> أمّا ما يقال في المعاجم العربية من أنّ هناك فرقا بين كلمتي عربي و

أعرابي و تخصّص الأولى بسكان المدن و الثانية بسكان البادية ، فلم يحدث إلاّ في

عصور قريبة من ظهور الإسلام ، أمّا قبل ذلك فلم يكن هناك فرق مطلقا بل ك ان كلّ من

الكلمتين يدلّ على سكان البادية فحسب ، أمّا سكان المدن و الأمصار فكانوا ينسبون إلى

قبائلهم أو يعرفون بمناطقهم.

و قد كان الناس في العصر الثامن الهجري و ما بعده يطلقون اسم " العرب" و لا يريدون به

إلاّ الأعراب خاصة. فجرى ابن خلدون في مقدمته على عرف أهل زمانه ، و لذلك اختلط

على الناس فهم كلامه فلختلفوا في مراده...و لا يزال هذا العرف شائعا عند العامة من عرب

هذا العصر فلا يفهمون من لفظ " عرب " إلاّ البدو أو القبائل التي تقطن الأرياف<sup>3</sup>.

و قد ذكرت لفظة الأعراب في مواضع من القرآن الكريم بمعنى البدو أي سكّان البادية وُعتوا

فيه بنعوت سيئة تدلّ على أثر خلق البادية فيهم كقوله تعالى: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا

وَنِفَاقًا)،(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ).<sup>4</sup> إلاّ أنّهم كانوا أفصح و أقوم لسانا من

<sup>1</sup> . أنظر أبو ذؤيب ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ، دار القلم ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1980 ، ص 164 \_ 165 .

<sup>2</sup> . جورجي زيدان: العرب قبل الإسلام ، دار الهلال ، طبعة جديدة راجعها و علّق عليها د. حسين مؤنس ص 31.

<sup>3</sup> . محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل بيروت لبنان، ط 1، 1992 ، ص 35، 36.

<sup>4</sup> . سورة التوبة ، الآية 97\_99

## جغرافية بلاد العرب و تاريخهم

من سكان الحواضر الذين داخلت لغتهم العربية عجمة نتجت عن اختلاطهم بأقوام أخرى غير عربية. و ذكر ابن خلدون أنّ الأعراب قسما : قسما معاشه في السائمة مثل الغنم و البقر فهم طُغُنٌ في الأغلب لارتياح المسارح و المياه لحيواناتهم ، غير أنّهم لم يكونوا يُعِدُّونَ في النُجعةِ و في القفر لفقدان المسارح الطيبة ، و قسم كان معاشه في الإبل، فهم أكثرَ ظعنًا و أبعد في القفر مجالا، لأنّ حيواناتهم تحتاج إلى ذلك.<sup>1</sup> يبدو من هذا القول أنّ ابن خلدون يصوّر حياة البدو<sup>2</sup> و الأعراب و حبّهم للحريّة و تفضيلهم لحياتهم الرعوية البسيطة ، و الحضرة فهم الذين كانوا يستوطنون المدن و القرى و يستقرّون بها فيمارسون الزراعة و الصناعة والتجارة. أمّا ما يقال من أنّ العرب كانوا ينفرون من الزراعة و الصناعة خاصّة و يحتقرون من يشتغل بها ، فهم كانوا يقصدون الأعراب لأنّهم اعتادوا حياة الرعي. فقد كانت قبائل كثيرة مفرّقة بين الحضرة و البدو و الأعراب.<sup>3</sup> و في قول النبيّ صلّى الله عليه و سلّم: "أربعة من الأنبياء من العرب وهم إسماعيل و شعيب و صالح و هود و محمد".<sup>4</sup> و هذا دليل على قدم الجنس العربي لأنّ شعيبا وقومه كانوا بأرض مديّن وكان صالح وقومه ينزلون ناحية الحجر و كان هود و قومه عاد ينزلون الأحقاف و هم أهل عُمد.<sup>5</sup> و قد ذكر اسم العرب لأوّل مرّة في التّاريخ في نقوش ترجع إلى زمن شلمانصر

<sup>1</sup> ابن خلدون : المقدمة (ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصروهم من ذوي الشأن الأكبر)

دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان ، 2001 ، ص 151.

<sup>2</sup> البدو: هم القسم الأوّل من الأعراب الذي ذكرهم ابن خلدون و هم الذين كانوا ينزلون بين المدن و القرى و الصحراء.

<sup>3</sup> الألويسي : بلوغ الإرب ، ج 1 ص 8.

<sup>4</sup> رواه ابن حبان في صحيحه طبعة مؤسسة الرسالة، ج 2 ص 361. وعن الشيخ شعيب الأرنؤوط قال: إسناده ضعيف جدا.

<sup>5</sup> أنظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج 4 ص 97.

الثالث<sup>1</sup> سنة 854 ق.م والذي أورد في حديثه عن معركة قرقر اسما لشروخ عربي يدعى جندب. و النصّ الذي تركه

### جغرافية بلاد العرب و تاريخهم

هذا الملك يقول: " قرقر مدينته الملكية أنا خرّبتها، أنا دمّرتها، أنا أحرقتها بالنّار 1200 عربية حربية، 1200 فارس، 20000 جندي لآرام دمشق، 1000 جمل لجندبو العربي ".<sup>2</sup> كذلك

وجدت ألقاب الملوك القدماء على النقوش العربية القديمة و قد أضيف إليها لفظ (عربي)

فوجد في آثار العصر السبئي في جنوب الجزيرة العربية نقش يقول: " أنا ملك حضر موت العربي ". إلى جانب أنّ أبرهة - حاكم اليمن من قبل نجاشي الحبشة - أطلق اسم العرب في نقشه على أهل اليمن و سائر الجزيرة العربية ".<sup>3</sup>

### المبحث الثاني : طبقات العرب و دياناتهم القديمة

ينقسم سكان شبه الجزيرة العربية إلى ثلاث أقسام هي : العرب البائدة و العرب العاربة في الجنوب والعرب المستعربة في الشمال.

### المطلب الأوّل : العرب البائدة

سمّوا كذلك لأنّهم بادوا و لم يصلنّها من آثارهم شيء إلاّ ما ذكر في القرآن الكريم<sup>4</sup> و أخبار العرب<sup>1</sup>. ظهوروا قبل زمن إبراهيم<sup>2</sup> عليه السلام أي فيما قبل القرن التاسع عشر قبل الميلاد

<sup>1</sup> . شلمانصر الثالث ملك آشور و الذي حكم من (825\_860 ق.م).قاد حملة على ملك دمشق الآرامي و حليفه (أخاب) ملك إسرائيل و جندب أحد مشايخ العرب وقد اصطدم الجيشان في قرقر شمالي حماة.عن قاموس الكتاب المقدس ص516

<sup>2</sup> . محمد مبروك نافع : تاريخ العرب - عصر ما قبل الإسلام- القاهرة، 1949 ص 43، و فليب حتّي : موجز تاريخ العرب ، ص 66.

<sup>3</sup> . جواد علي : المفصل ج 2 ص 142.

<sup>4</sup> . في سورة الأعراف ، سورة هود ، سورة الأحقاف .

الميلاد و أشهر قبائلهم عاد و ثمود و طسم و جدیس و جرهم و العمالیق .<sup>3</sup> و بما أنهم قد

بادوا تماما ولا يستطيع أي عربي أن يرجع بنفسه إليهم لذا تجد أن معظم النسابین يرجعون

أصل العرب إلى عاربة ( القحطانيون ) و عرب مستعربة (العدنانيون) . أضف إلى ذلك أن

القرآن الكريم خاطب العرب بما كانوا يعرفون في أخبار الأمم التي بادت و انقرضت بعد أن

كانت لهم حضارات و أمجاد . فما جاء في القرآن الكريم عن عاد و ثمود ليس إلا أخبارا

عامة فُصدت بها العبرة الدينية . و أمّا أين كانت تقطن هذه القبائل ؟ و في أي العصور

عاشت ؟ و ما صلتها بمن كان يجاورها ؟ و من أين استمدت دياناتها ؟ فليس ما يدلّ على

شيء من ذلك دلالة واضحة لا في النصوص الدينية و لا في غيرها من كتب التاريخ

القديم. كما وردت أشعار و أمثال جاهلية تتحدّث عن هذه الأمم التي بادت في الجزيرة العربية

منذ أزمنة سحيقة، من ذلك قول شاعر المفضليات متمم بن نويرة في عاد<sup>4</sup> :

أَفْتَيْنَ عَادًا تَمَّ أَهْلَ مُحَرِّقٍ      فَنَوَّكْنَهُمْ بَدَدًا وَ مَا قَدْ جَمَعُوا

و قال زهير بن أبي سلمى في عاد أيضا<sup>5</sup> :

فَتَنْتَجِ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامٌ كُلُّهُمْ      كَأَحْمَرِ عَادٍ تَمَّ نُؤُضِعُ فَتَفْطَمُ<sup>1</sup>

<sup>1</sup> . المسعودي :مروج الذهب و معادن الجواهر ، دار التحرير ، 1967 ، ج 1 ص 231- 325 .

<sup>2</sup> . ولد إبراهيم عليه السلام في أور بالعراق غالبا حوالي 2000\_ 1950 ق.م.

<sup>3</sup> . أنظر ابن كثير :البداية و النهاية ، مكتبة المعارف بيروت ، 1991 ، ج2 ص 156.

<sup>4</sup> .المفضل الضبي : المفضليات ، تحقيق أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون، دار المعارف القاهرة، ط 6، ص53.

<sup>5</sup> . زهير بن أبي سلمى : الديوان، شرحه وقدم له أ.علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية بيروت ط 1،

1988،ص107.

و يقول الأعشى في وبار<sup>2</sup> :

وَمَرَّ دَهْرٌ عَلَى وَبَارٍ **جغرافية بلاد العرب وتاريخهم** فَهَلَكَتْ جَهْرَةٌ وَبَارٌ

أ . عاد:

حسب المؤرخين فإنّ منازل عاد كانت في بادية الأحقاف الواقعة بين صحراء الربع الخالي و جبال اليمن وعسير. و تعتبر قبيلة عاد أقدم القبائل العربية التي جاءت بعد قوم نوح استنادا إلى قوله تعالى: **وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً** <sup>3</sup> . و قال أيضا : **" وَأذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ "** <sup>4</sup> . و عاد قوم حباهم الله بالنعمة و منحهم فوق ذلك بسطة في أجسامهم و قوّة في أبدانهم ، شيّدوا أبنية شاهقة تدلّ على حضاراتهم و مدنيّتهم و إليهم تنسب إرم ذات العماد. غير أنّهم أفسدوا في الأرض و اتّخذوا أصناما لهم<sup>5</sup> . و فيها يقول أعشى بني قيس ابن ثعلبة :

<sup>1</sup> . أحمر عاد و هو عاقر الناقة و اسمه قدار بن سالف، قال الأصمعي: أخطأ زهير في هذا ، لأنّ عاقر الناقة من ثمود. و قال المبرد : ليس بغلط لأنّ ثمود يقال لها عاد الأخيرة . و معنى البيت : إنّ الحروب تولد لكم أبناء ، كلّ واحد منهم يضاهي عاقر الناقة في الشؤم ، ثمّ ترضعهم و تقطمهم فيصبحون شؤما على آبائهم .

<sup>2</sup> . الأعشى :الديوان الكبير تحقيق د.محمود إبراهيم الرضواني ،وزارة الثقافة و الفنون و التراث قطر، ط 1، 2010، ج2، ص157.

<sup>3</sup> . سورة الأعراف الآية 69.

<sup>4</sup> . سورة الأحقاف الآية 21.

<sup>5</sup> . يذكر ابن الأثير في الكامل في التاريخ ج1 ص48 " أنّهم كانوا أهل أوثان ثلاثة يقال لأحدهم ضرا و للآخر ضمور و للثالث الهباء". إلا أنّنا لم نجد من أين استقى أسماء هذه الأوثان.

أَلَمْ تَرَوْا إِرْمَاءً وَعَادًا      أَوْدَىٰ بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

بَادُوا كَمَا بَادَ أَوْلُوهُم      عَفَا عَلَيَّ إِثْرُهُمْ قَدَارًا<sup>1</sup>

و لما هداهم الله بنبيّه ليرشدهم إلى خالقهم ، قالوا كما يذكره القرآن الكريم<sup>2</sup>: " قَالُوا يَا هُوْدُ

**جغرافية بلاد العرب و تاريخهم**  
مَجِئْتَنَا بِنَبِيٍّ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي الْهَيْبَةِ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . "

فأنزل الله بهم العذاب الأليم و انتهى أمرهم و طمست أخبارهم قال عز و جل: " كَذَّبَتْ عَادٌ

فَكَيفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (18) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ( 19 )

تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْفَعِرٍ ( 20 ) " .<sup>3</sup> أي بعد ما نزل بهم قحط شديد أرسل الله

عليهم الرياح العاتية التي ظلت تسومهم العذاب الأليم سبع ليالي وثمانية أيام متتالية فأفناهم

جميعا إلا فئة قليلة لبّت نداء هود و أجابته إلى دعوته و نبذت عبادة الأوثان. و نجد بعض

المؤرخين<sup>4</sup> القدامى و من سار على نهجهم من المؤرخين المحدثين<sup>5</sup> أن في تفسيرهم للآية

الكريمة " وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ( 50 ) وَتَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ " <sup>6</sup> اعتقدوا بوجود عاد ثانية. و في

<sup>1</sup> . أبو زيد أحمد بن سهل البلخي( ت 322 هـ ) : البدء و التاريخ ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ، دار الكتب

العلمية بيروت لبنان ، ط 1 ، 1997 ، ص 229 . وفي ديوان الأعشى الكبير ، ج 2 ، ص 156 .

<sup>2</sup> . سورة هود الآية 53 .

<sup>3</sup> . سورة القمر الآيات 18←20 .

<sup>4</sup> . ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج 1 ص 48 \_ المسعودي : مروج الذهب ج 1 ص 313 .

<sup>5</sup> . علي إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط 6 ، 2005 ص 32 .

<sup>6</sup> . سورة النجم : الآيتين 50 . 51 .

الشعر الجاهلي نجد لقيط بن يَعْزُرُ الإيادي يحذرُ قومه إياد فيضرب المثل لهلاكهم كهلاك عاد و ينبههم إلى ما يعده لهم كسرى من جيش للانتقام منهم: <sup>1</sup>

سَلَامٌ فِي الصَّحِيفَةِ مِنْ لَقِيطِ      إِلَى مَنْ بِالْجَزِيرَةِ مِنْ إِيَادِ  
بِأَنَّ اللَّيْثَ كَسَرَى قَدْ أَتَاكُمْ      فَلَا يَشْعَلُكُمْ سَوْقُ النَّقَادِ <sup>2</sup>  
أَتَاكُمْ مِنْهُمْ سِتُّونَ أَلْفًا      يُرْجُونَ الْكَتَائِبَ كَالْجَرَادِ  
عَلَى حَقِّ أَتَيْتَكُمْ فَهَذَا      أَوْأَنْ هَلَكَكُمْ لِهَلَكَ عَادِ

### جغرافية بلاد العرب و تاريخهم

ب . ثمود \* :

يقول العالم بطليموس إنّ الأماكن التي كانت تستوطنها قبائل ثمود كانت مدينة أمن (omne) من جنوب العقبة إلى نواحي شمال ينبع بالقرب من المويلح و كذلك كان منهم جموع منتشرة في داخل البلاد إلى نواحي خيبر و فدك <sup>3</sup> . و قد أشار القرآن الكريم إلى مساكن قوم ثمود في قوله تعالى: " وَأَتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (81) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا أَمِينًا " <sup>4</sup> . أي أن قبيلة ثمود كانت تقيم في شمال بلاد العرب بين الحجاز و الشام فيما يعرف بالحجر . و كانوا يسكنون بيوتاً نحتوها في الجبال و لا تزال آثارهم المنحوتة في الصخور باقية شاهدة عليهم في المنطقة الممتدة من الجوف شمالاً إلى الطائف

<sup>1</sup> . ابن قتيبة: الشعر و الشعراء، حققه وضبط نصه د. مفيد قميحة و أ. محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 2000، ج 1 ص 99 \_ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج 1 ص 229.

<sup>2</sup> . النقاد : صغار الغنم و هي جنس منها قصار الأرجل قباح الوجوه تكون في البحرين ، الواحدة : نَقْدَ.

<sup>3</sup> . أ . ولفنسون : تاريخ اللغات السامية، دار القلم بيروت ، ط 1 ، 1980، ص 171.

<sup>4</sup> . سورة الحجر : الآيات 80←82.



جنوبا ، و من الأحساء شرقا إلى أرض مدين غربا <sup>1</sup>. و قد عاش الثموديون في رغد من العيش وسعة من الرزق ، و عُرفوا بالقوّة و العظمة حتّى كان الرومان يستأجرون منهم الجنود و العساكر في حروبهم <sup>2</sup>. و لما طغوا أرسل الله إليهم صالحا نبيا لينهاهم عن عبادة الأصنام فهزأت ثمود من نبيها وأبت أن تطيعه حتّى يأتي بمعجزة خارقة. فأخرج لهم صالح من الصخر ناقة و فصيله - بإذن الله - و أمرهم ألا يمسوها بسوء. إلا أنّهم عقروها فأرسل الله عليهم صيحة من السماء فأصبحوا في ديارهم جاثمين. و قد أشار الله تبارك و تعالى في كتابه العزيز إلى ما أصاب قوم ثمود بقوله عزوجل: **وَالْيَوْمَ أَخَاهُم صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ( 73 )** واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عادٍ وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتتحتنون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ( 74 ) قال الملائكة الذين استكبروا من قومهم للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أنّ صالحا مرسل من ربّه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون ( 75 ) قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ( 76 ) فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح انتنا بما تعدنا إنّ كنت من المرسلين ( 77 ) فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين <sup>3</sup>.

و استنادا لما ذكره الثعالبي في كتابه عرائس المجالس و الكسائي في كتابه قصص الأنبياء عن قبيلة ثمود العربية و أطوار قصتهم أنّها تركز على التحدي و طلب التعجيز في

<sup>1</sup>. جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج 1 ص 329.

<sup>2</sup>. أ . ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص 174.

<sup>3</sup>. سورة الأعراف : الآية 73←78.

مواصفات الناقة. كما يظهر أسطورية كيفية تحوّل الصخرة إلى ناقة في تصويرهم الدقيق لتفاصيل هذه المعجزة ثمّ عارضين للظروف التي حفت بعقر الناقة و ما آل إليه قوم ثمود من العذاب إلاّ من آمن بالله صالح. و قد أرجعت الأسباب في عقر الناقة إلى تأويلات كثيرة أهمّها احتكار الناقة و سقيها للماء ، فشرب يوم للناقة و شرب يوم لثمود و إبّلهم و أنعامهم و صراع العرب على موضع المياه. و لا شكّ أنّ الماء مدخل إلى فهم معنى الصراع الذي انطوت عليه قصة ثمود ، إضافة إلى الاعتقاد في الجماد أي الصخر كآلهة . و تمثلت المعجزة أنّ الإله القادر على إخراج من الصخر ما هو حيّ ثمّ يتمخض **لؤلؤ** سبق له هو المعبود الحقيقي خاصّة أن **جغرافية بلاد العرب و تاريخهم** ، ففتحوا في الجبال مساكن لهم و آلهتهم من الحجارة فجاءت معجزتهم مثل ما يؤمنون به. و للعرب أشعار تروي قصة ثمود منها قول بعضهم <sup>1</sup>:

وَ قَالَتْ أُمُّ عَنَمٍ يَا قِدَارُ      عَزِرُ ثَمُودَ شُدًّا وَ لَا تَهَابَا  
 إِنَّ أَنْتَ عَفَرْتَهَا وَ أَرَحْتَ مِنْهَا      بِلَادَ ثَمُودَ أَنْكِحَكَ الدَّبَابَا  
 وَ نَادَى صَالِحٌ يَا رَبِّ أَنْزِلْ      بَالِ ثَمُودِ مِنْكَ عَدَاً عَدَابَا  
 فَكَانَتْ صَيْحَةً تَرَكَّتْ ثَمُودًا      دِيَارَهُمْ لثَالِثَةِ خَرَابَا

و قال أمية بن أبي الصلت <sup>2</sup>:

كَثُمُودِ الَّتِي تَفَتَّكَتِ الدِّيبَ      مِنْ عُنْيَا وَ أُمِّ سَفْبِ عَقِيرَا

<sup>1</sup> . بن سهل البلخي : البدء و التاريخ ج 1 ص 229 .230.

<sup>2</sup> . أمية بن أبي الصلت : شرح الديوان ، قدّم له و علّق على حواشيه سيف الدين الكاتب و أحمد عصام الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ، ص 43 .

## ج . طسم و جدیس :

كانت مساكن طسم و جدیس في اليمامة و الملك عليهم من طسم ثم انتقل الملك إلى جدیس. و لم يدون عن هاتين القبيلتين شيء إلا حقيقة هلاكهما و الأسباب التي أدت إليه. حيث تذكر بعض المصادر العربية<sup>1</sup> أن السيادة كانت في طسم حتى ولي أمرهما رجل ظلوم غشوم ، استذل قبيلة جدیس و انتهك أعراض نساءها فقررت جدیس الانتقام و القضاء عليه ، و ذكر أن هاشتنبك الطرفان في معركة شديدة ، دارت خلالها مذبحه رهيبه ، و لم ينج منهم إلا رجل اسمه "رياح بن مرة" سار إلى تبغ حسان بن عمرو ملك اليمن مستجدا به فسار معه بجيشه ، فأفناهم و هدم قصورهم و حصونهم. إذ نجد الأعشى يسرد قصتهم في أشعاره<sup>2</sup>:

وَ مَرَّ دَهْرٌ عَلَى وَبَارٍ      فَهَلَكْتَ جَهْرَةً وَبَارُ  
وَ حَالَ عَلَى جَدِيسِ يَوْمٍ      مِنْ الدَّهْرِ مُسْتَطَارُ  
وَ أَهْلُ جَوْ أَتَتْ عَلَيْهِمْ      فَأَفْسَدَتْ عَيْشَهُمْ فَبَارُوا<sup>3</sup>  
وَ قَبْلَهُمْ غَالَتِ المَدَايَا      طَسْمًا وَلَمْ يُنْجِهِمْ حِدَارُ  
بَادُوا كَمَا بَادَ أَوْلُهُمْ      عَفَا عَلَى إِثْرِهِمْ قِدَارُ

<sup>1</sup> . الطبري : تاريخ هج 1 ص 451 . 453 ، ابن الأثير : التاريخ الكامل ج 1 ص 203 ، 205 ، ابن هشام : السيرة ج 1 ص 15 ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 5 ص 442 .

<sup>2</sup> . ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق محمود إبراهيم الرضواني ، مطبعة الثقافة الفنون و التراث قطر ، ط 2010 ، 1 ، ص 157-158 .

<sup>3</sup> . باروا : هلكوا . جَوْ : الاسم القديم لليمامة .

و هكذا كان فناء طسم على أيدي جديس و فناء جديس على أيدي الحميريين و صارت القبيلتان من العرب البائدة. و نذكر أنه لم يرد ذكر اسم هاتين القبيلتين في القرآن الكريم ، مما جعلنا لا نتوصل لمعرفة دينهم. فهل كانوا وثنيين مثلهم مثل عاد و ثمود و أغلب القبائل التي عاشت في هذه الفترة أم كانوا على دين آخر.

#### د . حضورا:

أما حضورا فقد ذكر الإخباريون أنهم كانوا يقيمون بالرسم ، و هو إما موضع بحضرموت أو اليمامة أو بناحية صهيد و كانوا يعبدون الأوثان . بُعث إليهم نبيّ منهم اسمه (شعيب بن ذي مهرع ) فكذبوه و هلكوا. و قد ورد في القرآن الكريم أصحاب الرسّ مع عاد و ثمود مرة

و مع قوم نوح مرة أخرى. و ذهب فريق آخر إلى القول بأن نبيهم هو خالد بن سنان و أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلّم قد تحدّث عنه فقال " ذاك نبيّ ضيّع هقومه"<sup>1</sup> , و ذهب فريق

ثالث إلى أنّه حنظلة بن صفوان. و الرأيين الأخيرين غير واردين لأنّ خالد بن سنان

و حنظلة بن صفوان لم يكونا نبيّين بدليل ذكر النبي صلى الله عليه و سلّم الأنبياء العرب.

#### هـ . العماليق:

ينسب العماليق إلى عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح<sup>2</sup> و هم يعتبرون من أقدم قبائل العرب الصرحاء الذين انتشروا في جهات متفرقة من جزيرة العرب.

#### المطلب الثاني : العرب العاربة

<sup>1</sup> . حديث ضعيف السند، ويعارضه ما جاء في الصحيحين أنّ النبيّ (ص) أخبر أنّه ليس بينه و بين عيسى عليه السلام

نبيّ ، و خالد بن سنان العبسي كان يدعو قومه إلى دين التوحيد و لكن ليس بنبيّ.

<sup>2</sup> . ابن قتيبة : المعارف ص 13 , 14.

## أ . دولة معين\* :

هي دولة عربية قامت في منطقة الجوف بين نجران و حضرموت و هي منطقة اشتهرت بنخيلها و أخشابها و مراعيها ، بالإضافة إلى الجبال التي كانت تحيط بها من جهات ثلاث، ممّا يكوّن حماية طبيعية لها. و قد ساعدت تلك العوامل الطبيعية على أن تكون منطقة الجوف هذه مركزا هاما للحضارة في اليمن القديم. إذ يستشهد الهمذاني لذلك بقول مالك بن حريم:<sup>1</sup>

**جغرافية بلاد العرب و تاريخهم**  
سَرَحَمِي الْجَوْفَ مَا دَامَتْ مَ عَيْنُ يَأْسَفَلْتَهُ مَقَابِلَةَ عِرَادَا

أمّا عن الحدود الزمنية لتاريخ دولة معين ، فقد ظلّ موضع اختلاف كثير من الدارسين. و اتّجه الرّأي بين العلماء إلى أنّ بداية الدولة ما بين 1500- 1200 ق. م و أنّها استمرت حتى عام 700 ق.م. اشتهر المعينيون بأنّهم قاموا بدور فعّال في إنماء التجارة مع الشمال. و قد كشف لنا عن هذه الحقيقة نقش عُثر عليه في موقع العلا في شمال غرب الجزيرة العربية حيث أقامت معين لها في هذه البلدة مستوطنة تجارية. و يتّضح لنا أنّ معين كانت تمارس تجارتها عن طريق شبكة متقنة من المحطات التجارية المنتشرة على مراحل. كما تدلّ النقوش المصرية القديمة و الكتابات اليونانية على وجود علاقات تجارية كبيرة بين الدول المعينية و بين كل من مصر الفرعونية و اليونان، فكانت القوافل التجارية تحمل البخور و المرّ إلى تلك البلاد، إلى جانب ما يرد إليها من منتجات من الشرق الأقصى عبر المحيط

<sup>1</sup> . الهمذاني : صفة جزيرة العرب ، ص 117.

\*عرفت بطون معين في العبرية بلسم معونيم .

الهندي.<sup>1</sup> و خلال القرن الأول ق.م ازداد شأن سبأ في الوقت الذي ضعفت فيه معين حتى استطاعت سبأ في النهاية أن تبتلعها واحدة بعد الأخرى . و قد لاحظ بعض الباحثين و منهم ( وينكلر، و هومل ودوفتري ) أنّ بعض مظاهر الحضارة المعينية تشبه حضارة البابليين، فالإلهان " شماش وعشتروت " البابليين يشبهان الإلهين " شمس و عشتار " اليمانيين<sup>2</sup>. ممّا رجّح احتمال أنّ المعينين جاءوا اليمن بعد نزولهم العراق و اقتباسهم شيئاً من تمدن السومريين أو البابليين و ديانتهم. و من آلهة معين "ود" و "نكرح" و "عشتار" و ترد أسماء هذه الآلهة الثلاثة في الكتابات المعينية على هذا الترتيب ( عشتار، ود، نكرح ) في الغالب ، و ترد بعدها في بعض الأحيان جملة ( الألت معن ) أي آلهة معين. أما " نكرح " فيظهر أنّه رمز إلى الشمس و هو يقابل " ذات حمم , ذات حميم " في الكتابات السبئية. أمّا " ود " فقد ظلت عبادته معروفة في الجاهلية إلى وقت ظهور الإسلام و قد ورد اسمه في القرآن الكريم سورة نوح الآية 23 . و قد نعت "ود" في بعض الكتابات بنعوت مثل ( الاهن ) " الهن " أي " الإله " و " كلهن " ( كاهن ) ( كهلان ) أي القدير المقنن. و كتب اسم " ود " بحروف بارزة على جدران في القرية " قرية الفاو " و ذلك يدلّ على عبادته في هذه البقعة. و يرمز "ود" إلى القمر بدليل ورود جملة " ودم شهرم " " ودم شهران " أي " ود الشهر " في بعض الكتابات. و معنى كلمة " شهرم " شهر و الشهر القمر. و تمثّل هذه

<sup>1</sup> . جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج 1 ص 397 . 398.

<sup>2</sup> . د. محمد إبراهيم الفيومي : تاريخ الفكر الديني الجاهلي ، دار الجيل بيروت لبنان ، ط 1 ، 1999 ، ص 96.

الآلهة المعينية ثالوثا يرمز إلى الكواكب الثلاثة ( الزهرة ، الشمس و القمر ) <sup>1</sup> يعبدونها من دون الله .

## ب . مملكة قتبان :

كانت مملكة قتبان تقع في النواحي الغربية من بلاد اليمن ، و كانت تقوم بينها و بين البحر مملكة أوسان الصغيرة و أهمّ مدنها شقرة على ساحل المحيط الهندي <sup>2</sup> . يرجع تاريخ القتبانيين إلى سنة 1000 ق.م على الأقل و عاصمتها " تمنع " و هي قرب باب المنذب . و استفاد القتبانيون من موقعهم الجغرافي و مجاورتهم لحضرموت التي تنتج خير أنواع البخور ، فجنوا ثروة كبيرة و صارت لهم قوة عظيمة حدّت من نفوذ المعينيين <sup>3</sup> . كذلك تدلّ الآثار التي خلفتها لنا دولة قتبان و اكتشفت في منطقة " تمنع " (تمنا) التي تقع في وادي بيجان، على مدى الاهتمام الذي حظيت به الزراعة على يد حكام تلك المملكة. و قد كشفت الحفائر شبكة كاملة من السدود تتّصل بها قنوات و صهاريج لتوفير المياه لرقعة واسعة من الأراضي. <sup>4</sup> و كان الملك يحمل لقب " مكرب " يعني أنّه كان ملكا كاهنا، أي أنّ له مرتبة دينيّة . كما كانت العلاقة بين ملوك قتبان و بين كهان المعابد التي تعدّت 65 معبدا في العاصمة **تمنا** قوية لدرجة أنّ الدولة منحت إدارة المعابد حقّ استغلال أراضي الدولة ، و فرضت على القبائل ضريبة بلغت عشر دخلها تقدّم للمعابد كهبة ، ذلك أنّ كهنة المعابد

<sup>1</sup> . درنية عاقل : تاريخ العرب القديم و عصر الرسول . طبعة دار الفكر بيروت ط 3 سنة 1975 . ص 92 .93 .

<sup>2</sup> . جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ج 2 ص 171 .172 .

<sup>3</sup> . د. صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم و البعثة النبوية ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر بيروت، ط2، 2003، ص 21 .

<sup>4</sup> . سبتيانو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، دار الرقي بيروت ، 1986 ، ص 199 .

كانوا يسمّون "المطعمون من الله" و "المطعمون على يدِ عَمّ" ، و "عم" هو كبير آلهة قنبان الذي يرمز للقمر، لاعتقادهم أنّ الله قد فوضهم في إدارة أراضيه الدنيوية، و أنّ الضرائب التي يحصلون عليها من القبائل إنّما هي دخل الله سيّد الأرض<sup>1</sup> . و من آلهة قنبان أيضا "عثر".

### ج . دولة حضرموت: (1020 ق.م . 290 م)

تقع حضرموت إلى الشرق من اليمن على ساحل بحر العرب. و من الواضح أنّ تفسير كلمة حضرموت يعتمد على المعنى الظاهر من المقطع الثاني للكلمة وهو "موت" . فياقتوت الحموي يذكر أنّ حضرموت اسم لرجل هو "عامر بن قحطان" و أنّه كان إذا حضر حربا أكثر فيها القتل. و هناك تفسير آخر لها أنّها سمّيت على اسم " حضرموت بن قحطان " الذي نزل هذا المكان فسمّيت به، فهو اسم موضع و اسم قبيلة.<sup>2</sup> و يذكر أحمد أمين سويلم تفسيراً آخر لهذه التسمية قدّمه الدكتور مصطفى العبادي: إنّ اسم حضرموت نسبة لأحد الآلهة السامية القديمة و هو "موت"، باعتباره إله العقم و العالم السفلي الذي حاربه بعل إله الخصب و النماء في أساطير أوجاريت.<sup>3</sup> و فيما يتّصل بالتحديد الزمني لعصر دولة حضرموت فليس

<sup>1</sup> . أنظر ديتلف نلسن: التاريخ العربي القديم (مترجم) ص 149. عن العرب قبل الإسلام لد. محمود عرفة محمود، دار الثقافة العربية القاهرة مصر، 1998، ص 154.

<sup>2</sup> . ياقتوت الحموي : معجم البلدان ج 2 ص 270.

<sup>3</sup> . د. أحمد أمين سليم : معالم تاريخ العرب قبل الإسلام ، مكتبة كريدية أخوان بيروت د.ط ، د.ت ، ص 74.



هناك اتفاق على بدايته ونهايته. و من أشهر مدنها مدينة " مذنب " أو " مذاب " و التي اشتهرت بمعبدتها الذي خصّ لعبادة إله القمر " سين " .<sup>1</sup>

و من النقوش التي تتصل بمدينة " شبوة " <sup>2</sup> نقش تحدّث فيه صاحبه و هو " يدع ال بين بن رب شمس " و ذلك حوالي 200 م وفيه وصف نفسه على أنّه من أحرار يهبار و أنّه عمّر مدينة شبوة و أقام فيها ، و بنى معبدها من الحجارة بعد الخراب الذي حلّ بها ، و قد أمر بتقديم القرابين في حصن أنود للآلهة شكرا و احتفالا بهذه المناسبة فذبح 35 ثورا ، 82 خروفا ، 25 غزالا ، 8 فهود.<sup>3</sup> و في كتابة حضرمية من أيام (معبد يكرب) ورد فيها اسمه واسم ( شهر علق بن صدق آل) ملك حضر موت ، و اسم ( أب يدع يثع ) ملك معين.

و قد تقرب فيها صاحبها إلى الإله ( عتتر ذ قبضم ) ( عتتر ذي قبض ) ببناء برج موضع (حرف)، و تيمّن فيها أيضا بذكر الآلهة: (عتتر شرقن) (عتتر الشارق) و(ود) و(نكرح)<sup>4</sup>.

و تشير هذه الكتابات إلى الروابط المتينة التي كانت بين العرشين: عرش حضرموت و عرش معين. و في كتابة أخرى ورد فيها اسم ( يدع ايل بين )، و قد ذكر فيها أنّ هذا الملك بنى و حصّن سور مدينة ( شبوة ) ابتغاء وجه الإلهتين: ( ذات حشولم ) ( ذات حشولم ) ( ذات

<sup>1</sup> . في كتابة سجلها رجلان يدعى أحدهما ( عذ زم بن أب انس ) ( عذ زين أب انس ) و يدعى الآخر ( رب آل بن عذم لت ) ( رب ايل بن عذم لات ) ذكر فيها أنّهما قدّما إلى معبد الإله ( سن ذ علم ) ( سين ذي علم ) في معبده ( علم ) المشيد في مدينة شبوة سبعة تماثيل من الذهب ( سبعة أصلم ذهبن ) كما أمرهما سيدهما الملك ( العزليط ) ( العذليط ) . و يظهر أنّهما كانا من حاشيته و أتباعه. عن جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ج 2 ص 144 و ما بعدها.

<sup>2</sup> . كان في شبوة ستون معبدا و في المعابد أصناما يقدّم لها البخور الذي يحرق على مذابح من الرخام.

<sup>3</sup> . جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ج 2 ص 147.

<sup>4</sup> . جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ج 2 ص 67 عن المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج 2 ص 136 .

حشول) و( ذت حم) ( ذات حميم )<sup>1</sup>. و في اللوح النحاسي المحفوظ في المتحف البريطاني اسم ملك من ملوك حضرموت هو ( صدق زخر يون ) ( صدق زخر بران ) و والده ( الشرح ) و قد ذكر فيه أنّ هذا الملك قدم نذورا إلى الآلهة: ( سين ) و ( علم ) و ( عثر ) لخيره و لخير شبوة و لخير أولاده و أفراد أسرته.<sup>2</sup>

#### د . مملكة سبأ :

يمتدّ عصر السبئيين بين 950-115 ق.م على وجه التقريب وعاصمتهم قلعة صرواح

ثمّ مأرب و يمكن تقسيم حكم سبأ في اليمن إلى ثلاثة أدوار، و ذلك حسب الأسماء التي

كانت تطلق على الملوك السبئيين . ففي الفترة الأولى و التي امتدّت من 650-950 ق.م

كانوا يطلقون على رؤسائهم لقب "مكرب" و هي كلمة دينية تعني المقدّس ، ثمّ تلتها الفترة

الثانية التي أصبح رؤسائهم فيها يلقّبون " بملوك سبأ " ، وفي الفترة الثالثة كانوا يلقّبون

رؤسائهم بلقب " ملك سبأ و ريدان " .<sup>3</sup>

تعبد السبئيون كسائر الدول العربية الجنوبية القديمة الإله "المقه" و الدليل على ذلك ما وُجد

من نقوش تدلّ على الملوك التي قدّمت البخور و المرّ للاله "المقه"، مثل المكرب "سمع علي"

حوالي 780-800 ق.م . و قد خلفه ابنه " يدع إيل ضريح " و هو الذي بنى معبداً آخر

للمقه في صرواح عاصمة مكارب سبأ ، كما بنى معبداً آخر للمقه و كذلك " لعثر " في مأرب

<sup>1</sup> . المرجع نفسه ج 2 ص 146 .

<sup>2</sup> . نفسه ج 2 ص 152 .

<sup>3</sup> - صالح أحمد العلي : تاريخ العرب القديم و البعثة النبوية ، ص 23 .

و قد تلى هذا المكرب " يثعمر " و "ونز" الذي بنى معبدا لإله القمر " حوباش " في دابر<sup>1</sup> .  
و يحدّثنا النّقش الذي سجّله " يثع كرب" كاهن الآلهة عن شروط الصلح التي وضعت بين  
سبأ و قنبان على عهد الملك " يثع أمر بين " في وثيقة دوّنت في مأرب ، ثم وضعت في  
معبد الإله " الموقاه" تمجيدا لإله سبأ الكبير.<sup>2</sup> و اهتّم الملك " نشأ كرب يهأمن" بترميم تماثيل  
الإله "عثر ذي ذب" بعد أن أصابها بعض التآلف ، كما خصص لإلهة الشمس الفائقة التي  
عُرِفَت بلسم " تتف ربه ذي غفران" أربعة و عشرين وثنا، ملتصقا منها إبعاد الضرّ عنه و عن  
أهل بيته و مملكته. و قدّم الملك "أبو كرب بن أسلم" تماثيلين من البرونز للإله "الموق اه"  
تعبيرا عن شكره العميق لمساعدة الإله في التصدي لهجمات الأعراب الذين أغاروا على  
جماعة من السبئيين ، و ذلك طبقا للنقش الذي عثر عليه في منطقة مأرب<sup>3</sup> . و من أهم  
أسباب زوال مملكة سبأ تصدّع سدّ مأرب لأنهم عاثوا في الأرض فسادا بسبب كثرة نعمهم ،  
فكفروا بالله الرازق و الواهب للنعم . فتهدّم السدّ و فاض السيل العرم و حلّ الخراب . و قد  
نسج العرب قصصا كثيرة حول سبب تصدّع السدّ، لقولهم تعالى : " لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ  
أَيَّةٌ جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ( 15 )  
فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن  
سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ" .<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - المرجع نفسه بتصريف ص 23 .

<sup>2</sup> - جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 2 ، ص 320 .

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ج 2 ص 327-329

<sup>4</sup> . سورة سبأ : الآيات 15 . 17.

هـ . مدين \* :

تحدّث القرآن الكريم<sup>1</sup> عن المديانيين وعن نبيهم شعيب عليه السلام و وفقا لما جاء به فإنّ شعيبا أتى مدين و أصحاب الأيكة ، فنهاهم عن عبادة الأوثان و أمرهم أن يقيموا الوزن بالقسط و لا يخسروا الميزان و بالتالي اكتشفنا أنّ مدين كانت قرية من أرض معان تمتدّ من خليج العقبة إلى مآب و طور سيناء . و حسب التوراة أنّ مواطن المديانيين إنّما كانت تقع إلى الشّرق من العبرانيين ، و يبدو أنّهم توغّلوا في المناطق الجنوبية لفلسطين. غير أنّنا لم نتمكّن من معرفة أين و كيف استمدّوا ديانتهم الوثنيّة و أيّ الأوثان كانوا يعبدون .

**جغرافية بلاد العرب و تاريخهم**  
و كإشارة لوثنيّتهم و كفرهم بالله الواحد الأحد نجد أنّ الله تعالى بيّن لنا أنّ أهل مدين ساروا على نهج قوم عاد و ثمود رافضين أن ينتهوا عن عبادات أسلافهم في قوله تعالى : " وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيبًا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (94) كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا آلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ"<sup>2</sup>.

و إذا ما علمنا أنّ عصر الخليل عليه السلام كان ( 1765-1940 ق.م) فيمكننا القول أنّ شعيبا النّبي وقومه إنّما كانوا يعيشون بعد القرن الثامن عشر قبل الميلاد . وخاصة أنّ التوراة تذكر أنّ مدين كان من ولد الخليل عليه السلام من زوجته قطورة الكنعانية و الراجح أنّ عصر شعيب عليه السلام كان قبل عصر موسى.

\* - كان أهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم "مدين" التي تقع في أطراف بلاد الشام مما يلي الحجاز ، قريبا من بحيرة لوط - عن ياقوت الحموي معجم البلدان ج 5 ص 77 .

<sup>1</sup> - في سورة الأعراف الآية 85 و يونس و هود الآية 87 و الحج و العنكبوت .

<sup>2</sup> - سورة هود الآيتان 94-95

## و. دولة الحميريين<sup>1</sup>:

كانت بلاد حمير تقع بين منطقة نفوذ مملكة سبأ و بحر القلزم<sup>2</sup>، ما يسمى بريدان .  
و لم تلبث دولة حمير أن ازدهرت و قويت شوكتها فتغلب الحميريون على السبئيين و صار  
ملوك حمير يلقبون " ملك سبأ و ذو ريدان" و بذلك قامت دولة حمير سنة 115 ق.م ،  
و اتخذت ظفار عاصمة لدولتهم.<sup>3</sup> و بعد تغلبهم على حضرموت سنة 300 م أصبح ملوكها  
يلقبون " بملك سبأ و ذو ريدان و حضرموت و يمناة".<sup>4</sup> ساعد موقع بلاد حمير قرب السواحل

**جغرافية بلاد العرب و تاريخهم**  
أن يهيمنوا على الموانئ و بالتالي على التجارة بين عدن و الشمال و بلاد الأحباش.

أمّا بالنسبة لديانتهم فلم تكن في بادئ الأمر تختلف عن ديانات بلاد اليمن فأغلبها كانت  
وثنية.بالدليل أنّ بعد دخول الأحباش سنة 340م إلى بلاد حمير قام رجال الدين المتعصبين  
للوثنية بإثارة اليمنيين على مقاومة الأحباش النصارى و استطاعوا إخراجهم سنة 378 م  
و إعادة الوثنية الى مكانتها الأولى .

وقد دخلت بلاد الحميريين ديانات خارجية كاليهودية التي بدأت تعرف طريقها الى بلاد اليمن  
منذ تدمير القدس على عهد " تيتوس " سنة 70م، و ازداد انتشارها خلال القرنين الرابع  
و الخامس الميلاديين<sup>5</sup>. و تبني بعض الملوك المتأخرين من حمير اليهودية حيث يذكر  
نشوان بن سعيد أنّ تبع بن حسان هو الذي أدخل اليهودية لليمن إذ يقول: " كانت اليهودية

<sup>1</sup> . أنظر للتوسّع في أخبار الحميريين كتاب " التيجان من ملوك حمير " لوهب بن منبه.

<sup>2</sup> - أوليري : جزيرة العرب قبل محمد ص 96 , عن

<sup>3</sup> - ياقوت الحموي : معجم البلدان ج4 ص 100-101

<sup>4</sup> - 60 - hitth, history of the arabs عن جواد علي : المفصل في تاريخ العرب.

<sup>5</sup> - الرجوع لتاريخ اليهود في بلاد العرب لإسرائيل ولفنسون .

في حمير و بني كنانة و بني حارث بن كعب".<sup>1</sup> و يؤكد عدد من المؤرخين<sup>2</sup> أنّ آخر ملوك حمير كان يهوديا و هو ذو نواس الذي اعتلى العرش ما بين ( 515-525 م). وهو الذي

وقف في وجه رهبان المسيحية و تصدّى لمحاولة نشر المسيحية بين رعايا الدولة و لغزو الأحباش. و أغار على نجران معقل المسيحية في بلاد العرب الجنوبية و استولى عليها بعد حصار دام سبعة أشهر ، وانتقم من أهلها شرّ انتقام<sup>3</sup>. و قد أشار القرآن الكريم<sup>4</sup> إلى حادثة

**جغرافية بلاد العرب و تاريخهم**  
الأخدود التي يرجّح عدد من الإخباريين تاريخ حدوثها بعصر ذي نواس. حيث يروى أنّ ذي نواس أمر بشقّ أخدود في الأرض و أحضروا وقودا و حطبا ثم أشعلوا النّار و أخذوا النصارى مقيدّين يلقونهم في لهيبها ، حتّى خلت نجران من النصارى ، و لم يبقى بها غير اليهود.<sup>5</sup>

هذه الحادثة يمكن تلويحها لعدة تفسيرات منها أنّه قد يكون ذي نواس قام بقتل النصارى نتيجة تعصب ديني حين دان باليهودية ، و قد تكون هناك دوافع أخرى سياسية ، أو لعلّ اليهود حرّضوا ذي نواس على قتل المسيحيين انتقاما من البيزنطيين الذين قاموا باضطهاد اليهود. وجدير بالملاحظة أنّ ذا نّواس لو دان باليهودية فلمّا لم يحارب الوثنية التي ظلت منتشرة في بلاده حتّى ظهور الإسلام ؟ كلّها تساؤلات سببها الشكّ في صدق هذه الرواية .

<sup>1</sup> - نشوان بن سعيد : شرح القصيدة الحميرية ، ص 524

<sup>2</sup> - أنظر ابن كثير البداية و النهاية ج 2 ، ابن الأثير في الكامل في التاريخ ج 1 ، المسعودي مروج الذهب ج 1 ، إسرائيل ولفنسون تاريخ اليهود في بلاد العرب .

<sup>3</sup> - أنظر ابن كثير : البداية و النهاية ج 2 ص 129-131

<sup>4</sup> - سورة البروج الآيات 4-8 ( و الملاحظ أنّه لم يُذكر في القرآن الكريم تاريخ هذه الحادثة أو أيّ ديانات التوحيد عُدّب معتقوها ، الدليل الوحيد فقط هو لفظ المؤمنين ) .

<sup>5</sup> - ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج 1 ص 252

و حادثة التنكيل بأهل نجران اتخذها إمبراطور الروم جستين الأول (518-527 م) ذريعة

للتدخل في بلاد اليمن . فبعث إلى النجاشي الحبشي يطلب منه غزو اليمن و القضاء

على ذي نواس عدو المسيحية . و استطاع أن يهزم الحميريين سنة 525 م، و في هذا الصدد

يشير نقش حصن غراب الى أن الأحباش استولوا على اليمن و قتلوا الملك ذا نواس

و أفياله.<sup>1</sup> و لما استتب الأمر لأبرهة و فرض سيادته على بلاد اليمن انصرف إلى نشر

المسيحية متخذاً من نجران مركزاً للرهبنة و معقلاً للمسيحية هناك . و فضلاً عن ذلك اهتم

ببناء الكنائس في الجهات الجنوبية من جزيرة العرب و أشهرها كنيسة " القليس " <sup>2</sup> المشهورة

التي كانت سبباً في غزو أبرهة لمكة و محاولة هدمها . و سمي هذا العام بعام الفيل ، حيث

ولد فيه أشرف الخلق محمد صلى الله عليه و سلم .<sup>3</sup> و في هذا اليوم قام عبد المطلب فأخذ

بحلقة باب الكعبة و أنشد :

يَا رَبُّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبُّ فَلَمَنْعَ مِنْهُمْ حِمَاكَ

إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ إِمْنَعَهُمْ أَنْ يُحْرِبُوا فِنَاكَ<sup>4</sup>

### المطلب الثالث : العرب المستعربة

<sup>1</sup> - ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ و الخير ج 2 ص 59 - الطبري : تاريخ الرسل و الملوك ج 2 ص 125 .

<sup>2</sup> - أقامها في صنعاء و قد بالغ أبرهة في الاتفاق على إنشاء هذه الكنيسة ، فاستعمل في بنائها طبقات من الأحجار المتلونة لها بريق و نقشها بالذهب و الفضة و الفسيفساء و ألوان الأصباغ و صنوف الجواهر، كما أمر برش جدرانها بالمسك و تزويدها بالصلبان المذهبة و المفضضة.

\* - أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 4 ص 394 - 395 و النويري : نهاية الإرب ج 1 ص 182-183 .

<sup>3</sup> - القصة ذكرت في القرآن الكريم سورة الفيل - و في الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 1 ص 260 و مروج الذهب للمسعودي ج 1 ص 382.

<sup>4</sup> - ابن هشام : السيرة النبوية ، ج 1 ص 52 .

## أ . مملكة الحيرة :

قيل أنّ الحيرة سميّت كذلك نسبة للحوار و هو البياض لبياض أبنيتها , و يميل بعض المؤرخين إلى أنّ التسمية ترجع في الأصل إلى الاشتقاق من ك لمة herta السريانية و معناها المخيم أو المعسكر .<sup>1</sup> تقع الحيرة على ضفة الفرات الغربية في حدود العراق من البادية بينها و بين الكوفة ثلاثة أميال .<sup>2</sup> و كانت عاصمة المناذرة و كان للفرس شيء من السيادة عليهم ، فلم تكن للعرب وحدهم بل كان فيها سكان من شعوب كثيرة يقصدونها للتجارة . و قد قسم سكانها إلى ثلاثة أقسام ( التتوخيون و العباد و الأحلاف ) . فالتتوخيون هم العرب الذين وفدوا إليها من اليمن مع مالك بن فهم وج ذيمة الأبرش . و العباد هم نصارى الحيرة من العرب أيضا و كانوا من قبائل مختلفة مثل التتوخيين , و قد اجتمعوا على النصرانية في الحيرة و كانوا نسطوريين في نصرانيتهم مثل نصارى الشرق من الفرس و غيرهم . و كان لهم في الحيرة بيعة كبيرة تولاها عدّة أساقفة .<sup>3</sup> والأحلاف سكان الحيرة من غير العرب ، و كانوا من شعوب مختلفة مثل الفرس و الروم وغيرهم .<sup>4</sup> كما اشتهرت الحيرة بقصور عجيبة من أعظمها قصر الخورنق و السدير<sup>5</sup> اللذان تغنّى بهما شعراء العرب حتّى قالوا :

" يوم و ليلة في الحيرة خير من دواء سنة ."<sup>1</sup> و قال عاصم ابن عمرو :<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ج 4 ص 6

<sup>2</sup> - ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 2 ص 328

<sup>3</sup> - و قد ورد اسم الحيرة في المجمع الكنسي المنعقد عام 410 م حيث وقع قرارات هذا المجمع الأسقف " هوشع " تحت اسم " أسقف حيرتة " عن جواد علي : المفصل في تاريخ العرب , ج 3 ص 157 .

<sup>4</sup> - المرجع نفسه ج 3 ص 166 .

<sup>5</sup> - يقول عنهم المنخل :



صَبَحْنَا الْحَيْرَةَ الرُّوحَاءَ حَيًّا وَ رَجُلًا فَوْقَ أُنْبَاجِ الرِّكَابِ  
حَضَرْنَا فِي نَوَاحِيهَا قُصُورًا مُشْرِفَةً كَأَضْرَاسِ الْكِلَابِ

و من أهم ملوك الحيرة جذيمة الأبرش الذي ادعى الكهانة, و يبدو أن جذيمة هذا كان وثنيا, جعل من الفرقدين و هما صنمين نديمان له وسمّاهما الضيزنين و كان يستسقي بهما و ييسّتنصر بهما على العدو<sup>3</sup>. و قد ظل هذان الصنمان حتّى أيّام المنذر بن ماء السماء , حيث نقلهما و أقامهما على باب الحيرة<sup>4</sup>. ينحني لهما الداخلون إلى المدينة كما كانوا يحلفون بسد وهو صنم كان في الحيرة<sup>5</sup>. و لا نعلم تفاصيل عن هذه الآلهة أو عبادتها . و بجانب هذا فقد كانوا يعبدون العزى و قد ورد أن المنذر في عام 544 م قدّم أحد أولاد الحارث الأمير الغساني كقربان للآلهة العزى و ذلك بعد أسره في قتال مع الغساسنة<sup>6</sup>. كما أسر أربعمئة امرأة غسانيات قدّمهنّ ضحايا للآلهة العزى<sup>7</sup>. و يهوى أن المنذر نفسه تتصرّف, فقد كانت زوجته هند نصرانية و إليها ينسب دير هند الذي تتسكّت و دفنت فيه. وعلى صدر الدير نقش هذا نصّ هـ: "بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الأملاك و أم الملك عمرو بن المنذر أمة المسيح و أم عبده و بنت عبده

وَ إِذَا صَحَوْتُ فَأَيْنِي رَبُّ الشُّرَيْبَةِ وَ الْبَعِيرِ  
وَ إِذَا سَكَرْتُ فَأَيْنِي رَبُّ الْخَوْرَنَقِ وَ السَّدِيِّ

- 1 - جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ج 3 ص 158
- 2 - ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 2 ص 328 .
- 3 - أنظر الطبري : تاريخه ج 2 ص 29-30 . و تاريخ اليعقوبي ج 1 ص 169 .
- 4 - ابن سيده : المخصص , ج 13 ص 104
- 5 - الأصفهاني : الأغاني , ج 2 ص 20
- 6 - حسين الشيخ : العرب قبل الإسلام , دار المعرفة الجامعية الإسكندرية , ص 157 .
- 7 - ياقوت الحموي : معجم البلدان, ج 4 , ص 116 , مادة عزي

في ملك الأملاك خسروا أنو شروان في زمن مار أفريم الأسقف فبالإله الذي بنت له هذا  
الدير يغفر لها خطيئتها و يترحم عليها و على ولدها و يقبل بها و بقومها إلى أمانة الحق  
و يكون الله معها و مع ولدها الدهر الداهر".<sup>1</sup>

و بالتالي أخذت المسيحية تنتشر ببطء نظرا للعقبات التي كانت تواجهها ، كما أن أخبار  
تنصر الملوك لا تأتي واضحة و المهم أن في عهد النعمان بن المنذر ( 583-605 م )  
بدأت المسيحية تنمو ، حيث اجتذبت جمهورا كبيرا من العرب الحيرة. و قد حدثت منافسة بين  
الساسطرة و اليعاقبة<sup>2</sup> على اجتذاب الحيريين إليهم و لكن الساسطرة ت فوّقوا على اليعاقبة ،  
فلنتشر مذهبهم . وكان لهم في الحيرة أسقفية و قد كشفت الحفريات عن آثار عدد من هذه  
الأديرة و الآثار المسيحية.<sup>3</sup> حيث أن هذه الأديرة كانت تعتبر مراكز للتعليم الديني ، إذ أن  
رهبانها درسوا و ترجموا كثيرا من الكتب الفلسفية و الدينية إلى اللغة السريانية. و الخلاصة  
أن ملوك المناذرة لم يكونوا يتوارثون أديانهم عن بعض ، بل ربما كان بعضهم وثنيا ثم يعود  
و يدخل في النصرانية إثر حادثة ما.

ب . مملكة الغساسنة :

<sup>1</sup> . جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص 224

<sup>2</sup> . سيرد شرح لتعاليم المذهبين في الفصل الثاني الالهيات السماوية (المسيحية عند العرب )

<sup>3</sup> . صالح أحمد العلي : تاريخ العرب القديم ، ص 126.

هي دويلة قامت في الشام حكمها عرب عرفوا بآل غسان و آل جفنة ، و كلمة " غسان " أتت من اسم ماء نزل عليه القوم و هم من الأزد بعد خروجهم من اليمن بعد سيل العرم ، يؤكد ذلك حسان بن ثابت<sup>1</sup>:

إِمَّا سَأَلْتُ فَإِنَّا مَعَشَرَ نُجُبُ      الْأَزْدِ نَسَبُنَا وَالْمَاءُ غَسَّانُ

و سموا آل جفنة نسبة لجدّ اسمه جفنة بن عمرو و مزيقيا بن عام ر<sup>2</sup> و فيهم يقول حسان بن ثابت<sup>3</sup>:

لله دُرٌّ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ      يَوْمًا بَجَلَّتْ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ  
أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ      قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضَلِ

### جغرافية بلاد العرب و تاريخهم

و مارية<sup>4</sup> أم جفنة التي ذكرها حسان في شعره هي نفسها الم لكة التي حكمت القبائل العربية الضاربة في بلاد الشام ، و قد حاربت الروم مرارا و انتصرت أكثر من مرّة ، ثم تصالحت

<sup>1</sup> - ابن منظور: اللسان مادة ( غ.س.ن ) دار صادر ج 13 ص 313

<sup>2</sup> - نفسه، ج 13 ص 90 .

<sup>3</sup> - حسان بن ثابت : الديوان ، دار إحياء التراث العربي ، ص 183 .

<sup>4</sup> - و قد أشار المؤرخون اليونان و السريان الى ملكة عربية دعوها ( mawia ) أي ماوية لعلّ الكلمة أصابها بعض التحريف لانتقالها من لغة إلى أخرى . عن جواد علي : المفصل في تاريخ العرب، ج 3 ص 408 - françois naw ,

les A , chres p 52

معهم شرط تولية الراهب " موسى " الأسقفية على عربها . و كان هذا الراهب معارضا لمذهب

آريوس\* و نشيطا في نشر النصرانية بين صفوف عرب الشام و الجوار.<sup>1</sup>

لقد كان ملوك الغساسنة نصارى ، و قد كان الحارث بن جبلة من أنصار المنوفس **تيتين**

(monophysites) أي المذهب اليعقوبي و القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح .

و المنذر بن الحارث كان كأبيه على نفس المذهب، اهتم بالكنائس فبنى و رمم كنيسة القديس

"سرجيوس" في الرصافة.<sup>2</sup> و حاول الملك الغساني الحارث بن جبلة أن يؤسس أسقفية عربية

يتولاها يعقوب البردعي و زميله ثيودوروس و سعى لأجل ذلك . و آخر ملوك الغساسنة

هو جبلة بن الأيهم الذي أسلم ثم ارتدّ و قصد القسطنطينية و مات فيها . و يصف النابغة

الذبياني الغساسنة في قصيدة له يمدح الحارث الأعرج الغساني<sup>3</sup> :

لَهُمْ شِيْمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللهُ غَيْرَهُمْ      مِنْ الْجُودِ وَالْأَخْلَامِ غَيْرَ عَوَازِبِ

**جغرافية بلاد العرب و تاريخهم**  
مَحَلَّتُهُمْ ذَاتَ الْإِلَهِ وَ دِينُهُمْ      فَوَيْمَ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ

رَقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْرَاتُهُمْ      يُحْيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَّاسِبِ<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - مجلة المشرق السنة العاشرة عدد 11 حزيران 1907 ص 524

\* - لئان آريوس يقول : بأنّ الله فوق إدراك البشر ومعرفتهم و أنّه منفصل عن أي مخلوق كائن . وأنّ السيّد المسيح لم يكن الله بالمعنى الشامل ، إلّا أنّ تعاليم آريوس رُفضت في مجمع "نيقيا" . أنظر تاريخ الفكر الديني الجاهلي ص 211 .

<sup>2</sup> - أنظر الأب جرجس داود : أديان العرب قبل الإسلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع بيروت ، ط 3 ، 2005 ، ص 128 .

<sup>3</sup> - النابغة الذبياني : الديوان ، دار صادر ، ص 12 .

<sup>4</sup> - محلّتهم : مسكنهم - ذات الإله : بيت المقدس

يوم السباسب : يوم الشعانين و هو الأحد السابق لأحد الفصح عند النصارى .

---

يتبين لنا مما تقدم أنّ الغساسنة عرب و تنصّروا لآتصالهم الوثيق بالروم المغايرة لهم في العرق و اللسان . كما كانوا على علاقة سيّئة بملوك الحيرة أبناء جلدتهم المنتصرون أيضا، مع اختلافهم في المذهب. و بدورهم على علاقة طيّبة بملوك فارس رغم أن آل ساسان كانوا مجوسا و عبدة نار. إلا أنّ السبب الأهمّ و الرئيسي هو النزاع القبلي المتأصل فيهم و حبّ التسلّط جعل من الروم و الفرس كقوى خارجية تغذي هذه العصبية القبلية لبسط نفوذها و سيطرتها.

# الفصل الثاني

الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

### المبحث الأول: الحنيفية في الشعر الجاهلي

المطلب الأول : التعريف بالحنيفية

المطلب الثاني : الشعراء المتحنفون

المطلب الثالث: شراع الحنيفية

### المبحث الثاني: اليهودية في الشعر الجاهلي

المطلب الأول : التعريف باليهودية

المطلب الثاني : تواجد اليهود في شبه جزيرة العرب

المطلب الثالث : علاقة اليهود بالعرب

المطلب الرابع : شعراء اليهود

### المبحث الثالث :النصرانية في الشعر الجاهلي

المطلب الأول : التعريف بالنصرانية

المطلب الثاني : النصرانية في بلاد العرب

المطلب الثالث :الرموز المسيحية في الشعر الجاهلي

المطلب الرابع : صورة الرهبان في الشعر الجاهلي

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

### الفصل الثاني : الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

يحدّد علماء المقارنة بين الأديان ثلاثة أطوار عامّة مرّت بها الأمم البدائية في اعتقادها بالآلهة، و الأديان هي: دور التعدّد و دور التمييز و دور الوجدانية. إلّا أنّ الراجح في الترتيب الزمني أنّ ديانة التوحيد (دين آدم) اعتُبرت أولى الديانات السماوية على الأرض ، ثمّ حرّفتها النزعات النفسية ( وثنية قوم نوح) إلى أن جاءت الديانة الإبراهيمية (الحنيفية) لبعث روح التوحيد. ومن هذا المنطلق ارتأينا أن نلج عنصر الديانات المذكورة في الشعر العربي الجاهلي من باب الديانات السماوية رغم أنّ الوثنية كانت هي الديانة السائدة في المجتمع العربي قبيل ظهور الإسلام.

### المبحث الأول : الحنيفية في شعر ما قبل الإسلام

#### المطلب الأول : التعريف بالحنيفية

حنف عن الشيء و تحنّف: مال، و قال أبو زيد: الحنيف هو المستقيم. و قال أبو عبدة في قوله عزّوجلّ: " وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ يَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا <sup>1</sup>، قال: من كان على دين إبراهيم ، فهو حنيف \* .و كان عبدة الأوثان في الجاهلية يقولون : نحن حنفاء على دين إبراهيم ، فلمّا جاء الإسلام سمّوا المسلم حنيفا. و معنى الحنيفية

<sup>1</sup> . سورة البقرة ، الآية 135 .

\* . ذُكر في موسوعة تاريخ أقباط مصر بقلم عزت اندراوس ( ما أخذه القرآن من الحنفاء ) " أنّ كلمة حنيف في اللّغة العبرية و السريانية تعني نجسا أو مرتدا ، حيث وُصم بها العرب الذين هجروا عبادة الأصنام و ارتدّوا عن أسلافهم ". وقد نلمس من هذا التفسير لكلمة حنيف عنصرية و كرها للديانة الحنافية التي هي أصل الإسلام ، وللجنس العربي الذي اتّصلت به هذه الديانة . و في المفصل في تاريخ العرب ج6 ص543 يذكر جواد علي : أنّ بعض المستشرقين ذهبوا إلى القول أنّ اللفظة من أصل عبراني هو "تحنيوث" ، و السريان يطلقون لفظة حنيفية على الصابئة .



## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

في اللغة المَيْلُ، و المعنى أنّ إبراهيم حنف إلى دين الله. و الحنيف المسلم الذي يتحنّف عن الأديان أي يميل إلى الحق. و قيل هو من يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة إبراهيم عليه السلام . و قيل هو من أسلم في أمر الله فلم يَلْتَوِ في شيء<sup>1</sup> . و قال علماء اللغة<sup>2</sup>: و يعدّ الاختتان و الحجّ إلى البيت و الاغتسال من الجنابة و اعتزال الأوثان من أهمّ العلامات الفرقة التي ميّزت الحنفاء عن المشركين . و بعض الباحثين<sup>3</sup> يذهبون وجهة أخرى هي أنّ هؤلاء الحنيفيون سُمّوا بذلك لما امتازوا به من راحة عقل وسعة أفق و سُمّوا في الخلق ، فلنفوا من عبادة الأصنام التي لا جدوى منها و لا نفع. تعلّقت الحنيفية بإبراهيم عليه السلام فهو أوّل من تحنّف فأسلم<sup>4</sup> وجهه لله و نبذ الأوثان التي كان قومه يعبدون. و قد ورد لفظ الحنيفية في القرآن الكريم في آيات عدّة منها:<sup>5</sup>

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٣﴾ .

و المتأمل في هذه الآيات التي ذكرت فيها كلمة الحنيفية يدرك أنّ ما كان عليه سيدنا إبراهيم

<sup>1</sup> . أنظر لسان العرب لابن منظور ج 9 \_ ص 57 . 58.

<sup>2</sup> . نفس المصدر و الألويسي : بلوغ الإرب ج 2 ص 196 \_ تاج العروس ج 6 ص 77 \_ القاموس المحيط للفيروزبادي ج 3 ص 130 . أبو القاسم حسين المعروف بالراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، 1961 ، مادة حنف .

<sup>3</sup> . أنظر عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، مؤسسة شهاب الجامعة الإسكندرية. د. ط. د . ت ، ص 436.

<sup>4</sup> . لقوله تعالى: " لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ " سورة الأنعام آية 163. و كلمة مسلمين هنا تعني الموقف التوحيدى المسجد للإيمان المتعالى و لا تعني الإسلام كما عُرف فيما بعد ، بعد نزول الوحي و تبرره كعقيدة عن الفقهاء و المتكلمين. عن كتاب محمد أركون : الفكر الإسلامي نقد و اجتهاد . دار الساقى بيروت ط 2 . 1992 ص 54.

<sup>5</sup> . سورة آل عمران آية 67. فقد اعتبر قديما كلّ موحد لله هو إمّا يهوديا أو نصرانيا. و ورد لفظ الحنيفية في سورة النساء آية 125. سورة الأنعام آية 79. سورة البقرة آية 135 و نفس الفكرة ذكرت في نفس السورة آية 133.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

عليه السلام هو دين التوحيد و التسليم لله عز و جل كسائر الأنبياء لقوله تعالى ي: "وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢).<sup>1</sup> و مما يؤكد أنّ معنى الحنيفية هو الإسلام آيات أخرى<sup>2</sup> , يأمر الله تعالى فيها جميع المسلمين بأن يُوحِّدوه عزَّوجلَّ و يفرِّدوه بالعبادة و يكونوا حنفاء له. لأنَّ الإنسان فُطر على فكرة أنّ الله خالق كل موجود و ما الوثنية إلاّ تبديل لهذه الفطرة لجهل الناس ، لقوله تعالى: " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)".<sup>3</sup>

### المطلب الثاني: الشعراء المتحنفون

نجد أمية بن أبي الصلت<sup>4</sup> و هو أشهر الشعراء العرب الذين نبذوا الوثنية و ساحوا في الأرض باحثين عن دين قويم ، فقرأوا كتب الديانتين اليهودية و النصرانية لعلهم يهتدون إلى دين توحيدي صحيح . إذ يذكر الحنيفية في قوله<sup>5</sup> :

كُلُّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلاَّ دِينُ الْحَنيفِيَّةِ زُورٌ

<sup>1</sup> .سورة البقرة آية 132 و نفس الفكرة ذكرت في نفس السورة آية 133.

<sup>2</sup> . ذُكرت كلمة حنيفا في سورة آل عمران آية 95\_ الأنعام آية 161 \_ سورة النحل آية 120. 123\_ يونس آية 105.

<sup>3</sup> . سورة الروم آية 30.

<sup>4</sup> . اسمه عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف يعود نسبه إلى قيس . و كان أمية بن أبي الصلت قد نظر في الكتب و قرأها، و لبس المسوح ( لباس المنتسكين ) تعبدا. و كان ممن ذكر إبراهيم و إسماعيل و الحنيفية . و حرّم الخمر و شكّ في الأوثان. و كان مُحققا و التمس الدين و طمع في النبوة لأنّه قرأ في الكتب أن نبيا يُبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكونه. فلما بُعث النبيّ (ص) حسده . عن الأغاني م 4 ص 126. تحقيق لجنة من الأدباء. دار الثقافة بيروت لبنان ط 5، 1981.

<sup>5</sup> . الأغاني: م 4 ص 126.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

و قوله <sup>1</sup> :

رَبُّ الْحَنِيفِيَّةِ لَمْ تَنْفُذْ خَزَائِنُهَا      مَمْلُوءَةً طَبَقِ الْأَفَاقِ سُلْطَانًا  
أَلَا نَبِيٌّ لَنَا مِنَّا فَيُخْبِرُنَا      مَا بَعْدَ غَايَتِنَا مِنْ رَأْسِ مَحْيَانًا

فهو هنا يقرّ بوحدانيّة و عظمة رب الحنيفية و يتضرّع إلى الله أن يبعث في العرب نبيا منهم ليُعرفهم بمصيرهم بعد مماتهم. و قد بلغ قوله هذا إلى النبيّ (ص) فقال: "كاد أمية أن يُسلم".<sup>2</sup>

كما نجد زيد بن عمرو بن نفيل الذي يفصح عن عقيدته في قوله:<sup>3</sup>

أَرَبًا وَاحِدًا أَوْ أَلْفُ رِبٍ      أَدِينُ إِذَا تَقَسَّمَتِ الْأُمُورُ  
عَزَلْتُ اللَّاتَ وَ الْعَزَى جَمِيعًا      كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَدُّ الصَّبُورُ  
فَلَا عَزَى أَدِينُ وَ لَا ابْنَتَيْهَا      وَ لَا صَنَمِي بَنِي عَمْرُو أَرُورُ  
وَ لَا هُبَلًا أَدِينُ وَ كَانَ رَبًّا      لَنَا فِي الدَّهْرِ إِذْ حَلَمِي يَسِيرُ

فهو يعيب على قومه كثرة الأصنام التي يعبدون ، حيث لا يغني أحدها عن الآخر و لأجل ذلك نبذها جميعا و عبد الله الواحد الأحد. و قال أيضا:<sup>4</sup>

أَدِينُ إِلَهًا يُسْتَجَارُ وَ لَا أَرَى      أَدِينُ لِمَنْ لَا يَسْمَعُ الدَّهْرُ دَاعِيًا

و فيه يقول ابن هشام : " و أمّا زيد بن عمرو بن نفيل فوقف ، فلم يدخل في يهودية و لا نصرانية و فارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان و الميتة و الدم و الذبائح التي تذبح على

<sup>1</sup> . أمية بن أبي الصلت : الديوان ، ص 134 .

<sup>2</sup> . المصدر نفسه م 4 ص 133 .

<sup>3</sup> . ابن هشام : السيرة النبوية ص 110 .

<sup>4</sup> . المصدر السابق م 3 ص 131 .

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

الأوثان. و كان يقول : الشاة خلقها الله و أنزل لها من السماء ماء و أنبت لها من الأرض الكلاً ثم يذبحونها على غير اسم الله؟ و نهى عن قتل الموؤودة و قال: أعبد ربّ إبراهيم".<sup>1</sup> و لم يكتف المتحنفون بالالتزام الذاتي، بل كانوا يدعون قومهم إلى دين إبراهيم ، مما عرّضهم إلى الأذى و مثل ذلك الذي حدث لزيد بن عمرو بن نفيل .<sup>2</sup> عن إسحاق قال: " و حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن أمّه أسماء بيّت أبي بكر قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش و الله ما منكم على دين إبراهيم غيري. و كان يُحيي الموؤودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها أكفك مؤنتها فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك و إن شئت كفيتك مؤنتها".<sup>3</sup> و رثاه ورقة بن نوفل قائلاً:<sup>4</sup>

رَشِدْتَ وَ أُنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَإِنَّهَا  
تَجَنَّبَتْ تَتَوَّرًا مِنَ النَّارِ حَامِيًا  
بِدِينِكَ رَبًّا لَيْسَ رَبُّ كَمِثْلِهِ  
وَ تَرَكَكَ أَوْثَانَ الطَّوَاغِي كَمَاهِي  
وَ إِذْ رَاكَ الدِّينَ الَّذِي قَدْ طَلَبْتَهُ  
وَ لَمْ تَكُ عَنْ تَوْجِيدِ رَبِّكَ سَاهِيًا  
فَأَصْبَحْتَ فِي دَارِ كَرَمٍ مُقَامُهَا  
تَعَلَّلُ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ لَاهِيًا

<sup>1</sup> . ابن هشام : السيرة النبوية ، ص 110.

<sup>2</sup> . جاء في هامش كتاب الملل و النحل للشهرستاني تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل . منشورات مؤسسة الحلبي و شركاه القاهرة 1968 ج 3 ص 297. " أن الخطّاب ( أبو عمرو ) أذى زيدا ( وهو أخوه ) حتّى أخرجه إلى أعلى مكة فنزل " جراء " مقابل مكة... و أغرى به شبان قريش و سفهاءها فأخرجوه و آذوه ، كراهة أن يُفسد عليهم دينهم و أن يتبعه أحد منهم على فراق ما هو عليه "

<sup>3</sup> . السيرة النبوية ، ص 110 .

<sup>4</sup> . المصدر نفسه ص 113 . يروي ابن هشام أنّ البيهقيين الأولين رواهما ابن إسحاق لورقة بن نوفل . غير أننا نجد إخباريين آخرين ألحقوهما بلمية بن أبي الصلت . و قد ذكرا في ديوان أمية بن أبي الصلت ص 197.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

تُلَاقِي خَلِيلَ اللَّهِ فِيهَا وَ لَمْ تَكُنْ      مِنْ النَّاسِ جَبَّارًا إِلَى النَّارِ هَاوِيًا  
وَ قَدْ تَذَرِكُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةً رَبِّهِ      وَلَوْ لَكُنْ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَادِيًا

و من شعراء الحنيفية صرمة بن أبي أنس و هو أحد العرب الحكماء الذي ارتاب في عبادة الأصنام فترهب في الجاهلية و لبس المسوح و فارق الأوثان و اغتسل من الجنابة و تجنب الحائض من النساء. و هم بالنصرانية ثم أمسك عنها و دخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا يدخل عليه فيه طامث و لا جنب و قال: أعبد رب إبراهيم حين فارق الأوثان و كرهها. و كان قوالا بالحق، معظما لله عزوجل في الجاهلية . فلم أقدم رسول الله (ص) أسلم و حسن إسلامه و هو شيخ كبير<sup>1</sup>، و هو القائل<sup>2</sup> :

سَبِّحُوا اللَّهَ شَرَقَ كُلِّ صَبَاحٍ      طَلَعَتْ شَمْسُهُ وَ كُلُّ هَيْلَالٍ  
عَالِمُ السِّرِّ وَ الْبَيَانِ لَدَيْنَا      لَيْسَ مَا قَالَ رَبُّنَا بِضَلَالٍ  
وَ لَهُ هَوَتْ يَهُودٌ وَ دَانَتْ      كُلَّ دِينٍ إِذَا ذَكَرْتَ عُضَالَ  
وَ لَهُ شَمَسَ النَّصَارَى وَقَامُوا      كُلَّ عِيدٍ لِرَبِّهِمْ وَ اِحْتِقَالَ  
وَ لَهُ الرَّاهِبُ الْحَبِيسُ تَرَاهُ      رَهْنًا بُوْسٍ وَ كَانَ نَاعِمَ بِلَالٍ<sup>3</sup>

فهو يدعو إلى التسبيح بحمد الله كل شروق شمس و التسليم بوحداية الله ، و قد أقرت كل الأديان من يهودية و نصرانية بذلك . كما انقطع الرهبان لعبادته فحرموا النفس من ملاذ الدنيا بغية طلب الغفران و التمتع بلذة حب الله.

<sup>1</sup> . ابن هشام : السيرة النبوية ج (2+1) ص 245.

<sup>2</sup> . نفس المصدر ص 246.

<sup>3</sup> . العضال : الأمر الشديد الذي يقوم به صاحبه . شمس : تعبد ، و ركع . الحبيس : الذي حبس نفسه عن اللذات.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

و ممّن اتّبع الحنيفية قسّ بن ساعدة الإيادي الذي آمن بالبعث و سمعه النبيّ (ص) قبل البعثة بعكاظ يقول في خطبته : "أيّها النّاس اسمعوا و عوا فإنّ وعيتم فانتفعوا أنّه من عاش مات و من مات فات و كل ما هو آت آت . إنّ في السماء لخبرا و إنّ في الأرض لعبرا ، مهّاد موضوع و سقف مرفوع و نجوم تمور و بحار لن تغرّ ، ليل داج و سماء ذات أبراج . أقسم قس أنّ الله ديننا هو أحبّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه ، مالي أرى النّاس يذهبون و لا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا " <sup>1</sup> . و من الحنفاء أيضا سحنة بن خلف الجرهمي الذي لام عمرو بن لحي على وضع الأوثان حول الكعبة ، و حمله العرب على عبادتها في قوله: <sup>2</sup>

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت أنصابا  
و كان للبيت ربّ واحد أبدا فقد جعلت له في النّاس أربابا

و كان الشّاعر المعروف زهير بن أبي سلمى قد أقرّ بوجود إله واحد ، هو الله لا يخفى عليه شيء في الأرض و لا في السماء. و هو الذي يحاسب النّاس على ما قدّموه من أعمال سجّلت في كتبهم إمّا يوم الحساب أو يعجّل لهم بالعقاب في الدنيا ، إذ يقول: <sup>3</sup>

فلا تكتمنّ الله ما في صدوركم ليخفى و مهما يكتم الله يعلم  
يؤخر فيودع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

<sup>1</sup> . الأصفهاني : الأغاني ج 14 ص 40.

<sup>2</sup> . المسعودي : مروج الذهب و معادن الجواهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر بيروت ، ط 5 ، 1973 ج 2 ص 29.

<sup>3</sup> . زهير بن أبي سلمى : المعلقة من الديوان ص 12.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

و نجد عددا من الشعراء العرب من ذكروا الله في أشعارهم ، و هم كُثر كعبيد بن الأبرص إذ يقول<sup>1</sup> :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ      وَ سَأَلِ اللَّهَ لَا يَخِيبُ  
بِاللَّهِ يُدْرِكُ كُلَّ خَيْرٍ      وَ الْقَوْلُ فِي بَعْضِهِ تَلْغِيْبُ

فكلّ الشعراء المؤمنين بحتمية القدر و التوكّل على الله تعالى و وجود يوم الحسب اب إلا و نجدهم يذكرون اسم الجلالة " الله" , و الدليل على ذلك كثرة ذكر هذه اللفظة في شعرهم و نثرهم. و فيهم جاء قوله تعالى : " وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥) " .<sup>2</sup> فالعرب كانوا منقسمين إلى طوائف متعدّدة منهم من أنكرو وحدانية الله<sup>3</sup> و لم يؤمن بالبعث<sup>4</sup> . و منهم من أقرّ بالله و بالبعث كالنابغة و حاتم الطائي و زهير بن أبي سلمى و غيرهم<sup>5</sup> ، إلا أنّهم أشركوا مع الله آلهة أخرى . أمّا الفئة الثالثة الحنيفية و هم من آمنوا بوحداية الله و نبذوا الأوثان و لم يدخلوا نصرانية و لا يهودية لأنّها لم تكفيهم حقّ السؤال. و قاموا بأمر عهدنا إليهم إبراهيم عليه السلام كالحجّ و العمرة و الختان و غيرها.

<sup>1</sup> . الجاحظ : البيان و التبیین ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط 7 ، 1998 ، ج 1 ص 226 .

<sup>2</sup> . سورة لقمان آية 25 .

<sup>3</sup> . لقوله تعالى : " وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَّصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ " سورة إبراهيم الآية 30 .

<sup>4</sup> . كقول شداد بن الأسود ابن عبد شمس يرثي قتلى بدر :

أُبوعدريّ ابنُ كبْشَة أنْ سَنَحِيَا      وَ كَيْفَ حَيَاةُ أُصْدَاءِ وَ هَامِ  
أَيَعْجَزُ أنْ يَرُدَّ المَوْتُ عَنِّي      وَ يُنْشِرُنِي إِذَا بَلِيَتْ عِظَامِي

<sup>5</sup> . كقول درهم بن زيد الأوسي :

إِنِّي وَ رَبُّ العُرَى السَّعِيدَةِ      وَ الله الَّذِي دُونَ بَيْتِهِ سَرَفِ

## المطلب الثالث : شرائع الحنيفية في الشعر الجاهلي

### أولاً : الحجّ في الجاهلية

الحجّ من أهمّ مخلفات الديانة الإبراهيمية ، بعدما نادى في النَّاس ليأتوه من كل حذب شعنا غربا يبعثون زيارة بيت الله <sup>1</sup> . و قد تولى إسماعيل من بعد هو قومه نشر الديانة التوحيدية الحنيفية انطلاقاً من بيت الله الحرام لقوله تعالى : " وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " <sup>2</sup> .

الحجّ لغة : القصد ، حجّ إلينا فلان أي قدم . و يقول ابن السكيت : ثم تُعرف استعماله في القصد إلى مكة للنسك <sup>3</sup> . أي توجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضاً وسنة من إحرام و طواف و وقوف بعرفة و سعي بين الصفا و المروة . ذكر أمية بن أبي الصلت الحجّ في قوله : <sup>4</sup>

إِنِّي أَعُوذُ بِمَنْ حَجَّ الْحَجِيجُ لَهُ  
وَ الرَّافِعُونَ لِدِينِ اللَّهِ أَرْكَانًا  
مُسْلِمِينَ إِلَيْهِ عِلَالِيَهُ السَّمَاوِيَّةِ فِي الشَّيْبَانِ الْجَاهِلِيَّ اللَّهُ أَنْمَانَا

<sup>1</sup> . الحجّ بدأ في عهد إبراهيم عليه السلام لقوله تعالى : " وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ

بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " سورة الحجّ الآية 27 .

<sup>2</sup> . سورة الحجّ الآية 26 .

<sup>3</sup> . ابن منظور : لسان العرب م 2 ص 226 .

<sup>4</sup> . أمية بن أبي الصلت : الديوان ، ص 135 .



و لقد شكّل موسم الحجّ بالإضافة إلى كونه من الشعائر الدينية ملتقى و سوقا تجاريا مهما عند العرب. إذ يفدون إلى مكّة فيلتقون في موسم الحجّ و أسواقه في ظلّ الأشهر الحرام. و من أشهر الأسواق التي ارتبط اسمها بالحجّ سوق عكاظ<sup>1</sup> و سوق مجنة<sup>2</sup> و سوق ذو المجاز<sup>3</sup>. حتّى أنّ قريشا كانت تقول: " لا تحضروا سوق عكاظ و مجنة و ذا المجاز إلاّ محرّمين بالحجّ".<sup>4</sup> و في موسم الحجّ كانوا يعقدون مجالس المفاخرات و المشاورات و حلّ المشاكل ، و كل صاحب دعوة يريد أن يعلن عنها يجد مجالا واسعا و مناسبا.

#### أ- تعظيم الكعبة

و الحجّ تختصّ به الكعبة التي تولى أمرها القرشيون في مكّة. و للكعبة مكانة رفيعة و قدسية عظيمة لدى العرب قديما أو حديثا ، لم يحظ بهما أيّ مكان آخر بنفس القدر. حيث نجد عبد المطلب عند غزو أبرهة و جثية لمكّة ، يأخذ بحلقة باب الكعبة ، و قام معه نفر من قريش يدعون الله ، و يستنصرونه على أبرهة و جنده . و تؤكّد أخبار كثيرة أنّ نشأة الشّرك في الحجاز تعود إلى ما كان من تعظيم العرب السديذ للكعبة و الحجّ إليها و الطواف

#### الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

<sup>1</sup> . عكاظ : نخل في واد بين مكّة و الطائف، و سوق يُقام في ذي القعدة. اشتهر بالمفاخرات الشعرية التي كان يلقيها أشهر شعراء الجاهلية.

<sup>2</sup> . سوق مجنة : يقع في موضع قرب جبل يقال له الأصفر بأسفل مكّة و كانت مدّة هذا السوق عشرة أيام ابتداء من عشرين من ذي القعدة.

<sup>3</sup> . و إذا حلّ ذي الحجة سارت العرب إلى موضع قريب من عرفة و هو موضع سوق ذو المجاز و مدّته ثمانية أيام. و منه تفق العرب بعرفة.

<sup>4</sup> . الأزرقى : أخبار مكّة و ما جاء فيها من الآثار، صحّحه رشدي الصالح ملخص، المطبعة الماجدية جدّة السعودية ، ط2 ، 2005 ، ص 32.

بها، ذلك أنهم كانوا ينزحون من مكة فيأخذون من أحجار الحرم فيجعلونها رموزا مادية للكعبة، و يطوفون حولها كتطوافهم بالكعبة. و مع مرور الزمن تحوّلوا إلى عبادة الأوثان، بيد أنهم لم ينسوا الحجّ و شعائره و مناسكه التي كانت على عهد إبراهيم. فظلوا متمسكين ببقايا منها كتعظيم البيت و الطواف به و الحج و العمرة إليه و إهداء البدن ، يقومون بذلك إلى جانب ما يقدّمونه لأوثانهم من عبادات <sup>1</sup>. كما أقسم العرب بالبيت لمكانتها في قلوبهم ، كقول زهير بن أبي سلمى في معلقته:<sup>2</sup>

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رَجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَ جُرْهُمُ

و من أسماء الكعبة المسجد الحرام، فهو اسم معروف في الجاهلية، حيث نجد قيس بن الخطيم يُقسم بالله صاحب البيت و بما كُسي من برود يمنية إذ يقول:<sup>3</sup>

وَ اللهُ ذِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ جُلِّلَ مِنْ يَمَنَةٍ لَهَا خُفٌّ

كما سميت الكعبة البيت العتيق<sup>4</sup> في شعر بشير بن الحجير الإيادي متفاخرا بنسبه بني إياد، و الذي ولي منهم كعب بن سلمة بن زهير بن إياد أمر البيت بعد جرهم إذ يقول:<sup>5</sup>

و نَحْنُ إِيَادُ عِيْدِ الْإِلَهِ وَ رَهْطُ مَنَاجِيهِ فِي سَلْمِ الْأَيَانَ السَّمَاوِيَّةِ فِي الشَّعْرِ الْجَاهِلِي

<sup>1</sup> . أنظر ابن الكلبي: الأصنام ص 8 و ابن هشام : السيرة النبوية ج 1 ص 58 ، الأزرقى : أخبار مكة ج 1 ص 67.  
<sup>2</sup> . زهير بن أبي سلمى : الديوان ص 14.  
<sup>3</sup> . قيس بن الخطيم : الديوان، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، دار صادر بيروت ، 1967، ص 111\_112.  
<sup>4</sup> . اليُمنة : ضرب من البرود اليمنية. الحنفُ : جمع الحنيف : ثياب من الكتاب الأبيض الغليظ.  
<sup>5</sup> . سميت الكعبة بالبيت العتيق : لأنه عُتق من الجابرة أن تسطو عليه.  
<sup>5</sup> . الألويسي : بلوغ الإرب ج 2 ص 260.

وَ نَحْنُ وُلَاةُ حِجَابِ الْعَتِيقِ زَمَانَ النُّخَاعِ عَلَى جُرْهُمِ<sup>1</sup>

و كان للبيت حرم مما يحرم صيده و قطع شجره و حشيشه و غير ذلك ، و حدود الحرم من مكة تختلف قريبا و بعدا.<sup>2</sup> فالعرب لم تؤذ صيد الحرم لقول عمرو بن الحارث بن مضاى:<sup>3</sup>

فَسَحَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تَبْكِي لِبَلَدَةٍ      بِهَا حَرَمٌ أَمْنٍ وَ فِيهَا الْمَشَاعِرُ  
وَ تَبْلُغِي لِبَيْتٍ لَيْسَ يُؤْذَى حَمَامَةٌ      تَظَلُّ بِهِ أَمْنًا وَ فِيهِ الْعَصَافِرُ<sup>4</sup>  
وَ فِيهِ وَحُوشٌ لَا تَزَالُ أَنْبَسَةً      إِذَا أُخْرِجَتْ مِنْهُ فَلَيْسَتْ تُعَادِرُ

و كانوا يكرهون الظلم في الحرم و منه قول سبيعة بنت الأحب بن زينة تنهي ابنها خالد بن عبد مناف عن الظلم في الحرم و تعظم حرمة مكة إذ تقول:<sup>5</sup>

إِبْنِي لَا تَظْلِمَ بِمَكَّةَ لَا      الْكَبِيرَ وَ لَا الصَّغِيرَ  
وَ احْفَظْ مَحَارِمَهَا وَلَا      يَغْرُزِكَ بِاللَّهِ الْعُرُورُ  
وَ اللَّهُ أَمْنَهَا وَ مَا      بُئِيَتْ بِعَرَصَتِهَا فُصُورُ

وَ اللَّهُ أَمْنٌ طَيْرَهَا      فِي الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ  
وَ الْعُصْمُ تَأْمَنُ فِي نَبِيِّهِ

<sup>1</sup> . هلك من جرهم بداء النخاع ثمانون كهلا في ليلة واحدة.

<sup>2</sup> . فيجد الحرم من جهة المدينة و جدّة بعشرة أميال و من جهة الجعرانة بتسعة أميال. كما وضعت نصب للحرم كعلامات تتبين بها حدوده. و قد وضعت في عهد إبراهيم الخليل ثم جدّها قصي بن كلاب ثم لم تحرك إلى عهد الرسول (ص) حيث أمر بتجديدها فأصبحت تجدد كل سنة. راجع محمد نعمان الجارم : أديان العرب، مطبعة السعادة مصر، ط1 ص 16.

<sup>3</sup> . المرجع نفسه ص 17.

<sup>4</sup> . تظلّ به أمنا أي ذات أمن ، و يجوز أن يكون أمنا جمع آمن. و أراد العصافير و حذف الباء ضرورة و رفعه على المعنى أي و تأمن فيه العصافير.

<sup>5</sup> . ابن هشام : السيرة النبوية ج (2+1) ص 18. و تذكر في القصيدة نفسها محاولات غزو مكة من تبّع و أبرهة و كيف أنهم لم يستطيعوا أن يمسوا كعبتها بسوء لأنّ للبيت رب يحميه.

كما كسيت الكعبة من زمن قديم إعظاما لها. و أول من كساها تبّع الآخر و هو تبان أسعد الحميري إذ قال في كسوته لها: <sup>1</sup>

وَ كَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ      مَلَاءَ مُعْضَدًا وَ بُرُودًا  
فَأَقَمْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرًا      وَ جَعَلْنَا لِأَبِيهِ أَقْلِيدًا  
وَ نَحَرْنَا بِالشَّعْبِ سِتَّةَ آلَا      فِ تَرَى الرَّأْسَ نَحْوَهُمْ وَرُودًا  
ثُمَّ سِرْنَا عَنْهُ نَوْمٌ سُهَيْلًا      فَرَفَعْنَا لَوَانًا مَعْقُودًا<sup>2</sup>

ثمّ كستها العرب بأنواع كثيرة من البرود و الأكسية ، و قد ذكر أبو طالب عمّ النبيّ (ص) في قصيدته اللامية ثياب البيت فقال: <sup>3</sup>

وَ أَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَآخُوْتِي      وَ أَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ

و كانوا في الجاهليّة لا ينزعون من ثيابها شيئاً ، إلى أن جاء عهد معاوية فكتب إليه شيبه بن عثمان الحجبيّ يرعّب إليه في تخفيفها من كسى الجاهلية حتّى لا يكون عليها شيء ممّا مسّته أيديهم. فكتب إليه معاوية أن يجردّها و بعث إليه بكسوة من دي بلج و قباطي و حبرة فجردّها و كساها الكسوة الجديدة. <sup>4</sup>

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

<sup>1</sup> . نعمان الجارم : أديان العرب ص 29.

<sup>2</sup> . المعضد : كمعظم ثوب له علم في موضع العضد. الإقليد : المفتاح.

<sup>3</sup> . ابن هشام : السيرة النبوية ج (2+1) ص 129.

<sup>4</sup> . أنظر الحديث الطويل الذي ذكره علي الجارم حول كسوة الكعبة و تعظيم العرب و الأعاجم لها ، في أديان العرب ص 31 و ما بعدها.

كما احترم العرب مقام إبراهيم وقدّسوه ، في ذلك قال حسان بن تبع<sup>1</sup>:

ثُمَّ طُفْنَا بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَ سَبْعًا وَ سَجَدْنَا عِنْدَ الْمَقَامِ سُجُودًا

كما أقسم به أبو طالب في قوله:<sup>2</sup>

وَ مَوْطِيْ إِبْرَاهِيْمَ بِالصَّخْرِ رَطْبَةً عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيَا غَيْرَ نَاعِلِ

## ب - تعظيم الأشهر الحرم

و مثل ما سنّه العرب في تحريم الحرم و تكريم الكعبة كذلك حرّموا أشهرها معلومات و هي ذو القعدة و ذو الحجة و محرّم و رجب ، و هذه الأشهر حرّمت لعلاقتها بموسم الحجّ<sup>3</sup>. إذ نجد السهيلي يبيّن سرّ مشروعيتها فقال: " إن تحريم القتال في الأشهر الحرم كان حكماً معمولاً به من عهد إبراهيم و إسماعيل ، و كان من حرّمت الله و ممّا جعله مصلحة لأهل مكة، لقوله تعالى: " جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧)".<sup>4</sup> فجعل الأشهر الحرم أربعة ، فلما الثلاثة فليأمن الحجاج على أنفسهم و أهلهم ، وارين إلى مكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحجّ وشهرا بعده. قدر ما يصل الرّكب من أقصى بلاد العرب ثمّ يرجع حكمة من الله، و الرابع فردا و هو رجب خاص بالعمرة.

<sup>1</sup>. نعمان الجارم : أديان العرب ص 54.

<sup>2</sup>. ابن هشام : السيرة النبوية ج (2+1) ص 129.

<sup>3</sup>. ذكر أبو ذؤيب الهذلي الأشهر الحرم ضمن صيغة تشبيهية لامرأة تدعى أمّ الرّهين و التي أقامت بوادي عّشر حيث ابنتت خيمة على فرات النهر و أقامت كما يقيم الحنيف أربعة أشهر فقال: (شرح أشعار الهذليين ج 1 ص 112)

أَقَامَتْ بِهِ كَمَقَامِ الْحَنِيفِ شَهْرِيْ جُمَادَى وَ شَهْرِيْ صَفَرِ

<sup>4</sup>. سورة المائدة ، الآية 97.

و كانت العرب قبيل دخول الأشهر الحرم و عند انسلاخها تسارع بأخذ الثأر أو الغزو للسلب و النهب أو الدخول في حروب أوقدت نارها الأحقاد و الفتن ، و منها حرب الفجار الذي شهدها النبي (ص) و كان يناول عمه و أهله النبي و عمره أربعة عشرة سنة .و مع هذا فقد قتل بعضهم بعضا في الشهر الحرام ، بل و في الحرم نفسه لسبب الغضب الذي يملك على العقل زمامه أو الاستهانة بأمر الدين . كما كان من الشنفرى فإنه لما قدم منى و بها حرام بن جابر ، فقيل له هذا قاتل أبيك فقتله ثم سبق الناس على رجليه و قال :

قَتَلْتُ حَرَامًا مَهْدِيًا بِمُأَبَدٍ      بَبَطْنِ مَرْيَ وَسَطِ الْحَجِّجِ الْمُصَوِّتِ<sup>1</sup>

و لما كانت العرب محبة للغزو، رغبة إلى الحرب في شهر من الأشهر الحرم ، كارهة لتوالي ثلاثة أشهر ، اضطروا إلى إيجاد طريقة في تأخير حرمة محرّم إلى صفر<sup>2</sup> و سمي بالنسأة . يقول ابن هشام : النسأة الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلّون الشهر من الأشهر الحرم ، و يحرمون مكانه الشهر من أشهر الحلّ ، و يؤخّرون ذلك الشهر . في ذلك أنزل قوله تعالى: " إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)"<sup>3</sup>. قال ابن إسحاق: وكان أول من نسأ الشهور عند العرب، فأحلت

<sup>1</sup> .الأصفهاني : الأغاني ج 21 ص 134. المهدي : سائق الهدي و هو ما أهدي إلى الحرم.

<sup>2</sup> . ابن هشام : السيرة النبوية ج (2+1) ص 27.

<sup>3</sup> . سورة التوبة ، آية 37.

منها ما أحلّ و حرمت منها ما حرم القلمس و هو حذيفة بن عبد بن فقيم ثم قام بعده على ذلك ابنه "عباد" بن حذيفة، و كان آخرهم و عليه قام الإسلام أبو ثمامة جنادة بن عوف.<sup>1</sup> و كانت العرب إذا فرغت من حجّها اجتمعت إلى من تولى هذا الأمر فحرم الأشهر الحرم الأربعة : رجباً و ذا القعدة و ذا الحجة و المحرم . فإذا أراد أن يحلّ منها شيئاً أحلّ المحرم فأحلّوه ، و حرم مكانه صفر فحرموه ل يباطئوا ( ليوافقوا ) عدّة الأشهر الأربعة الحرم. قال في ذلك عمير بن قيس يفخر بالنساء على العرب:

لَقَدْ عَلِمْتُ مَعَدَّ أَنْ قَوْمِي كِرَامُ النَّاسِ أَنْ لَهُمْ كِرَامًا  
فَأَيُّ النَّاسِ فَلْتُنُونَا بَوْتِرٍ وَ أَيُّ النَّاسِ لَمْ نُعَلِّكَ لِحَامًا  
أَلْسِنَا النَّاسِيْنَ عَلَى مَعَدَّ شُهُورَ الْحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامًا؟<sup>2</sup>

أمّا مكان النسرى فذكر أنّه كان جمرة العقبة . فكان يقف عندها الناسى إذا صدر الحجّاج من منى فيقول اللهم أني ناسى الشهر و واضعها مواضعها و لا أعاب و لا أجاب ، اللهم إني قد أحللت أحد الصفرين : الصفر الأوّل و نسأت الآخر للعام المقبل و كذلك في الرجيين يعني رجباً و شعبان انفروا على اسم الله .<sup>3</sup> و قد حرم الله النسى و أبطله لعدم توالي الأشهر الثلاثة الحرم ، و لكون السنّة يصبح فيها ثلاثة عشر شهراً.

<sup>1</sup>. المرجع السابق ، ص 27.

<sup>2</sup>. المرجع نفسه ص 28.

<sup>3</sup>. الفيروزبادي : القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، طبعة فنية منقحة مفهرسة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت ، ط 8، 2005 ، ص 567 ، مادة قلمس.

### ج- مناسك الحجّ في شعر الجاهلية<sup>1</sup>

للحجّ مناسك عدّة قبل الإسلام منها:

#### 1. الطواف :

و هو الدوران حول الكعبة المشرفة بصفته تحية الزائر لها. و يبدأ الطواف من الحجر الأسود الذي وضعه إبراهيم عليه السلام كعلامة لبدأ الطواف : " إذ لما أمر إبراهيم أن يبني البيت و انتهى ، قال يا إسماعيل آتني بحجر ليكون علما للناس بيتدئون منه الطواف"<sup>2</sup>. و خلال طوافهم كانوا يتبركون بالحجر الأسود و يتمسحون بأركان الكعبة<sup>3</sup>. و لما طرأ على دين إبراهيم التحريف و دخول الوثنية إلى عبادات العرب ، وُضع الوثنيين إساف و نائلة\* بجانب الكعبة و أصبح الطائف يبدأ طوافه بإساف فيستلمه ثم يستلم الحجر الأسود و يطوف و يجعل الكعبة على يمينه ، فإذا أتمّ طوافه سبعا استلم الركن ثم استلم نائلة فيختم بها طوافه<sup>4</sup>. و الصحيح أنّ الطواف عند العرب طوافين : الأوّل حول الكعبة سبعا بعد أن يستلم الحجر الأسود، و الطواف الثاني هو السّعي بين الصفا و المروة حيث يوجد الوثنيين إساف و نائلة. و قد كان بجانب الكعبة تتحرر العرب أمامهما ثمّ حوّلا قريبا منها كعلمين للسّعي بين

<sup>1</sup>. الغرض من إدراج هذا العنصر إظهار الاختلافات في المناسك ما بين الحجّ في الجاهلية و الإسلام .

<sup>2</sup>. و نجد الطبري في رواية له نقلا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يتحدث عن الحجر الأسود : جعل إبراهيم و إسماعيل يناوله الحجارّة ... حتّى كاد البناء ينتهي و بقي حجر واحد ، فذهب الغلام يبيغه و لما عاد وجد أباه قد ركب الحجر الاسود في مكانه فقال : يا أبت من أتك بهذا الحجر ؟ فقال : أتاني به من لم يتكل على بنائك ، أتاني به جيريل من السماء . عن : تاريخ الرسل و الملوك ، دار المعارف مصر ، ج 1 ص 251\_252 .

<sup>3</sup>. يذكر أبو طالب تمسّح العرب بالحجر الأسود إذ يقول :

وَ بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ إِذْ يَمْسَحُونَهُ إِذَا اكْتَفَوْهُ بِالضُّحَى وَ الْأَصَائِلِ

\*. للتوسّع أنظر ملحق أصنام العرب ، عنصر إساف و نائلة .

<sup>4</sup>. أنظر الأزرقى : أخبار مكة ج 1 ص 117.



## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

الصفى و المروة . إلا أن الأزرقى يذكر أن الصنم في " مجاور الريح " و " مطعم الطير " وضعهما عمرو بن لحي عند الصفا و المروة ،<sup>1</sup> أما إساف و نائلة فقد وضعا عند الكعبة . و قد ورد غير ذلك في روايات أخرى ، حيث يؤكده قول أبي طالب:<sup>2</sup>

وَ أَشْوَاطٍ بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ إِلَى الصَّفَا      وَ مَا فِيهَا مِنْ صُورَةٍ وَ تَمَائِلٍ

و الشاهد في البيت الشعري الذي ذكره أبو طالب هو وجود تماثيل عند الصفا و المروة . إذ كان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوا الوثنيين<sup>3</sup> و كان طوافهم بهما قدر طوافهم بالبيت أي سبعة أشواط . و كان بعض العرب لا يرون في الصفا و المروة من الشعائر لتعلقهما بالوثنيين ، و هؤلاء هم الذين كانوا يعبدون صنم مائة مثل قبائل الأوس و الخزرج و غسان من الأزد،<sup>4</sup> فكانوا يطوفون بصنمهم بعد إكمالهم لمناسك الحج . مما جعلهم بعد إسلامهم يكرهون الطواف بين الصفا و المروة فأنزل الله تعالى : " إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ " .<sup>5</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه ج 1 ص 251\_253.

<sup>2</sup> . نعمان الجارم : أديان العرب ص 57.

<sup>3</sup> . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 5 ص 365.

<sup>4</sup> . و ذكر أن الأنصار كانوا يهلون لمناة في الجاهلية فلما جاء الإسلام قالوا : يا نبي الله إنا كنا نطوف بين الصفا و المروة تعظيما لمناة فهل علينا من حرج أن نطوف بهما . فأنزل الله الآية المذكورة . عن تفسير الطبري ج 2 ص 27 و الكامل لابن الأثير ج 1 ص 188 .

<sup>5</sup> . سورة البقرة الآية 158 .

و كان العرب في الجاهلية يلبّون، و لكلّ قبيلة أحيانا تلبيتها الخاصة<sup>1</sup>، فأشركوا في تلبيتهم

مع الله آلهتهم التي كانوا يعبدون و منه قول أبو المنذر: " و كانت نزار تقول إذا ما أهلت :

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه و ما ملك".<sup>2</sup> فيوحّدون الله بالتأبئة

و يُدخلون معه آلهتهم و يجعلون مُلكها بيده .و كانوا يلبّون و يهلّون في الحجّ لقول نبي هـ

بن الحجاج:

إِنِّي وَ الَّذِي يَحُجُّ لَهُ شَرْمٌ- طُ إِيَادٍ وَ هَلَّلُوا تَهْلِيلًا

وَ مُبَيَّتٌ بِذِي الْمَجَازِ ثَلَاثًا وَ مَتَى كَانَ حَجًّا تَحْلِيلًا<sup>3</sup>

و من العرب من كان يطوف بالبيت عاريا ، حكى ابن هشام في سيرته و الأزرقى أنّ قريشا

لمّا ابتدعت رأي الحمس<sup>4</sup> قالوا لا ينبغي لأهل الحلّ أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم

من الحلّ<sup>5</sup> إلى الحرم ، إذا جاءوا حجّاجا أو عمّارا و لا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أوّل طوافهم

إلا في ثياب الحمس ، يستعيرونها منهم للطّواف بها أو يستأجرونها. فإن لم يجد ، طاف

<sup>1</sup> . ذكرها ابن حبيب في المحبر ص 311 و ما بعدها.و شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ص 94.

<sup>2</sup> . ابن الكلبي : الأضنام ص 7.

<sup>3</sup> . نعمان الجارم : أديان العرب ص 52.

<sup>4</sup> . الحمس : هم قبائل من العرب من قاطني مكّة و كنانة و خزاعة و على رأسهم قريش و من يولد منها. و ابتدعوا أمورا لم تكن في الحجّ. حتّى أنّهم تركوا الوقوف على عرفة و الإفاضة منها. و هم يقرون أنّها من المشاعر و الحجّ ، و يرون أنّها لسائر العرب ، أمّا قريش فهم من ساكني الحرم فلا ينبغي أن يخرجوا من الحرم. كما سنّوا قوانين أخرى فلم يسلموا اليمن و لا ادّخروا لبنا و لا أكلوا لحما و لم يدخلوا بيتا من شعر. و لم يستظلّوا إلا في بيوت الأدم . و لم تتسج نسائهم و لم يغزلن الشعر إذا أحرمن.

<sup>5</sup> . الحلّ : بقية القبائل العربية التي لا تسكن الحرم ، فرضت عليهم الحُمس إن أحرموا أن لا يأكلوا ما يأتون به معهم ، و طوافهم لا يكون إلا بلباس الحمس إعارة أو إجارة فإن لم يجدوا طافوا عراة و النساء إن لم تجدن تضع الواحدة درعا مفرجا عليها و يكون في اللّيل فيتخلصن من وقوع سترهن في أعين الرجال(و إن لم يرد في الأخبار المدونة أن طاف الحجاج عراة إلا في قصّة واحدة).و يضيف محمد بن حبيب نوعا ثالثا و هم الطلس أي العرب الذين كانوا يأتون من أقصى اليمن طلسا من الغبار فيطوفون البيت في تلك الثياب الطلس فسمّوا بذلك.

عريانا<sup>1</sup> أو طاف في ثيابه التي جاء بها من الحل و القأها إذا فرغ من طوافه . ثم لم ينتفع

بها و لم يمسه هو و لا أحد غيره أبدا. و كانت العرب تسمي هذه الثياب اللقى. قال ورقة بن

نوفل يذكر شيئا تركه:

كَفَى حُرْنَا كَرَى عَلَيْهَا كَأَنَّهَا      لَقِي بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمٌ<sup>2</sup>

و قد لا يكون وراء هذه التحليلات و التحريمات للحمس أسباب دينية فقط , بل حاولت قريش

صياغة بعض الطقوس الدينية لمنافع تجارية اقتصادية . إلى أن جاء الإسلام و قضى على

الروحية التي كانت تقوم عليها هذه العبادات و الشعائر خاصة ما وضعه الحمس من

طقوس دينية.

## 2. الوقوف بعرفة:

" عرفة " <sup>3</sup> من المواضع التي يقدها أهل الجاهلية و هي من مناسك و شعائر الحج.

فالحمس لا يقفون بعرفة و تكون إفاضتهم يوم الحج من المزدلفة. أمّا الحلة و الطلس فيقفون

<sup>1</sup> . التفسير الذي ذكره الإخباريون لطواف العري هو رغبة الطائف حول البيت أن يكون نقيًا متحررا عن ذنوبه و آثامه. فطوافهم بملابسهم طواف غير صحيح ، لأنّ ملابسهم شاركتهم في آثامهم فهي نجسة فإذا أتموا الطواف تركوها في موضعها و لبسوا ملابس أخرى جديدة. عن الأزرقى : أخبار مكة ج 1 ص 117. و اللسان ج 20 ، ص 122.

<sup>2</sup>. أنظر ابن هشام : السيرة النبوية ج(1+2) ص 98 و ما بعدها. و الأزرقى : أخبار مكة ج 1، ص 114 .

<sup>3</sup> . تسمية عرفة فلها معاني كثيرة منها أنه أثناء تعليم جبريل لإبراهيم الشعائر قال له عندما وصل إلى ذلك الموضع : قد عرفت ، و هي في الكشف للزمخشري ج 1 ص 84. أو سميت عرفات لالتقاء آدم بحواء بعد نزولهما إلى الأرض ، أو لتعارف الناس عند وقوفهم بهذا المكان.

به يوم التاسع من ذي الحجة<sup>1</sup>. و من عرفة تكون الإجازة للإفاضة إلى المزدلفة. لقوله تعالى:

" ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " <sup>2</sup>.

و يذكر أهل الأخبار أن قصي بن كلاب كان قد أوقد نارا على المزدلفة حتى يراها من دفع

من عرفة. و إنَّ العرب سارت على سنَّته هذه ، و بقيت توقدها حتى في الإسلام.<sup>3</sup>

### 3. الإفاضة:

و في المزدلفة<sup>4</sup> يقضي الحجاج ليلتهم بعد وقوف عرفة ، و عند الشروق تكون الإفاضة إلى

منى لرمي الجمرات و لنحر الأضحية. و من الشعراء من ذكر منى<sup>5</sup> فقال أحدهم<sup>6</sup>:

و لَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلَّ حَاجَةٍ      وَ مَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا      وَ سَأَلَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبْلَحِ

و قال العرجي:

نَلَبْتُ حَوْلًا كُلَّهُ كَامِلًا      لَا تَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنْهَجِ

<sup>1</sup> . أنظر تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، حققه و خرَّج أحاديثه محمود محمد شاكر، و راجع أحاديثه أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية القاهرة ط 2، ج 2 ص 170.

<sup>2</sup> . سور البقرة الآية 199.

<sup>3</sup> . الألويسي : نهاية الإرب ج 1 ص 109 ( ذكر نيران العرب )

<sup>4</sup> . اختلف فيها العلماء لم سُميت بذلك ، فقيل مزدلفة منقولة من الازدلاف و هو الاجتماع و قيل الازدلاف الاقتراب لأنها مقرية من الله . و قيل لازدلاف الناس من منى بعد الإفاضة و لاجتماع الناس بها . و قيل لازدلاف آدم و حواء بها أي لاجتماعهما. و قيل : لنزول الناس بها في زلف الليل و هو جمع أيضا. و قيل لأنَّ الناس يدفعون منها زلفة واحدة أي جميعا. عن معجم البلدان لياقوت الحموي ج 5 ص 120.

<sup>5</sup> . "منى" موضع غير بعيد عن مكة ، و للتسمية أسباب منها ما ذكر في تاج العروس : عرفت بذلك لما يمنى بها من الدماء. و قيل سمى منى لأنَّ آدم عليه السلام تمنى فيها الجنة. و قال ابن الأعرابي : أمنى القوم و منى الله شيء قدره و قال ابن شميل : سمي منى لأنَّ الكعبش منى به أي دُبِح. و قال ابن عيينة: أُخِذَ من المنايا (الموت). و على رأس منى من نحو مكة عقبه تُرمى عليها الجمره يوم النَّحْرِ.

<sup>6</sup> . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 3 ، ص 198 ، مادة "منى".

الْحَجَّ إِنَّ حَجَّتْ وَمَاذَا مَرَّتْ      وَ أَهْلُهُ إِنَّ هِيَ لَمْ تَحْجُجْ؟<sup>1</sup>

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

و قد روى ابن هشام عن ابن إسحاق أنّ " صوفة " <sup>2</sup> كانت تدفع بالنّاس من عرفة. و تجيز بهم إذا نفروا من منى، فإذا كان يوم النّفَر أتوا لرمي الجمار، و رجل من صوفة يرمي النّاس (قبلهم)، لا يرمون حتّى يرمي. فكان ذوا الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له: قُمْ فلوم حتّى نرمي معك. فيقول: لا و الله حتّى تميل الشّمس.<sup>3</sup> و في ذلك قال مرّة بن خليف الفهمي و هو شاعر جاهلي:

إِذَا مَا أَجَارَتْ صُوفَةَ النَّقَبِ مِنْ مِئِي      وَ لَاحَ قَتَارٌ فَوْقَهُ سَفْحُ الدِّمِ<sup>4</sup>

بحيث أنّ النّاس في الجاهليّة كانوا إذا قضوا نسكهم لا يجزيهم إلّا قوم مخصوصون ، و كانت أولاً خزاعة ثمّ أخذتها منهم عدوان فصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سيارة أحد بني سعد...ثمّ صارت الإجازة لبني صوفة و هو لقب الغوث بن مرّ.<sup>5</sup> و ابن هشام يذكر أنّ

<sup>1</sup>. نفسه ،ص نفسها .

<sup>2</sup>.و صوفة نسبة للغوث بن مرّ بن أدّ الذي نذرت أمه أن تجعله ربيط الكعبة إذا عاش . و قد وضعت على رأسه صوفة كوفاء للندر ، فسّمى بها و لولده من بعده . وقد وليّ الإجازة بالنّاس من عرفة .أنظر السيرة النبوية لابن هشام ج (2+1) ص62.

<sup>3</sup>. ابن هشام :السيرة النبوية ص63.

<sup>4</sup>.المرزباني : معجم الشعراء، تحقيق د. فاروق اسليم، دار صادر بيروت، ط 1، 2005 ص 382.

<sup>5</sup>. أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 2 ص 72.

أنّ الإجازة كانت في صوفة و انتقلت لبني سعد في آل صفوان.<sup>1</sup> و في ذلك يقول أوس بن تميم السّدي<sup>2</sup>:

لَا يَبْرُحُ النَّاسُ مَا حَجَّوْا مَعْرَفَهُمُ  
الْأَدْيَانَ السِّمْلَوِيَّةَ فِي الشَّعْرِ الْجَاهِلِيَّ  
حَتَّى يُقَالُ أَجِيزُوا آلَ صَفْوَانَ

و يقول ذو الإصبع العدواني<sup>3</sup>:

غَدِيرُ الْحَيِّ مِنْ عُدْوَا      نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ

وَ مِنْهُمْ كَانَتْ السَّادَا      تٌ وَ الْمَوْقُونَ بِالْقَرَضِ

وَ مِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّا      سَ بِالرُّنَّةِ وَ الْفَرَضِ

و قد اشتهر رجل عُرف بعميلة بن خالد العدواني و شهرته أبو سيارة كان يجيز النَّاس من المزدلفة إلى منى أربعين سنة يركب حماراً أسوداً ، و ينظر إلى أعالي جبل ثبير ، فإذا شاهد عليها أشعة الشمس الأولى نادى : أشرق ثبير<sup>4</sup> ، كيما نغير! ثم يجيز لهم بالإفاضة . و فيه يقول الشاعر:

خَلُّوا الطَّرِيقَ عَنْ أَبِي سَيَّارِهِ      وَ عَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَرَّارِهِ

حَتَّى يُجِيزَ سَالِمًا جِمَارَهُ      مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ يَدْعُو جَارَهُ

<sup>1</sup> . السيرة النبوية ج (2+1) ص 63.

<sup>2</sup> . المرجع نفسه ، ص نفسها .

<sup>3</sup> . ذو الإصبع العدواني : الديوان، جمعه وحققه عبد الوهاب محمد علي العدواني و محمد نائف الدليمي، مطبعة الجمهور الموصل، 1973، ص 11.

<sup>4</sup> . ثبير: جبل من أعظم جبال مكة و كانت الشمس تشرق من ناحيته ، فكان ثبيراً لما حال بين الشمس و الشرق خاطبه بما تخاطب الشمس فقالوا : أشرق ثبير. و إن النبي (ص) خالفهم فأفاض قبل أن تطلع الشمس.

فَقَدْ أَجَارَ اللَّهُ مَنْ أَجَارَهُ<sup>1</sup>

و رمي الجمرات بم رمى من مناسك الحج ، مواضع رمي الجمرات و هي ثلاث : الجمرة

الأولى و الجمرة الوسطى و جمرة العقبة.و قد روى البيهقي عن ابن عباس عن الرسول(ص)

أنه قال: " لما أتى إبراهيم عليه السلام المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرما ه

حصيات حتى ساخ في الأرض ، ثم عرض له عند الجمرة الثانية...ثم الثالثة فرماه بسبع

حصيات حتى ساخ في الأرض" ، فقال ابن عباس: " الشيطان ترجموه، و ملة أبيكم تتبعون".<sup>2</sup>

و قال في ذلك دكين الشاعر:<sup>3</sup>

ظَلَّ يَحُجُّ وَ ظَلَّلْنَا نَحْبُهُ      وَ ظَلَّ يُرْمَى بِالْحَصَى مُبَوِّهُ

و قال أبو طالب:<sup>4</sup>

وَ بِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى إِذَا صَمَدُوا لَهَا      يُؤْمِنُونَ قَدْفًا رَأْسَهَا بِالْجَنَادِلِ

ومن الشعائر المتعلقة بمنى نحر الذبائح و هي الهدى الذي فُلد بقلادة أو بنعلين إشعارا

للناس بأن الحيوان هو هدي أو قران.والإشعار هو أن يشق جلد البدنة أو يطعن في أسنمه

في أحد الجانبين. يقول شاعر إشارة لذلك:

نَقَتْلُهُمْ جِيلاً فَجِيلاً تَرَاهُمْ      شَعَائِرُ قُرْبَانٍ بِهَا يُتَقَرَّبُ<sup>5</sup>

<sup>1</sup> . ابن منظور: لسان العرب ج 7 ص 191. و معجم البلدان ج 3 ص 6 مادة شبير.

<sup>2</sup> . السيد سابق: فقه السنة - مواضع النسك - دار الكتاب العربي بيروت المجلد الأول ، ص 272.

<sup>3</sup> . ابن منظور: لسان العرب ج 2 ص 227.

<sup>4</sup> . نعمان الجارم: أديان العرب ص 66.

<sup>5</sup> . الزبيدي: تاج العروس ج 3 ص 303 مادة شعر.

و تعتبر الأضحية من شعائر الحجّ و ذلك تيمّنا بتضحية إبراهيم و افتداء ذلك بكبش يُقدّم  
بديلا عن ابنه لقوله تعالى: " وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ " <sup>1</sup> و هكذا جرت العادة فكلّ حاج عليه أن

يضحيّ بذبيحة يوم النّزول بمنى و تُوزّع على المساكين و المحتاجين. و كانوا يسوقون الهدى

في العمرة أيضا ، كما ذبحوا لأصنامهم قربانا سمّيت بالعتائر. و يظهر أنّ الجاهليين كانوا

**الأديان السماوية في الشعر الجاهلي**  
ينحرون عند شروق الشمس فنهى عن ذلك النبيّ (ص) و في الحديث : " من ذبح قبل

التشريق <sup>2</sup> فليعد " <sup>3</sup> لأنّ الهدى يذبح بعد شروق الشّمس أي صلاة العيد في الإسلام .

و في ذلك قال الشاعر بن عبدة أخو علقمة الفحل: <sup>4</sup>

حَلَفْتُ بِمَا ضَمَّ الْحَجِيجُ إِلَى مَنَى      وَ مَا نَجَّ مِنْ نَحْرِ الْهَدْيِ الْمُقَلَّدِ

و من شعائر الحجّ أيضا حلق الرّؤوس أو تقصير الشعر، لأنّه لا يحلّ للحجاج بعد الإحرام

قصّ الشعر و إلّا بطل حجّهم . إذ ذكرها شاعر لغرض التشبيه <sup>5</sup>:

فَإِنْ تَمَنَعُوا مِنَّا السَّلَاحَ فَعِنْدَنَا      سِلَاحٌ لَنَا لَا يُشْتَرَى بِالْدَّرَاهِمِ

جَنَادِلُ أُمَّلَاءٍ إِلَّا كَفَّ كَأَنَّهَا      رُؤُوسُ رِجَالٍ حُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ

و قال زهير بن أبي سلمى: <sup>6</sup>

فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى      وَ مَا سَحِقَتْ فِيهِ الْمَقَادِمُ وَ الْقَمْلُ <sup>1</sup>

<sup>1</sup> .سورة الصافات الآية 107.

<sup>2</sup> . التشريق : شروق الشمس. و أيام التشريق ثلاثة أيّام بعد يوم النحر. و التشريق نسبه بعض اللغويين إلى تعريض اللّحم لأشعة الشّمس ، لأنّ العرب كانت تقوم بتقديد لحم الأضحية .

<sup>3</sup> .رواية للسيوطي عن علي الجارم : أديان العرب ص 63. التّجّ: سيلان الدم.

<sup>4</sup> . تاج العروس ج 6 ص 393 مادة شرق.

<sup>5</sup> . نعمان الجارم : أديان العرب ص 65.

<sup>6</sup> . زهير بن أبي سلمى : الديوان ، ص 83.



إذ كانت بعض القبائل كالأوس و الخزرج لا تحلق بعد انتهاء موسم الحجّ إلاّ عند صنمها مناة.<sup>2</sup> و كانت قضاة و لحم و جذام تحلق عند صنمها الأقيصر<sup>3</sup> و رميهم مع الشّعْر قبضة من دقيق كصدقة سميت الفرة . فهم في حجّهم مع النّاس في كلّ المواقع إلاّ الحلق ، لأنّهم لا يرون تماما لحجّهم إلاّ بتحلّهم عند معبوداتهم . ثمّ كانت العرب تختم أعمال الحجّ بالطواف بالبيت ، فإذا فعلوا ذلك حلّ لهم كل ما كان محرما في الحجّ . و منهم من كان لا يتحلّل بذلك إلاّ عند أصنامهم كما سبق الذّكر . وروى ابن العربي أنّ قريش و بني كنانة خزاعة و جميع مضر كانوا يعظّمون العزى ، فإذا فرغوا من حجّهم و طوافهم بالكعبة لم يحلّوا حتّى يأتوا العزى فيطوفون بها و يحلّون عندها و يعكفون عندها يوما.<sup>5</sup>

### ثانيا : العمرة في شعر الجاهلية

العمرة و الاعتمار لغة : القصد كالحجّ ، و سمّيت بالحجّ الأصغر . كما قال الزجاج : العمرة الطواف بالبيت و السعي بين الصفا و المروة<sup>6</sup> ، و في العمرة إحرام أيضا . و كان أهل الجاهليّة يقومون بأدائها في شهر رجب لحرمة ، حيث كانوا يفدون على مكّة آمين على أنفسهم و أموالهم . كما كانت العمرة في أوقات مختلفة رغبة من الجاهليين في التقرب إلى

<sup>1</sup> . المنازل من منى حيث ينزل النّاس فيها . و سحقت : حلقت ، المقادم : جمع مقدم الرّأس . أراد بالقمل الشّعْر أي شعر القمل .

<sup>2</sup> . ابن الكلبي : الأصنام ص 14 .

<sup>3</sup> . نفسه ص 48 .

<sup>4</sup> . و قد توسّعنا بهذا الموضوع في فصل الوثنية و في الملحق الثاني الجزء المتعلق بصنم الأقيصر .

<sup>5</sup> . نعمان الجارم : أديان العرب ص 66 .

<sup>6</sup> . الزبيدي : تاج العروس ج 3 ص 422 .

ألتهم الموجودة عند الكعبة و للتجارة أيضا. كما حرّموا أن تكون العمرة خلال فترة الحج ،

فنهى النبي عن ذلك.و في ذكر العمرة قال رجل من زبيد منعه العاص بن وائل ثمن بضاعة

### الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

اشتراها منه و كان ذلك سببا لحلف الفضول\*<sup>1</sup>:

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ      بِيَطْنِ مَكَّةَ نَائِيِ الدَّارِ وَ النَّفَرِ

وَ مُحْرِمٍ أَشْعَثَ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتُهُ      يَا لِلرِّجَالِ وَبَيْنَ الْحَجْرِ وَ الْحَجْرِ

كما ساق العرب الهدى ليذبح في العمرة.و منه ما روي عن النبي(ص)أنه أحرم عام ست من

الهجرة بالعمرة هو و أصحابه و ساق معه الهدى سبعين بدنقو قد جلّ لها و أشعرها و قلّدها.<sup>2</sup>

### ثالثا: الطهارة , الاختتان و الاعتكاف

كان العرب يتطهّرون من الحدث الأصغر و الأكبر في الجاهليّة و الدليل على ذلك ما ذكره

الزجاجي في أماليه حيث قال: " و كان الحنيف في الجاهلية من كان يحجّ البيت و يغتسل

من الجنابة و يغسل موثاه و يختتن , فلما جاء الإسلام صار الحنيف المسلم " .<sup>3</sup> و الغسل

كان من الجنابة و الحيض. و الغسل و الوضوء فيهم من آثار الأديان السماوية التي أقرّه

الإسلام . حيث قال المخبل:

<sup>1</sup> . المرجع السابق ،ص 68.

\* تعاهدت قبائل من قريش على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها و غيرهم ممّن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، و كانوا على من ظلّمه حتى تردّ عليه مظلمته ، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول.

<sup>2</sup> .ورد ذكر هذه الحادثة في فصل الوثنية عنصر النذور و الهدايا .

<sup>3</sup> . عبد الرحمن الزجاجي : الأمالي ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت ، ط 1، 1987، ص 2 .و في لسان العرب ج 1 ص 302. و ذكر محمد بن حبيب نفس الفكرة في المحبر ص 319 و ما بعدها.

إِنْ فَتِيرًا مِنْ لُقَّاحِ بْنِ حَارِمٍ كَغَاسِلَةٍ حَيْضًا وَ لَيْسَتْ بِطَاهِرٍ<sup>1</sup>

و مما ذكره ابن هشام في غزوة السويق أنّ أبا سفيان لما رجع إلى مكة نذر الأيمن رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً.<sup>2</sup> و في هذه الرواية أنّ الغسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية ، و هو بقية من الأديان السماوية في الشعوب الجاهلية الحجاج و النكاح و لذلك سمّوها جنابة و قالوا رجل جنب و قوم جنب لمجانبتهم في تلك الحال البيت الحرام و مواضع قربانهم.<sup>3</sup>

كما عرف معنى هذه الكلمة في القرآن لقوله تعالى : " وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ".<sup>4</sup> أمّا الإختتان فكان في العرب حنفاء و وثنيين و يهود على سواء لما تبقّى من شرائع إبراهيم عليه السلام. و الدليل على ذلك أنّ العرب كانوا ينعنون من لم يُختن بالأقلف و الأغلف و بالأغرل، و اعتبر شيئاً معيباً و منقصة. و في أخبار معركة " حنين " أنّ الأنصار حينما أجهزوا على قتلى ثقيف ممّن سقط في هذه المعركة مع هوازن وجدوا عبداً ، و عندما كشف ليستلب ما عليه وُجد أغرلاً ، فلما تبين ذلك للأنصار ، نادى أحدهم بأعلى صوته : يعلم الله أنّ ثقيفاً عُزل ما تختنن. فقام إليه المغيرة بن شعبة و هو من ثقيف ، فأخذ بيده و خشى أن يذهب ذلك عن قومه في العرب ، فقال له: لا تقل ذلك فذاك أبي و أمي، إنّما هو غلام لنا

<sup>1</sup>. نعمان الجارم : أديان العرب ص 70.

<sup>2</sup>. ابن هشام : السيرة النبوية ج (2+1) ص 381.

<sup>3</sup>. المصدر السابق ص 71.

<sup>4</sup>. سورة المائدة، الآية 6.

نصراني ، ثم جعل يكشف له قتلى قومه و يقول له: ألا تراهم مختنتين ؟<sup>1</sup> و كان العرب

يعتقدون أنّ الغلام إذا ولد في ليلة قمرء ارتدّت قلفته و صار كالمختون. و ممّا يزعم هـ

الإخباريون أنّ امرئ القيس قد دخل مع قيصر الحمّام فرآه أفلق فقال في ذلك:

**الأديان السماوية في الشعر الجاهلي**  
إِنِّي حَفَنْتُ يَمِينًا \* غَيْرَ كَاذِبَةٍ لَأَنْتَ \* أَقْلَفُ إِلَّا مَا جَنَى الْقَمَرُ<sup>2</sup>

أمّا الاعتكاف فكان في الجاهلية نذرا و تقربا إلى الله أو إلى آلهتهم من الأوثان. فالحنفاء

حبسوا أنفسهم في الكهوف وفي منازلهم لا يخرجون منها إلا لحاجة شديدة و ضرورة ماسة

و سمّوا بالمتحنّثين لتأملهم في الكون كما فعل النبيّ (ص) في غار حراء. و هناك من العرب

الجاهليين من عكفوا عند أصنامهم ليوم أو بعض يوم يقومون بطقوس الذّبح و الطواف.<sup>3</sup>

كقول ابن إسحاق: " واجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظّمونه

و ينحرون له و يعكفون عنده و يديرون به و كان ذلك عيدا لهم في كل سنة يوما "<sup>4</sup>.

و ممّا رواه مسلم عن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله إنّني نذرت في الجاهلية أن أعتكف

ليلة في المسجد الحرام , قال فأوف بنذكرك.<sup>5</sup> أي أنّ الاعتكاف لمدة زمنيّة في الكعبة ظاهرة

كانت موجودة قبل الإسلام فأقرّها بعد ذلك في المساجد و هي عند أهل الكتاب تسمى

الرهبنة و التعبّد.

<sup>1</sup> . الطبري : تاريخه ج 3 ص 130 ( ذكر الخبر عن غزوة رسول الله (ص) هوازن بحنين ).

<sup>2</sup> . تاج العروس ج 6 ص 226 مادة قلف.

<sup>3</sup> . راجع فصل الوثنية من هذه الدراسة و ما جاء فيه عن اعتكاف الجاهليين عند أصنامهم.

<sup>4</sup> . ابن هشام: السيرة النبوية ج (2+1) ص 590.

<sup>5</sup> . صحيح مسلم حققه نظر بن محمد الفرياني أبو قتيبة، دار طيبة ط 1، 2006، كتاب الأيمان و النذور ، ص 783 .

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

المبحث الثاني : اليهودية في الشعر الجاهلي

المطلب الأول : التعريف باليهودية

وردت لفظة يهود في المعاجم اللغوية العربية و أصلها الهود: التوبة. وهاد يهود هوذا و تهوّد: تاب و رجع إلى الحق فهو هائد. و المتهوّد: المتقرب. قال ابن الأعرابي فيما رواه ابن المنظور التهود: العمل الصالح. و الهوادة: الحرمة و السبب، و هاد إذا رجع من خير إلى شرّ أو من شرّ إلى خير. و هاد : إذا عقل.<sup>1</sup> و يهودي نسبة إلى سبط يهودا بالدال أو بالذال , و هو تلك العشيرة من أبناء يعقوب - إسرائيل - الذي نبع منها داوود و سليمان , فلانتسب الشعب

<sup>1</sup> . ابن منظور: لسان العرب مادة هود .

كله إلى عشيرتهما و حملوا اسم اليهود.<sup>1</sup> و اسم يهوذا مشتق لغويا من أصل سامي قديم

و هو مادة " ودى " التي تفيد الاعتراف و الإقرار و الجزاء و تقديم الشكر عند العبريين.<sup>2</sup>

### الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

و من هذا المعنى الأخير استوتحت " ليا " زوجة يعقوب اسم ابنها الرابع فقالت : " هذه المرة

أشكر الربّ ، و لذلك سمّته يهوذا ثم توقّفت عن الولادة " .<sup>3</sup> و ذكر الشعراء الجاهليون لفظة

يهود في أشعارهم ، كقول امرئ القيس :

فَعَزَّيْتُ نَفْسِي حِينَ بَأْتُوا بِجَسْرَةٍ      أَمُونِ كَبُنْيَانِ الْيَهُودِي حَيْفَقُ<sup>4</sup>

و يذكرها مالك بن عجلان في قوله:<sup>5</sup>

تَحَانِي الْيَهُودُ بِتِلْعَانِيهَا      تَحَانِي الْحَمِيرِ بِأَبْوَالِهَا

فَمَادَا عَلَيَّ بِأَنْ يَلْعَنُوا      وَ تَأْتِي الْمَنَايَا بِإِذْلَالِهَا

و وردت لفظة " يهود " في القرآن الكريم في أشكال عدّة ، مُعرّفة في سورة البقرة و المائدة

و التوبة<sup>6</sup> وهي سور مدنيّة. و وردت أيضا في سورة آل عمران المدنيّة عند شرح ديانة

إبراهيم " مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " .<sup>7</sup>

<sup>1</sup> .د.حسن ظاذا : مقال بعنوان " الشخصية الإسرائيلية " في مجلة عالم الفكر، العدد الرابع من المجلد العاشر ص 21. وزارة الإعلام. الكويت. عن شعر يهود في الجاهلية و صدر الإسلام للدكتور عبد الله جبريل مقداد ، دار عمار الأردن ، ط1، 1999 ، ص9.

<sup>2</sup> . نفسه ص 22 عن نفس المرجع ص 10.

<sup>3</sup> . سفر التكوين : إصحاح 35/29.

<sup>4</sup> .. امرؤ القيس : الديوان ، ص 129. جسر : قوية . أمون : موثقة الخلق. خفيق : سريعة.

<sup>5</sup> . الأصفهاني : الأغاني ، ج 19 ص 97.

و قصة هذا الشعر أنّ اليهود صوّرت مالكا في معابدهم و كانوا يلعنونه كلّما دخلوها و ذلك لقتله ثمانين رجلا منهم.

<sup>6</sup> . سورة البقرة الآية 113. 120 \_ المائدة : الآية 18. 51. \_ التوبة: 30.

<sup>7</sup> . سورة آل عمران الآية 67.

و جاءت في شكل فعل " هادوا و هدنا" في القرآن الكريم عشر مرات<sup>1</sup> مسبوقة بالاسم الموصول "الذين" بالنسبة " له ادوا ". أمّا "هدنا" جاءت بمعنى العودة إلى الله و التوبة، فوردت مرة واحدة في قوله تعالى: " وَاَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَلْنَاهَا عَذَابَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ " .<sup>2</sup> أمّا لفظة " هود " فجاءت في القرآن الكريم ثلاث مرات<sup>3</sup> و " هود " جمع هائد أي بمعنى يهودي. و قد عُرف اليهود باسم آخر هو العبرانيون و ربّما سُمّوا بذلك لعبور جدّهم إبراهيم نهر الفرات أو من عبورهم مع موسى للبحر الأحمر أو نسبة إلى عابر أحد أجداد إبراهيم و هو الاحتمال الوارد. و يقال أيضا بنو إسرائيل نسبة ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلا م، و الذي لُقّب بإسرائيل أي "المجاهد مع الله" ثم أُطلق على نسله من بعده.

### المطلب الثاني : تواجد اليهود في شبه جزيرة العرب

وفد اليهود إلى الحجاز في الجزيرة العربية منذ عهد بعيد لذلك لم يتفق المؤرخون على تحديد أوّل هجرة من هجراتهم. فيرجعها البعض إلى اضطهاد الملك الأشوري شلمنصر سنة 854 ق.م لليهود ، أو في عهد الملك البابلي بختنصر ( نبوخذ نصر ) سنة 606 ق.م و هو زمن السبي البابلي لليهود. حيث يقول ابن الأثير: " و دخل بختنصر و جنوده بيت المقدس

<sup>1</sup> .سورة البقرة الآية 62- النساء الآية 160.46 - المائدة الآية 41.44.69 - الأنعام الآية 146 - النحل الآية 118

-سورة الحج الآية 17- سورة الجمعة الآية 6.

<sup>2</sup> .سورة الأعراف الآية 156.

<sup>3</sup> .سورة البقرة الآية 111.135.140.

فوطئ الشام، و قتل بني إسرائيل حتى أفناهم و خرب بيت المقدس و أمر جنوده فحملوا  
التراب و ألقوه فيه حتى ملأوه ، ثم انصرف راجعا إلى بابل و أخذ معه سبايا بني إسرائيل".<sup>1</sup>  
فهذا الظلم و التشريد الذي لقيه اليهود أدى بمن بقي منهم إلى الهروب في صحاري جزيرة  
العرب حيث يصعب على البابليين اللحاق بهم. ففرّوا إلى وادي القرى و خيبر و تيماء  
**الأديان السماوية في الشعر الجاهلي**  
و يثرب. و هذا احتمال وارد خاصة بعد تهديم بيت المقدس المكان المقدس عند اليهود. و من  
الافتراضات التي ذكرها المؤرخون أيضا ما رواه أبو الفرج الأصفهاني أنّ هجرتهم كانت منذ  
عهد سيدنا موسى عليه السلام، حيث بعث جيشا من بني إسرائيل إلى العماليق سكان يثرب،  
فلنتصر عليهم و أفناهم ، ثم أقام بنو إسرائيل<sup>2</sup> بيثرب بعد وفاة موسى. و اتخذوا بها الآطام  
و الأموال والمزارع.<sup>3</sup> ممّا جعل الأوس والخزرج عندما نزلوا المدينة بعد سيل العرم في ضيق  
من المعاش لأنّ الأموال و النخل و الزرع لليهود سكان المدينة، فلبثوا بها حيناً ثم استجد  
أميرهم مالك بن العجلان بأبي جبيلة الغساني ملك بلاد الشام، و قد ترك مأرب مع قومه عند  
السيل و سكن الشام ، فأتى لنجدته و فتك بعلية القوم من اليهود في المدينة. و بذلك تقول  
سارة القريظية ترثي من قتلهم أبو جبيلة:<sup>4</sup>

بِنَفْسِي أُمَّة لَمْ تَعْنِ شَيْئًا      بِذِي حِرْضٍ تَعْفِيهَا الرِّيَّاحُ

كُهُولٌ مِنْ قَرِيظَةَ أَتَلَفَتْهَا      سَيْوُفُ الْخَزْرَجِيَّةِ وَ الرَّمَا حُ

<sup>1</sup> . أنظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج 1 ص 149. 150.

<sup>2</sup> . و من قبائل بني إسرائيل التي عددها الأصفهاني أحد عشر اسما و الذين سكنوا المدينة و هم: بنو عكرمة ، بنو ثعلبة،  
بنو محمر، بنو زغورا، بنو قينقاع ، بنو النضير، بنو قريظة ، بنو بهدل ، بنو عوف و بنو الفصيص.

<sup>3</sup> . الأصفهاني : الأغاني ج 19 ص 94 و ما بعدها .

<sup>4</sup> . نفس المصدر ص 96.



و كما يرجع فيليب حتي نزول اليهود بيثرب كان على إثر تدمير الرومان لبيت المقدس سنة 70م في عهد القيصر الروماني "تيطس" (تيتوس) ، وازدياد تلك الهجرات على عهد

القيصر "هادريان" سنة 132. <sup>1</sup> حيث تشرد اليهود في شبه الجزيرة العربية و في مصر ، فسكنوا

تيماء و التي كان يشرف عليها حصن السمّوال ، و هي من أهم مواطن اليهود في الجزيرة

العربية. و قد صالح يهودها الرسول (ص) على الجزية سنة تسع للهجرة ثم أجلاهم عمر مع من أجلى من يهود الجزيرة. <sup>2</sup>

و قد نعتت تيماء بتيماء اليهود حيث يقول الأعشى: <sup>3</sup>

وَ لَا عَادِيًّا لَمْ يَمْنَعِ الْمَوْتَ مَالُهُ      وَ وَرَدَ بِنَيْمَاءِ الْيَهُودِي أْبْلَقُ

كما وُجد قوم من اليهود بالطائف وُضعت عليهم الجزية <sup>4</sup> في عهد الرسول(ص) ، و في فدك و بوادي القرى ، و قد كان اليهود مزارعين و تجّار و صائغين. أمّا باليمن فظهر التهوّد

ظهورا واضحا ، حيث عثر كلاسر في اليمن على نصّ مكتوب بالمسند و نشره المستشرق

ونكلر يقول: تبرك سم رحمنن ذ بسمين (سمن) و يسرال و الهمو رب يهود... إلخ النص.

و يعني بالعربية: "تبارك اسم الرّحمن الذي في السماء وإسرائيل و إلهه رب يهود...". <sup>5</sup>

كما يذكر اليعقوبي أنّ ممّن تهوّد من العرب : اليمن بأسرها ، و كان تُبع حمل حبرين من

<sup>1</sup> . أنظر فيليب حتي : تاريخ العرب ج 1 ص 48.

<sup>2</sup> . ياقوت الحموي : معجم اللدان ج 2 ص 67.

<sup>3</sup> . الأعشى : الديوان، ص217.

<sup>4</sup> . أحمد بن يحيى البلاذري : فتوح البلدان، مطبعة الموسوعات مصر ط1، 1951 ص 63.

winckler.ADF . 1\_337

<sup>5</sup> . جواد علي : المفصل ج 6 ص 541 عن

أخبار يهود إلى اليمن. و أبطل الأوثان و تهوّد من اليمن <sup>1</sup>. و معنى هذا أن اليمن تهوّدت وفق دعوة تبشيرية إن صحّت الرواية. رغم علمنا بأن اليهود عزفوا عن التبشير بدينهم لتعاليمهم التي تقتضي بالأدلة التي تقدمها في الشق "الجاهلي" إلهم الحقيقي و الخاصّ بهم، خاصّة أنّ طبيعة اليهودي تجعله ينظر دائماً و في المقام الأوّل إلى العامل الاقتصادي و المنفعة الشخصية. يؤكّد ولفنسون هذه الفكرة حيث يقول: " هاجروا مواطنهم الأصلية إلى مناطق الخير الوفي و السعة في الرزق و الثروة و هو لا يبالي في سبيل ذلك بتبشير أو نشر عقيدته بين النّاس".<sup>2</sup>

و ممّا ذكره الرواة و منهم ابن إسحاق أنّه حدثت صراعات و حروب بين النصارى و اليهود خاصّة ببلاد اليمن. و لعلّ أكثر المتعصّبين للدين اليهودي ذو نواس و الذي اضطرّ النصارية ، و قتل عدداً من نصارى نجران في الأخدود الذي أشار إليه القرآن الكريم<sup>3</sup>. فرغم أنّ الصّراع الموجود بين الأحباش المسيحيين و العرب الوثنيين و اليهود و الذي جاء فترات متعدّدة إلا أنّ هذا لا يؤكّد أن قصّة الأخدود حدثت في عصر أبي نواس اليهودي و الذي هاجم المسيحية في نجران خوفاً من عودة الانتشار العسكري للأحباش و استنفاذهم لخيرات بلاده. و يمكن أن نخلص إلى أنّ اليهود سكنت الربوع الحجازية من خلال هجرات متتالية

<sup>1</sup>. اليعقوبي: تاريخه ج 1 ص 226 و ما بعدها عن المفصل لجواد علي ج 6 ص 514، و هو يضيف ممن تهوّد من العرب: قوم من الأوس و الخزرج لمجاورتهم يهود خيبر و قريظة و النضير و تهوّد قوم من بني الحارث بن كعب و قوم من غسان و قوم جذام . و نفس الفكرة ذكرها ابن الأثير في الكامل في التاريخ ج 1 ص 244 و ابن خلدون في المقدمة ج 2 ص 53.

<sup>2</sup>. إسرائيل ولفنسون: اليهود في بلاد العرب في الجاهلية و صدر الإسلام ص 78. لجنة التّأليف و الترجمة.

<sup>3</sup>. سورة البروج الآية 3. 5. إلا أنّ ما ذكر في القرآن الكريم أنّ الملك كان كافراً و من حرّقوا في الأخدود مؤمنين ، و دين عيسى جاء مؤيداً لما كتّب في التوراة من التوحيد ، وقد ناقشنا هذه الفكرة سابقاً (عنصر ديانة اليمن).

سواء بسبب الاضطهاد البابلي و الآشوري أو الروماني أو بسبب التجارة لأنهم عرفوا بالمتاجرة و الصناعات اليدوية و الزراعة. فهم لم يكونوا أعرابا ينتقلون من مكان إلى مكان بل كانوا حضرا ، استقرّوا في الأماكن التي نزلوا بها و مارسوا مهنة أهل المدر.<sup>1</sup> حيث يذكر ولفنسون أنّ تجّار اليهود كانوا يرحلون إلى سبأ في عهد سليمان و بعده.<sup>2</sup> إذ عُثر في حيفا على شواهد قبور تعود إلى سنة 200 م عليها أسماء يهود من خيبر، كانوا قد جاؤوا إلى فلسطين للتجارة فدفنوا فيها. و هو ما يعني وجود جاليات يهودية في اليمن كانت على اتصال دائم بأبناء عموماتهم من يهود الشام.<sup>3</sup> و ورد في أخبار يذكرها جواد علي : أنّ أحبارا من فلسطين من طبريا كانوا قد جاؤوا إخوانهم في الدين يهود اليمن و سلكوا معهم.<sup>4</sup> و معنى هذا أنّ الصلات بين يهود اليمن و يهود فلسطين كانت موجودة ، و هذا القول ينطبق على يهود الحجاز خاصّة إذا علمنا أنّ اليهود قد احتلّوا مراكز اقتصادية في خيبر و المدينة و تيماء و هي طريقهم إلى الشام.

### المطلب الثالث : علاقة اليهود بالعرب

بانتشار اليهود في جهات متفرّقة من بلاد العرب جعل أغليبتهم يتأقلمون مع البيئة التي استقرّوا بها. فاصطبغوا بالصبغة العربية ، إذ كانوا يلبسون لباسهم و يتزوّجون منهم ، كما اتّخذوا اللّغة العربية لغة حديثهم و أدبهم. حتّى أنّهم نظموا بها شعرا وصل إلينا على شكل

<sup>1</sup> . أنظر جواد علي : المفصل ج 6 ص 183.

<sup>2</sup> . إسرائيل ولفنسون : اليهود في بلاد العرب ص 8.

<sup>3</sup> . المرجع السابق ج 6 ص 539.

<sup>4</sup> . نفسه ص 540 .541.

مقطوعات منسوبة إلى مجموعة شعرائهم كالسموأل بن عادياء<sup>1</sup> و هو أشهرهم و أكثرهم شعرا، و الربيع بن أبي الحقيق و سعية بن الغريض و كعب بن الأشرف و قيس بن رفا غة و أبي الذيال و سمالك و جبل بن جوال و أوس بن دني و غيرهم.<sup>2</sup>

و بلغ تأثرهم بالعرب أنهم سموا بأسماء عربية مما جعل عددا من الدارسين ينفون عنهم الأصل العبراني و إنما هم من نسب عربي متهود. حيث ينقل لنا جواد علي رأيا عن المستشرق ونلك مفاده أن اليهود في الجزيرة العربية هم عرب متهودون ، نظرا لأن عاداتهم و تقاليدهم و عقائدهم كانت يجب أن تكون خلافا على ما كانت عليه في حال كانوا يهودا عبرانيين.<sup>3</sup> ربما تغيرت بعض العادات عند اليهود بعد استقرارهم في بلاد العرب لزم طويلا و تأثرهم بطباع العرب يقول في ذلك إسرائيل ولفنسون : " و لا أعلم في تاريخ اليهود القديم إقليما تأثر فيه اليهود بأخلاق و عادات و تقاليد أبنائه إلى هذا الحد سوى إقليم الجزيرة العربية".<sup>4</sup> إلا أنهم حافظوا على طقوسهم الدينية و معتقداتهم<sup>5</sup>، كما امتهنوا بعض المهن التي يأنف العربي أن يقوم بها. كما كانوا لا يرغبون في القتال و الغزو و الحرب ، حيث بنوا حصونا احتموا بها من غزو الأعراب. هذا لا يعني أن اليهودية كانت في العبرانيين فقط ،

<sup>1</sup> . السموأل : أو صموئيل و هو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء و هو مضرب مثل في الوفاء و صون الأمانة لأنه أثر أن يقتل ابنه و لا يسلم أمانة دروع امرئ القيس إلى الحارث بن أبي شمر أو الحارث بن ظالم.

<sup>2</sup> . جاء في الأغاني ج 6 ص 87. 88 بعض المقطوعات من شعر اليهود.

<sup>3</sup> . جواد علي : المفصل ج 6 ص 533.

<sup>4</sup> . ولفنسون : تاريخ اليهودية في بلاد العرب ص 13.

<sup>5</sup> . من طقوسهم و معتقداتهم : الحفاظ على حرمة يوم السبت و صومه. و الابتعاد عن بعض المأكولات المحظورة في شريعتهم. كما استعملوا الشبور للدعوة إلى الصلاة ، فيهود يثرب استعملوا القرن في معابدهم لإعلان الصلوات و الأعياد و الاحتفالات و الحوادث المهمة الطارئة. و الشبور ربما قرنا ينفخون فيه فيخرج أصواته

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

بل نجد من العرب من تهوّد ، إذ نجد ابن قتيبة يؤكد ذلك بقوله: " و كانت اليهودية في

حمير وفي بني كنانة وبني الحارث بن كعب و كندة " .<sup>1</sup> كما يقول السهيلي صاحب الروض

الأنف : " غير أنّه وجد في الأوس و الخزرج من قد تهوّد. و كان من نسائهم من تُنذر إذا

ولدت أو عاش ولدها أن تهوّده ، لأنّ اليهود عندهم كانوا أهل علم و كتاب " .<sup>2</sup>

فقد سرت اليهودية إلى العرب لمجاورتهم يهود خيبر و يثرب و تيماء و اليمن. ف اعتنقها

البعض لتأثرهم بعقيدة التوحيد و نبذهم للأوثان . و من بين الأفكار التي نشرها اليهود خاصّة

في المدينة (يثرب) لعلمهم بما جاء في كتابهم قرب ظهور نبيّ فيهم . حيث يذكر ابن هشام

عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه أنّه قال: " إنّ ممّن دعانا إلى الإسلام مع

رحمة الله تعالى و هداه ، أنا كُنّا نسمع من رجال يهود و كُنّا أهل شرك أصحاب أوثان ،

و كانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، و كانت لا تزال بيننا و بينهم شرور، فإذا نلنا منهم

بعض ما يكرهون ، قالوا لنا: إنّهُ تقارب زمان نبيّ يبعث الآن ، نقتلكم معه قتل عاد و إرم

فكُنّا كثيرا ما نسرع ذلك منهم. فلمّا بعث الرسول (ص) أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى،

و عرفنا ما كانوا يتوعّدوننا فبادرناهم إليه فآمنا به و كفروا به .<sup>3</sup> و فيهم نزل " وَلَمَّا جَاءَهُمْ

كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ

مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ " .<sup>4</sup>

<sup>1</sup> . ابن قتيبة : كتاب المعارف ص 299.

<sup>2</sup> . السهيلي : الروض الأنف ، عن محمد إبراهيم الفيومي : تاريخ الفكر الديني الجاهلي ص 175.

<sup>3</sup> . ابن هشام : السيرة النبوية ص 103.

<sup>4</sup> . سورة البقرة الآية 89 . يستفتحون : بمعنى يستنصرون و يتحاكمون .

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

فمجاورة العرب اليهود و مقامهم معا في ديار واحدة لفترة طويلة من الزمن لم تمر دون أن تترك بعض آثارها في الشعر الجاهلي ، و من هذه الآثار المعارف الدينية و قصص أنبياء بني إسرائيل و أعيادهم . و يظهر ذلك جليا في شعر أمية بن أبي الصلت و ورقة بن نوفل<sup>1</sup> حيث يقول على سبيل المثال لا الحصر<sup>2</sup> :

لَمْ تُعْنِ عَنْ هُرْمَزٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ      وَ الْخُلْدَ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا

وَ لَا سُلَيْمَانَ إِذْ دَانَ الشُّعُوبُ لَهُ      وَ الْجِنُّ وَ الْإِنْسُ تَجْرِي بَيْنَهَا الْبُرْدُ<sup>3</sup>

كما نجد لبيد بن ربيعة يذكر لنا صلاة اليهود في قصيدة له يصف رجلا غلب عليه النعاس<sup>4</sup>:

يَلْمَسُ الْأَحْلَاسَ فِي مَنْزِلِهِ      بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِيِّ الْمُصَلِّ<sup>5</sup>

و وجه الشبه بين اليهودي المصل و الرجل الذي غلبه النعاس ، كما يشرحه البغدادي عن الطواسي أنّ اليهودي كان يُصلي في جانب ، أي يسجد على شقّ وجهه ، و أصل ذلك أنّهم لما شقّ الجبل فوقهم قيل لهم إمّا أن تسجدوا و إمّا أن يُلقى عليكم فسجدوا على شقّ واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل ، فصار عندهم سنّة إلى اليوم<sup>6</sup> . كما وجدت دور للعبادة عند

<sup>1</sup> . ورقة بن نوفل أحد شعراء العرب الذين كرهوا عبادة الأوثان ، قرأ الكتب المنزلة. و يُروى أنّه تنصّر أو بقي على الحنيفية . و كان يجيد العبرانية قراءة و كتابة ، و هو من بشر خديجة بنت خويلد بأنّ محمد (ص) هو النبي المنتظر.

<sup>2</sup> . الأصفهاني : الأغاني ج 3 ص 115 ،

<sup>3</sup> . دان : خضع أو طاع . بينها : أي بين الشعوب . البرد : جمع بريد و هو الرسول.

<sup>4</sup> . لبيد بن ربيعة : الديوان، دار صادر بيروت، ص142.

<sup>5</sup> . الأحلاس : جمع حلس و هو كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت رحله أي يطلب الأحلاس بيديه و هو لا يعقل من غلبة النعاس.

<sup>6</sup> . البغدادي : خزانة الأدب ، عن نعمان الجارم : أديان العرب ص 201 وما بعدها.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

اليهود يؤدون فيها صلواتهم و احتفالاتهم الدينية، ومنها المحراب الذي يذكره قيس بن الخطيم في قوله<sup>1</sup>:

نَمَتْهَا الْيَهُودُ إِلَى قُبَّةٍ دُوِينَ السَّمَاءِ بِمِحْرَابِهَا

و عُرف علماء اليهود و رجال دينهم بالأخبار والريانيين<sup>2</sup> لقوله تعالى: " لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرِّيَاسِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ".<sup>3</sup> حيث جاءت لفظة حبر في قول شاعر مجهول<sup>4</sup>:

كَمَا خَطَّ عِبْرَانِيَّةَ بِيَمِينِهِ بَيْتِيَاءِ حَبْرٍ ثُمَّ عَرَضَ أَسْطُرًا

كما عرف العرب كتب اليهود : كالزابور و التوراة<sup>5</sup> و ذكروها في أشعارهم كقول امرئ القيس:<sup>6</sup>

لَمَنْ طَلَّ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زُبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانِي

فللشاعر يشبهه الطلل بكتابة من الزابور الذي خط على جريد نخل يماني ، وذلك لاشتغال اليهود بالكتابة و التدوين . فالآثار على الأرض تخلد أخبار من سكن هذه الديار كخلود ما جاء في الزابور من أحداث . أمّا المرقش السدوسي فيقول:<sup>7</sup>

و كَذَلِكَ لَا خَيْرَ وَلَا شَيْءَ عَلَيَّ أَحَدٍ بِدَائِمِ

<sup>1</sup> . قيس ابن الخطيم : الديوان ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، ص 135 .  
<sup>2</sup> . الريانيون هم العلماء بالحلال و الحرام.و الرياني من كان راسخا في العلم و الدين،أما الأخبار أهل معرفة بلبناء الامم  
<sup>3</sup> . سورة المائدة الآية 63  
<sup>4</sup> . البيت الشعري ذكره ابن المنظور في لسان العرب ج 4 ص 158 مادة " حبر "  
<sup>5</sup> . الزابور : ما أنزل على سيدنا داوود عليه السلام . و جاء بعده التوراة الذي أنزل على سيدنا موسى عليه السلام، و التلمود هو شرح لما جاء في التوراة .  
<sup>6</sup> . امرئ القيس : الديوان ، ص 158 . شجاني : أجزني ، العسيب : سعف النخل .  
<sup>7</sup> . ابن منظور: لسان العرب ج 12 ص 113 مادة حتم .

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

قَدْ خَطَّ ذَلِكَ فِي الزُّبُرِ      رِ الْأَوَّلِيَّاتِ الْقَدَائِمُ

فلشاعر يبين ما جاء في الزبور من حقائق فللنعم زائلة كزوال الإنسان و لا شيء دائم ،  
هذه الحكم وردت في الكتب الدينية القديمة . كما تعرّف العرب على أحوال اليهود الدينية  
كقول أوس بن حجر<sup>1</sup> :

قَدْ يَمَتَّ عَنِّي وَبَاتَ الْبَرْقُ يُسْهِرُنِي      كَمَا اسْتَضَاءَ يَهُودِي بِمِصْبَاحِ

فالشاعر شبه نفسه و استضاءته بالبرق باليهودي الذي يستعمل المصباح في سهره للعبادة  
و الصلاة. و من العادات التي ينسبها الجاهليون لليهود التعشير<sup>2</sup> ، أي من أراد دخول خيبر  
عليه أن يحب و ينهق مثل الحمير حتى لا تصيبه حمى خيبر. و نجد عروة بن الورد  
يرفض بأن يقوم بهذا الفعل لأنه لا يخشى الموت ، وما هذه العادة إلا سنة وضعها اليهود ،  
فيقول<sup>3</sup> :

وَقَالُوا إِحِبِّ وِ انْهَقْ لَا تَضِيرُكَ حَيْبُ      وَ ذَلِكَ فِي دِينِ الْيَهُودِ وَ لَوْعُ

لَعَمْرِي لئنْ عَشَرْتُ مِنْ خَشِيَّتِ الْوَرَى      نِهَاقَ الْحَمَى - ي - رِ إِنِّي لَجَزُوعُ

و نجد الأعشى يذكر لنا الخمر التي كانت تعدّه اليهود لأعيادهم أو لبيعها. و قد أعطى لها  
لمسة من القدسية لعشقه لها . فهو يصف اليهود عند صنعهم للخمر و هم يطوفون بها  
طواف العابدين بالبيت المقدس و يصلون عليها بعد ختمها ووضعها في دنّها. حيث يقول:<sup>4</sup>

<sup>1</sup> . أوس بن حجر : الديوان ، تحقيق محمد يوسف نجم . دار صادر بيروت ص 15 .

<sup>2</sup> . التعشير : من عشرت - أي أن ينهق كالحمار عشر نفقات عند دخوله خيبر خوفا من مرض الطاعون .

<sup>3</sup> . عروة بن الورد : الديوان ، ص 95 . - ولوع : كذب .

<sup>4</sup> . الأعشى : الديوان ، ص 35 .



## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

وَ صَهْبَاءٍ طَافَ يَهُودِيَّهَا      وَ أَبْرَزَهَا وَ عَلِيَّهَا خُنْمُ  
وَ قَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دِنِّهَا      وَ صَلَّى عَلَيَّ دِنِّهَا وَ ارْتَسَمَ

و من خلال هذه النماذج الشعرية خلصنا إلى أنّ العرب كانوا على دراية بتعاليم الديانة اليهودية ، إلاّ أنّها لم تؤثر بشكل كبير في تغيير البنى الذهنية العربية . بحيث أنّها لم تؤثر في عاداتهم و تقاليدهم<sup>1</sup> ، و إن اعتنقها البعض لأنّها ديانة توحيدية . فالتحريف<sup>2</sup> الذي أصاب اليهودية مثل الذي أصاب المسيحية دفع العرب إلى النفور من دينهم ، خاصّة أنّ اليهود رأوا أنّ إلههم " يهوه " هو إلههم الخاصّ بهم و لم يكن إلهاً عالمياً . و حرصوا على عدم نشر دينهم أو علمهم ، فهم قوم لا يعلنون عقائدهم .

### المطلب الرابع : شعراء اليهود

لقد ظهر بين اليهود الذين عاشوا في بيئة عربية شعراء يجيدون العربية الفصيحة ، فنظموا الشعر على شاكلة الشعر العربي المعروف آنذاك و أجادوا فيه ، ممّا جعل المؤرخين ينسبونهم إلى أصل عربي متهود . و من بين هؤلاء الشعراء السموأل بن عدياء الذي نسبه البعض إلى قبيلة بني الديان وهي عربية الأصل ، و الحجّة في ذلك أنّه ذكر في بعض شعره<sup>3</sup> أو ما

<sup>1</sup> . الجدير بالذّكر و للأمانة العلمية نذكر أنّ نعمان الجارم نقل عن المقرئ بن عدياء : أنّ العرب تعلّموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا بيثرب .

<sup>2</sup> . جاء في القرآن الكريم ذكر لتغيير دين التوحيد عند اليهود و النصارى ، (سورة التوبة الآية 9) .

<sup>3</sup> . ذكرت قبيلة بني الديان فيما يلي من الأبيات :

وَ قَائِلَةٌ مَا بَالُ أُسْرَةٍ عَادِيَّيَا      تُنَادِي وَ فِيهَا قِلَّةٌ وَ خُمُوسُ  
هُوَ الْأَبْلَقُ الْقَرْدُ الَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ      يَعِزُّ عَلَيَّ مِنْ زَامَتِهِ وَ يَطُولُ  
فَإِنَّ بَنِي الدِّيَّانِ قُطِبٌ لِقَوْمِهِمْ      تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَ تَجُولُ

عن شعر يهود لعبيد الله جبريل مقداد ، ص 352 .

نسب إليه أنه من بني الديان أي من العرب المتهودين . إلا أن الشكوك تحوم حول الشعر الذي يظهر أنّ مع ظمه منتحل . و إذا تتبّعنا سيرته وما قيل فيه من وفاء و محافظة على الوديعة, قد يزيد شكنا على أنّ شخصية السمؤال أضيفت إليها ملامح الشخصية المتخلّقة الكاملة. و ربّما أخذت هذه الصفات من شخصية " صموئيل" المذكورة في التوراة وهو نبيّ بني إسرائيل توفيّ سنة 1057 ق.م.<sup>1</sup> و هذا ما دفع بعض المؤرخين إلى أن ينسبه إلى نسل هارون النبيّ.<sup>2</sup> خاصّة إذا علمنا أنّ السمؤال جدّ "صفية بنت حبي بن الأخطب" لأمّها<sup>3</sup>, و هي يهودية و قد تزوّجها الرسول (ص) . و كانت تفتخر على زوجات النبيّ بأنّها زوجة نبيّ و من نسل نبيّ و هو هارون.<sup>4</sup> و هناك من قال أنّ والده من اليهود أمّا أمّه فكانت من غسان.<sup>5</sup> تضاربت الآراء حول نسبه و ما يهّمنا هو دراسة شعره أو ما نسب له. فما وصلنا من أشعاره أغزر بكثير ممّا وصلنا من غيره من شعراء اليهود و الذي يحمل شعرهم الطابع العربي. كما مكّنا من استخلاص الكثير من الأخبار عن عقيدته و عاداته الاجتماعية و تصرفاته العاكسة لأخلاقه. ممّا يجعلنا في كثير من الأحيان نشكّ أنّه على دين اليهودية , في ظلّ الصّورة النمطيّة لليهودي التي نحملها في أذهاننا. ففي وفاءهللكندي نجده يقول:<sup>6</sup>

<sup>1</sup> . نعمان الجارم : أديان العرب , ص 200 .

<sup>2</sup>. أبو الفتح العباسي : معاهد التنصيص على شواهد التلخيص و بهامشه بدائع البدائ , المطبعة البهية مصر , 1316هـ, ج 1 ص 131.

<sup>3</sup> . أمّها برة بنت السمؤال

<sup>4</sup> . أبو عمر يوسف بن عبد البر: الإستيعاب في أسماء الصحابة، دار الفكر للطباعة و النشر بيروت، 2006، ج 4 ص 337 .

<sup>5</sup> . الأصفهاني : الأغاني ج 19 ص 98 .

<sup>6</sup> . السمؤال :الديوان , ص 80 .

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

فأحمي الحارَ في الجلى فيمُسري عَزِيْرًا لَا يُرَامُ إِذَا حَمِيْتُ  
وَفِيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِنْدِيِّ ، إِتِّي إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفِيْتُ<sup>1</sup>

فالشاعر لم يسلم وديعة الكندي - الأدرع - حتى بعد قتل ابنه على مرأى منه من قبل

الحارث بن ظالم و بذلك ضرب به المثل في الوفاء فقيل: "أوفى من السمؤال".<sup>2</sup>

و نجد الأعشى يمدحه في قوله:<sup>3</sup>

كُنْ كَالسَّمْوَالِ إِذَا طَافَ الْهَمَامُ بِهِ فِي مَحْفَلِ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارُ

ثم يقول على لسان السمؤال:<sup>4</sup>

فَشَكَكَ غَيْرُ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ أُفْتُلُ أَسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي

وَ سَوْفَ يَعْقَبُنِيهِ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ رَبُّ كَرِيمٍ وَ بِيضٌ ذَاتُ أَطْهَارِ

و من آراء السمؤال في الموت و الحياة ما يشير إلى إيمانه بالبعث إذ يقول<sup>5</sup> :

مَيِّتٌ دَهْرٍ قَدْ كُنْتُ ثُمَّ حَيِّتٌ وَ حَيَاتِي رَهْنٌ بَأَنْ سَأَمُوتُ

وَ أَتَانِي الْيَقِينُ أَنِّي إِذَا مِتُّ وَ إِنْ رُمَّ أَعْظَمِي مَبْعُوثٌ

ثم يبدي السمؤال تخوفه مما في الصحف التي تسجل أعمال الناس ، فهو يتساءل أهو

سيؤخذ بذنوبه أم سيغفر المليك له جزاء ما قام به من أعمال خيرية:<sup>6</sup>

<sup>1</sup> . ورد في الأغاني : " إذا ما ذم أقوام وفيت ."

<sup>2</sup> . الميداني : مجمع الأمثال ، ج 2 ، ص 276 .

<sup>3</sup> . الأغاني ج 19 ص 100 .

<sup>4</sup> . نفسه ج 19 ص 100 .

<sup>5</sup> . السمؤال : الديوان ، ص 81 .

<sup>6</sup> . عبد الله جبريل مقداد : شعر يهودا في الجاهلية و صدر الإسلام ، ص 337 .

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

هَلْ أَقُولَنَّ إِنَّ تَدَارِكَ ذَنْبِي      وَ تَدَأَى عَلَيَّ إِنِّي نُهِيتُ  
أَبْضَلُ مِنَ الْمَلِيكِ وَ نُعْمَى      أَمْ بِذَنْبٍ قَدَّمْتُهُ فَجُزِيتُ

و من خلال تصفحنا لديوان السموأل أو ما جاء من قصائد محققة في كتاب الشعر اليهودي للدكتور عبد الله جبريل ، فإننا استنتجنا أن الحكمة الواردة في شعره هي في أغلب الظن مستقاة من الكتب الدينية التي كان الشاعر على إطلاع بها ، إضافة إلى ذلك لمسنا جودة و فصاحة في اللغة التي ميّزت شعره . يمكننا هذا من فهم إلى أي مدى تأثر اليهود بلغة العرب ، غير أننا لا نلمس فيها أي أثر لليهودية و لا لألفاظ عبرانية . و هذا لا ينطبق دائما على شعراء يهود آخرين بحيث أنهم عبروا عن أفكارهم مستعملين أغراض شعرية شتى منها الهجاء و الفخر، ككعب بن الأشرف الرضري الذي قال في رثاء قتلى بدر من المشركين رغم عدم توافقه في الدين و نكايه في المسلمين :<sup>1</sup>

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرِ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ      وَ لِمِثْلِ بَدْرِ تَسْتَهْلُ وَ تَدْمَعُ  
قَتَلْتُ سُرَاةَ النَّاسِ حَوْلَ حِيَاضِهِمْ      لَا تَبْعُدُوا إِنَّ الْمُلُوكَ تُصِرُّعُ

كما هجى النبي (صلى) فأهدر دمه و قُتل ، فرثاه سماك اليهودي قائلا :<sup>2</sup>

وَ كَانُوا الدَّارِسِينَ لِكُلِّ عِلْمٍ      بِهِ التَّوْرَةَ تَنْطِقُ وَ الرَّبُّورُ  
قَتَلْتُمْ سَيِّدَ الْأَحْبَارِ كَعْبًا      وَ قَدَمًا كَانَ يَأْمَنُ مَنْ يُجِيرُ

و في هجاء العرب قال السماك اليهودي مظهرها شعوبيته :<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - التحقيق : القصيدة رقم 1 لكعب بن الأشرف عن شعر يهود ص 370 .

<sup>2</sup> - التحقيق : القصيدة رقم 1 لسماك اليهودي. عن شعر يهود ص 384

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

أَلْسَنَا وَرَثْنَا الْكِتَابَ الْحَكِيمَ      عَلَى عَهْدِ مُوسَى فَلَنْ نُصْرَفُ

وَ أَنْتُمْ رِعَاءٌ لِشَاءٍ عِجَافٍ      بِسَهْلٍ تِهَامَةٍ وَ الْأَخْيَفِ<sup>2</sup>

تَرُونَ الرِّعَايَةَ مَجْدًا لَكُمْ      كَذَا كُلُّ دَهْرٍ بِكُمْ مُجْدِدٍ

فالشاعر هنا يفخر بأصله اليهودي و هو حال كل اليهود، حيث يرون أنهم أفضل الشعوب و أرقاها لأنهم أهل كتاب و علم . عكس العرب الذين عاشوا في الهادي يمتنون رعي الغنم و الإبل.

### المبحث الثالث : النصرانية في الشعر الجاهلي

#### المطلب الأول : التعريف بالنصرانية

يقال "نصاري" نسبة إلى أتباع يسوع<sup>3</sup> بن مريم الذي ولد في مدينة الناصرة ، و فيها قضى معظم السنين الأولى من حياته حوالي ثلاثين سنة ، و هي من الألفاظ المعربة. يرى بعض المستشرقين<sup>4</sup> أنها من أصل سرياني هو نصرويو، نصرايا<sup>5</sup>. ويرى البعض آخر أنها نزارين **nazarenes** التسمية العبرانية التي أطلقها اليهود على من اتبع ديانة المسيح ، و هم فرق يهودية متصرة<sup>6</sup> . و أصبح من يتبع ديانة المسيح<sup>1</sup> يسمى نصرانيا ، و بهذا المعنى وردت

<sup>1</sup> - التحقيق : القصيدة رقم 2 لسماك اليهودي. عن شعر يهود ص 385

<sup>2</sup> - تهامة و الأخيف : سهلان في الجزيرة العربية . مجحف : ظالم .

<sup>3</sup> . يشوع joshua - jehosua : الصيغة الأصلية لاسم يسوع و معناه يهوه هو الخلاص (يهوه: إله بني إسرائيل).  
و اللفظة مختصرة عن يهوشع .

<sup>4</sup> . من بينهم الأب لوبيس شيخو في كتابه تاريخ النصرانية .

<sup>5</sup> . رفائيل نخلة اليسوعي: غرائب اللغة العربية، دار المشرق بيروت، د.ت، ص 207.

<sup>6</sup> . أعمال الرسل : الإصحاح 24، الآية 5 . " فإتينا إذا وجدنا هذا الرجل مفسدا و مهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة و مقدم شيعة الناصريين " .

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

الكلمة في القرآن الكريم<sup>2</sup>. و قد ذكرت في صيغة العطف على اليهود في أغلب الآيات أو على اليهود و الصابئين و المجوس. و لعلماء اللّغة الإسلاميين آراء في معنى هذه الكلمة و في أصلها فقد ذهب بعضهم إلى أنّها نسبة إلى الناصرة التي نسب إليها المسيح<sup>3</sup>. و زعم بعضهم أنّها نسبة إلى قرية يقال لها نصران<sup>4</sup>. و قد يكون أنّهم سمّوا نصارى لنصرتهم المسيح ضد اليهود الذين كادوا له. و هذا احتمال ضعيف كان يجب الإشارة إليه إذ أنّ المسيح عيسى لم يطلق عليه هذا اللقب . أمّا مصطلح مسيحي<sup>5</sup> فلم يعرف في المؤلفات العربية القديمة و لا في الشعر الجاهلي وهو مصطلح متأخر أُطلق على النصارى ، و ذكر إلا في بيت واحد نسب لأمية بن أبي الصلت :

أَيَّامَ يَلْقَى نَصَارَاهُمْ مَسِيحَهُمْ      وَ الْكَائِنِينَ لَهُ وُدًّا وَ قُرْبَانًا<sup>6</sup>

و قد فُصد في القرآن الكريم بأهل الإنجيل<sup>7</sup> النصارى الذي لا يعترف اليهود به . كما أُطلق اسم نصارى و نصراني و نصرانية على أتباع دين المسيح عيسى تمييزاً لهم عن أهل الأديان الأخرى. و من أهمّ المصطلحات المعروفة عند النصارى " الصليب " لاعتقادهم

<sup>1</sup> . المسيح : هي لفظة آرامية معناها " الممسوح بالدهن و في علامة النبوة أو الملوكية و هذا المسيح هو الذي حكم عليه الوالي " بنطس بيلاطس " بالموت في عهد " تيباريوس " قيصر (14-37 م) . و كريستوس christos : كلمة يونانية تعني تعني المسيح messiah .

<sup>2</sup> . ذُكرت لفظة " نصارى " في سورة البقرة الآيات (62, 111, 113, 120, 135, 140) و في سورة المائدة الآيات (14, 18, 51, 69, 82) و في سورة التوبة الآية 30 و في سورة الحج الآية 17 .

<sup>3</sup> . ابن منظور : لسان العرب ج 7 ص 68 مادة نصر . تاج العروس ج 3 ص 569 .

<sup>4</sup> . الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن ، طبعة كراچي 1961 ، ص 514 .

<sup>5</sup> . وردت الكلمة في الكتاب المقدس ( أعمال الرسل : الإصحاح الحادي عشر : الآية 26 و الإصحاح 26 : الآية 24 ) و رسالة بولس الأول إلى أهل كورنتوس : الإصحاح الرابع : الآية 16) .

<sup>6</sup> . أمية بني أبي الصلت : الديوان ، ص 136 .

<sup>7</sup> . إنجيل مرقس الإصحاح الثاني الآية 18 .

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

بصلب المسيح حتى صار رمزا للنصرانية ، وصاروا يعلقونه على أعناقهم تبركا و تيمنا به ،  
و ينصبونه فوق منائر كنائسهم و قبابهم ليكون علامة على متعبد النصارى. نذكر بيتا نسب  
لعبد المطلب بن هاشم قاله يوم غزو الأحباش لمكة و محاولتهم هدم الكعبة:

لَا يَغَابَنَّ صَلَيبُهُمْ      وَ مَحَالَّهُمْ عَدُوًّا مَحَالِكَ<sup>1</sup>

و قد أقسم النصارى بالصليب إذ نجد مثل ذلك في بيت لعدي بن زيد يحلف في شعر ينسب  
إليه إلا أنه يجمع بينه وبين الإله الأعظم و الحقيقي ( رب مكة ) فيقول في قصيدة :

سَعَى الْأَعْدَاءُ لَا يَأْتُونَ شَرًّا      عَلَيْكَ وَ رَبُّ مَكَّةَ وَ الصَّلِيبِ<sup>2</sup>

و الصليبيون علم أطلق على المسيحيين في تاريخ متأخر لاشتهارهم بحمله و الاعتزاز به  
خاصة في حملاتهم الاستعمارية للبيت المقدس.

### المطلب الثاني: النصرانية في بلاد العرب

أما في ما يخص دخول النصرانية إلى جزيرة العرب فلا يمكننا الجزم بتاريخه ، إلا أن من  
المحتمل أنه دخلت بوسائل مختلفة منها التبشير الذي تم بدخول بعض النسك و الرهبان  
إلى جزيرة العرب. و منهم من رافقوا البدو و الأعراب و عاشوا معهم و جاورهم في عيشتهم  
و طراز حياتهم ، و التي تتميز بالحل و الترحال و الإقامة في الخيام فعرفوا بأساقفة الخيام  
و أساقفة أهل الوبر. و ذكر أن مطران بصرى كان يشرف على نحو عشرين أسقفا انتشروا

<sup>1</sup>. ابن منظور : اللسان ج 11 ص 619.

<sup>2</sup>. لويس شيخو : شعراء النصرانية ص 451.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

بين عرب حوران وعرب غسان<sup>1</sup>. إضافة إلى فضل كثير من المبشرين الذين اشتهروا بالعلوم كالطبّ و المنطق و وسائل الإقناع و كيفية التأثير في النفوس . حيث تمكّنوا من اكتساب بعض سادات<sup>2</sup> القبائل فأدخلوهم في دينهم<sup>3</sup> , و بالتالي دخل كثير من أتباعهم في هذا الدين. كما أنشأ النصارى في جزيرة العرب كثيرا من الأديرة كوسيلة من وسائل التبشير ، فقد أعدوا الأديرة للقوافل التجارية ليجد فيها التجار كل وسائل الراحة و الاستمتاع خلال رحلاتهم و أسفارهم الشاقة . و كانت هذه الأديرة تشتهر بالخمور و النبيذ الذي كان يتمّ صنعه على أيدي الرهبان أنفسهم. و قد انتشرت هذه الأديرة<sup>4</sup> في أماكن عديدة منها العراق و الشام و في بعض نواحي الحجاز و نجد و جنوبي جزيرة العرب و شرقها. فكانت هذه الأديرة بيوتا للخلوة و الانقطاع لعبادة الله و مواطن للراحة و اللّهُو و التبشير بالديانة المسيحية. كما اعتنق أناس من العرب النصرانية لاتّصالهم بالتجار النصارى و بمجالستهم لهم. ذلك أنّ جماعات من تجار مكة و الطائف كانوا يذهبون في رحلاتهم التجارية إلى إمارة الحيرة ،

<sup>1</sup> . لويس شيخو : النصرانية و آدابها بين عرب الجاهلية ج 1 ص 37.

<sup>2</sup> . كما حدث لضجعم سيد الضجاعة ، إذ توسّل أحد الرهبان إلى الله أن يهب له ذكرا فاستجاب له فلمّا رأى ضجعم ذلك دخل في دينه و تعمّد هو و أفراد قبيلته . عن النصرانية و آدابها للويس شيخو (35/1)

<sup>3</sup> . المفصل ج 6 ص 587.

<sup>4</sup> . الدير: معبد النصارى و هو أكبر من البيعة و الدير كلمة سريانية معرّبة هي (ديرا) و تعني السكن أو الدار ، ثمّ غلبت على مسكن الرهبان. و من أشهرها دير فاران الذي ورد ذكره في كتاب المرج الروحي تأليف حنّى مسكوس في القرن السادس للمسيح... و كان ديورا حافلا بالرهبان... و ترى بين أخريته حتّى اليوم بقايا من كنيستها و مدافنها النصرانية ، عليها النقوش المسيحية كالصلبان و اسم المسيح مختصرا. و من الأديرة الشهيرة في التاريخ الكنسي دير زَيْث الذي موقعه بجوار مدينة الطور في أوساط بلاد سيناء. عن تاريخ النصرانية للويس شيخو ص 48.

كما وصف ياقوت الحموي في معجم البلدان ج 2 ص 495 و 534 عدد من الأديرة كدير أيوب في حوران، و دير بونا و دير سعد و دير بصرى و كانت بالحيرة أو بأطرافها و بالبادية منها : دير ابن براق و دير ابن وضّاح و دير حرظلة و دير حرّة و دير السوا و دير عبد المسيح و دير علقمة و غيرها كثير. و قد بقي بعض هذه الأديرة مدة حتّى بعد عهد الإسلام.



## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

فكانوا يتعرّفون على التغيّرات و التطورات الثقافية و الدينية و ينقلونها إلى بلادهم. أو لقدم  
المبشرين إلى بلاد الحجاز للتجارة. و تأكيداً على ذلك ما يذكره الطبري في تفسيره<sup>1</sup> عن  
قصة ابني رجل يقال له (أبو الحصين) قد اتّصلا بتجار من الشام قدموا إلى المدينة يحملون  
الزيت فأفنعوهما بالتصّر، ففعلوا و رجعا معهم إلى الشام.

و من الأسباب الأخرى لدخول النصرانية بجزيرة العرب هو الرقيق المستورد من إمبراطوريتي  
الروم والفرس ، حيث يذكر ابن خلدون<sup>2</sup> أنّ معظم الرقيق في مكّة كانوا نصارى . و كدليل  
على ذلك أنّ قريشا ادّعت أنّ رجلا نصرانيا يدعى جبر النصراني كان يعيش بمكّة هو الذي  
يلقّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقول للنّاس ، فكانوا يقولون : " و الله ما يعلم محمدا  
كثيرا ممّا يأتي به إلاّ رجب النصراني غلام الحضرمي"<sup>3</sup> و في ذلك أنزل الله عزّ وجلّ " وَلَقَدْ  
نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ "<sup>4</sup>.

و لفظة أعجمي في الآية دليل على أنّ النصارى حافظوا على لسانهم الأعجمي و لم  
يترجموا إنجيلهم إلى لغة عربية فصيحة ، ممّا لم يشجّع عددا كبيرا من العرب إلى الدخول  
في هذا الدّين، رغم محاولات المبشرين لإقناعهم بأفكار النصرانية عكس الدّين الإسلامي  
الذي نزل بلسانهم و كان قمة في الفصاحة و الإعجاز. أمّا في جنوب شبه جزيرة العرب

<sup>1</sup> . الطبري : التفسير ج 3 ص 10.

<sup>2</sup> . ابن خلدون: العبر و المبتدأ و الخبر ج 2 ص 143.

<sup>3</sup> . محمود عرفة محمود : العرب قبل الإسلام ص 267 عن leary : arabia before muhammad p 184

<sup>4</sup> . سورة النحل: الآية 103.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

فكان لتتصرّ ملك الحميريين بتبشير من الراهب "ثيوفيلوس"<sup>1</sup> دورا كبيرا لدخول أهل اليمن إلى هذا الدين الجديد ، و هو نفس الوقت الذي دخلت فيه الحبشة في النصرانية . ففي سنة 340 م هاجم الأحباش اليمن و استولوا عليها و وجدت المسيحية فيهم سندا قويا لها . و ربّما ما ساعد على نشر المسيحية أيضا الإرساليات النسطورية من الحيرة و إرساليات من سوريا ، حيث أخذوا يبثّون الدّعاية المسيحية حتّى استطاعوا أن ينصّروا عدد من أهل اليمن رغم إخراجهم للأحباش سنة 378 م.<sup>2</sup>

و بعد انتشار اليهودية في اليمن خلال القرنين الرابع و الخامس الميلاديين عن طريق اليهود المرشدين من فلسطين ، حيث تبني بعض الملوك المتأخرين من حمير لليهودية و أكثر المتعصبين لها كان الملك نو نواس الذي اضطهد النصرانية و قتل عددا من نصارى نجران.<sup>3</sup> هذا كان من بين الدوافع التي أدّت إلى قيام الأحباش لحملة واسعة على اليمن بقيادة أبرهة الأشرم و انتهى القتال بهزيمة الملك الحميري ذي نواس سنة 525 م.<sup>4</sup> وقد ترك أبرهة نصا منقوشا<sup>5</sup> يتألف من 136 سطرا.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> . الراهب ثيوفيلوس هو الذي أّشأ في عام 354 م كنيسة في ظفار و أشرف على بناء عدد من الكنائس في اليمن و العربية الجنوبية و من ضمن هذه الكنائس كنيسة فجران و التي عُرفت فيما بعد بكعبة نجران. أنظر جواد علي: المفصل ج 3 ص 350.

<sup>2</sup> . صالح أحمد علي : تاريخ العرب القديم ص 30.

<sup>3</sup> . كرّرنا ذكر قصة ذي نواس للتذكير فقط.

<sup>4</sup> . أنظر جواد علي : المفصل ج 3 ص 357 \_ 572.

<sup>5</sup> . نقش 618 glasser عن جواد علي : المفصل ج 3 ص 483 \_ 484.

<sup>6</sup> . و في هذه الوثيقة يتحدّث أبرهة عن ترميمه لسدّ مأرب فيما بين سنتي 542 م \_ 543 م المقابل للتاريخ الحميري 657 \_ 658.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

افتتح : " بحل وردا و حمت رحم زن و مسحو ورح قدس سطر وزن مزندن. إن إبره غرلي ملكن أجز بن رمحز ز بيمن. ملك سبأ و ذريدان و حضر موت و يمنت و أعرهم و طودم و تهمت " .

ترجمته:

" بحول و قوة و رحمة الرحمن و مسيحه و روح القدس سطورا هذه الكتابة. إن أبرهة نائب ملك الجعزيين رمحز زيمان، ملك سبأ و ذو ريدان و حضر موت و يمنت و أعرابها في النجاد و في تهامة".

و قد ترجمها جلازر:

" بنعمة الرحمن الرحيم و مسيحه و الروح القدس أن أبرهة عزيز الأحباش الأكسوميين، ملك أراحميس زيمان ملك سبأ و ذو ريدان و حضرموت و يمنت و أعرابهم في نجد و تهامة، قد نقش هذا الأثر تذكارا لتغلبه على يزيد بن كبشة عامله الذي كان قد ولّاه كنده ودي، و عينه قائدا معه أقيال سبأ الصحاريين و هم مرة و ثمامة و حنش و مرثد و صنف ذو خليل و اليزنيون... فتوجه أولا إلى مأرب و صلّى في كنيسةها<sup>1</sup> و من خلال هذا النقش نلمس إيمان أبرهة بالثالوث المسيحي و هي الفكرة التي كانت محط جدل المسيحيين.<sup>2</sup> و من الأعمال التي قام بها أبرهة في سبيل نشر عقيدته بين العرب و ترسيخها في نفوسهم بناء

<sup>1</sup> . جورج زيدان : تاريخ العرب قبل الإسلام ص 177.

<sup>2</sup> . المجمع الكنسي الثاني المنعقد في مدينة القسطنطينية الذي عالج قضية الروح القدس و هو الأفتنوم الثالث في العقيدة المسيحية المشرفية الأرثوذكسية.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

لعدد من الكنائس أهمها القليس<sup>1</sup> والتي اكتسبت شهرة عظيمة في كتب الأخبار و التواريخ<sup>2</sup>، خاصة لعلاقتها بقصة محاولة هدم الكعبة. و هي كنيسة بناها أبرهة الأشرم بصنعاء إلى جنب غمدان ، و قد بالغ في الإنفاق على إنشائها حتى يصرف الحجاج عن البيت العتيق بمكة و يجتذبهم إلى كنيسته. فاستعمل في بنائها طبقات من حجر ذي ألوان مختلفة لها بريق و نقشها بالذهب و الفضة و الفسيفساء و ألوان الأصباغ و صنوف الجواهر، كما أمر برش حوائطها بالمسك و تزويدها بالصلبان المذهبة و المفضضة<sup>3</sup>. و ينسب الإخباريون حملة أبرهة على مكة إلى تدنيس رجل من كنانة القليس. فلما بلغه الخبر عزم على هدم الكعبة، فسار و معه جيش كبير من الحبش و أهل اليمن و الغاية من حملته هو صرف الناس عن الحج إليها. فلما وصل هلك معظم جيشه ، و قد ورد ذكر هذه الحادثة في القرآن الكريم في سورة الفيل. و قصة تدنيس القليس قد تكون حقيقية و قد تكون أسطورة حيكت و وضعت. و في كلتا الحالتين لا يعقل أن تكون هي السبب المباشر الذي دفع النجاشي إلى السير إلى مكة لهدم البيت ، بل هي خطة ترمي إلى ربط اليمن ببلاد الشام تحت حكم

<sup>1</sup> . القليس : في معنى اللفظة يقول السهيلي : " سميت هذه الكنيسة بالقليس لارتفاع بنائها و علوها و منه القلاسن ، لأنها في أعلى الرؤوس". عن نعمان الجارم : أديان العرب ص 34.

كما يذكر جواد علي في المفضل ج 6 ص 619 : أن القليس من أصل يوناني أكلسيا ( ecclesia ) بمعنى الكنيسة و منه نجد لفظة التقليس و معناها ضرب اليدين على الصدر خضوعا و هو السجود و التكفير و رفع الصوت بالدعاء و القراءة و الغناء. قال الليث : التقليس وضع اليدين على الصدر خضوعا كما تفعل النصارى قبل أن تكفر أي أن تسجد. أنظر ابن منظور : لسان العرب ج 6 ص 180. وتاج العروس للزبيدي ج 16 ص 392.

<sup>2</sup> . الأزرقى : أخبار مكة ج 1 ص 82 . تفسير الطبري ج 30 ص 193. ابن هشام : السيرة ج 1 ص 43. تفسير ابن كثير ج 4 ص 548.

<sup>3</sup> . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 4 ص 394 . 395.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

النصرانية. و بذلك يستفيد الروم و الحبش و هم نصارى و إن اختلفوا مذهباً ، فيحقق لهم بذلك نصراً سياسياً و اقتصادياً كبيراً.<sup>1</sup>

و من أهم مواطن النصرانية في بلاد العرب الجنوبية نجران التي كانت تمثل المعقل الرئيسي للنصرانية ، فقد اشتهرت بإنشاء أكبر الكنائس و أفخمها في جزيرة العرب. يقول فيها ياقوت الحموي : " و كعبة نجران<sup>2</sup> هذه يقال لها بيعة بناها عبد المدان بن الديان الحارثي. عظموها مضاهاةً للكعبة مكة ، و سموها كعبة نجران . و كان فيها أساقفة معتمدون. و كان إذا جاءها الخائف أمن أو طالب حاجة قضيت أو مسترشد أرفد ، و كان لعظم نجا عندهم يسمونها كعبة نجران.<sup>3</sup> و لما كان لها أثر عميق في نفوس نصارى العرب ذكروها الأعشى في شعره:<sup>4</sup>

وَ كَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتَّمْ عَلِيَّ      لُ حَتَّى تُنَاخِي بِأَبْوَابِهَا  
تُرُورُ يَزِيداً وَ عَبْدَ الْمَسِيحِ      وَ قَيْسَاهُمْ خَيْرُ أَرْبَابِهَا

كما كانت بلاد الشام تمثل المعقل الأول الذي وطدت فيه المسيحية أقدمها ، للعلاقات المباشرة و الوطيدة مع الروم . بحيث أنّ جماع اللغة لم يأخذوا اللغة العربية من قبائل شتى مثل قضاة و غسان<sup>5</sup> و إياد لمجاورتهم أهل الشام ، و أكثر النصارى يقرؤون بالعبرانية

<sup>1</sup> . أنظر جواد علي : المفصل : ج 3 ص 514 و مابعدھا .

<sup>2</sup> . ذكر ابن الكلبي في الأصنام ص 45 : أنها كانت قبة من آدم من ثلاث مائة جلد... و كانت على نهر بنجران و كانت لعبد المسيح بن دارس بن عدي بن معقل .

<sup>3</sup> . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 5 ص 268 .

<sup>4</sup> . الأعشى : الديوان ، ص 173 .

<sup>5</sup> . في وصف آل غسان و علاقتهم بالمسيحية قال النابغة :

مَحَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَ دِينُهُمْ      قَوِيْمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ  
رِقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجْرَانُهُمْ      يُحْيُونَ بِالرِّيحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ

- يريد بالعبرانية السريانية الفلسطينية - و عن غيرهم من قبائل كلب و عاملة و جدام.<sup>1</sup>  
فلغساسنة من العرب المنتصرين و قد أشرنا إلى ذلك من قبل<sup>2</sup>، حيث حاربوا إلى جانب  
الروم لدوافع دينية و سياسية في غزوة اليرموك و تبوك. وعن تنصّر قضاة يقول اليعقوبي  
في تاريخه: " إنَّ قضاة أوّل من قدم الشام من العرب فصارت إلى ملوك الروم فملكوهم،  
فكان أوّل الملك لتتوخ بن مالك بن فهم... فدخلوا في دين النصرانية. فملكهم ملك الروم على  
من ببلاد الشام من العرب " <sup>3</sup>. و كذلك بنو سليح فقد صرّح بنصرانيّتهم البلاذري قائلاً:  
" وردت سليح الشام فتغلّبت على تتوخ و تنصّرت فملكها الروم على العرب الذين بالشام " <sup>4</sup>.  
أمّا في الشمال الشرقي من الجزيرة العربية فتأصلت المسيحية في الرها و نصيبين و إربل  
و جنديسابور و سلوقية طيس فون. و من هناك انتشرت في بلاد البحرين و عمان و تحوّل  
الكثير من عرب الحيرة إلى النصرانية و عرفوا بالعبّاد.<sup>5</sup> فرغم تبعية أهل الحيرة لأكاسرة الفرس  
المجوسيين إلا أنّ الإمبراطورية الفارسية لم تهتم بانتشار النصرانية بين الموالين لها لأنّها لم  
تجد فيها ما يتعارض مع مصالحها . ذلك أنّ النصرانية المنتشرة في بلاد الحيرة كانت  
تخالف النصرانية المتشيّعة للروم ، فقد كان نصار الشام على المذهب اليعقوبي أو

عن ديوان النابغة الذبياني ص 12 .

<sup>1</sup> . جلال الدين السيوطي: المزهري في علوم اللغة و أنواعها، تحقيق محمد جاد المولى، المكتبة العصرية، ص212.

<sup>2</sup> . الرجوع إلى الفصل الأول المطلب الخاص ببيانات الدول العربية القديمة من هذه الدراسة.

<sup>3</sup> . اليعقوبي : تاريخه ج 1 ص 214.

<sup>4</sup> . البلاذري: فتوح البلدان، ص71.

<sup>5</sup> . نعمان الجارم : أديان العرب في الجاهلية ص 204.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

المنوفيسيتي<sup>1</sup>. بينما كان نصارى العراق و من والاهم من قبائل تغلب و إباد و بكر من أتباع المذهب النسطوري<sup>2</sup>. و يرى المطران مارسر هديوسب جمو من الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية بأنّ هذا المذهب- النسطوري - انتشر بشكل رئيسي بين مسيحي العراق و بلاد الفرس بتشجيع من الساسانيين ، و ذلك لاعتقادهم بأنّ ابتعاد المسيحيين القاطنين في مملكتهم عن إخوانهم من مسيحي الإمبراطورية الرومانية سيسهل لهم السيطرة عليهم<sup>3</sup>. كما وجد في المدينة المنورة - يثرب - بعض المسيحيين المقيمين فيها إلى جانب اليهود ، و قد بقوا فيها حتّى بعد هجرة الرّسول (ص) حيث صالحهم على دفع الجزية. يقول حسان بن ثابت في رثاء النبيّ (ص):<sup>4</sup>

فَرِحَتْ نَصَارَى يَثْرِبَ وَ يَهُودَهَا  
لَمَّا تَوَارَى فِي الضَّرِيحِ الْمُحَدِّ

<sup>1</sup> . اليعقوبية : فرقة من النصارى تنسب إلى يعقوب البرادعي و كان راهبا بالقسطنطينية و لد في تلاً نحو العام 490 م و توفي عام 578 م في دير قسّين بمصر. و اليعاقبة Jacobites تسمية تُطلق على المسيحيين من الطائفة السريانية الارثوذكسية المونوفيسية monophysisme . و تقول هذه الطائفة بالطبيعة الواحدة للمسيح و هي بالمعنى الحرفي في الكلمة، تشمل جميع المذاهب التي لا ترى في الكلمة المتجسّدة إلا طبيعة واحدة بعد إتحاد العنصرين البشري و الإلهي أي أنّ السيد المسيح إلهية واحدة أو أفنوم واحد . و بمعنى آخر المسيح هو الله تعالى نفسه بعد أن ولد بشرا ثم اتحدت به الكلمة فصار إلهاً. و من الكنائس التي تبنت المونوفيسية الأرمنية و القبطية و الحبشية.

<sup>2</sup> . النسطورية : فرقة من فرق النصارى تتبع نسطوريوس البطريك ( 386 م - 451 م ). و ملخّص هذا المذهب أنّ يسوع المسيح مكوّن من جوهرين يعبر عنهما بالطبيعتين و هما : جوهر إلهي ، و هو الكلمة و جوهر إنساني أو بشري و هو يسوع. و مريم العذراء هي من البشر و لا يجوز إطلاق اسم والدة الإله عليها. فهي لم تلد إله بل إنساناً فقط حلّت عليه كلمة الله أثناء العمداد و فارقت عند الصلب. و قد إنهم نسطوريوس بالهرطقة بعد المجمع الخلقيدوني و مجمع أفسس سنة 431 م. و أدى هذا الصراع إلى فصل قسم من الكنيسة السريانية الشرقية عن باقي الكنائس المسيحية في ذلك الوقت.

<sup>3</sup> . للتوسع في فكرة الاختلاف القائم بين النساطرة و اليعاقبة يمكن الرجوع إلى الموسوعة العربية المسيحية ( موقع الأنترنت ). و معجم الحضارات السامية ص 823 - 917 لهنري س عبودي. و تاريخ النصرانية و قبائلها في عهد الجاهلية للويس شيخو ص 38.

<sup>4</sup> . حسان بن ثابت : الديوان ، ص 64.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

و عرفت مدينة الطائف أيضا بعض من الموالي النصارى ، منهم عدّاس النينوي الأصل  
و الذي كان مملوكا لعتبة بن ربيعة<sup>1</sup> . و وجد في مكّة بعض النصارى الذين نزلوا فيها  
مبشرين و تجارا و حرفيين و رقيق. فكانوا يفسّرون للنّاس ما جاء في ال توراة و الأناجيل  
و يقصّون عليهم قصصا نصرانية. و قد أثر بعض هؤلاء في محيطهم إلّا أنّ العرب كانوا  
متمسّكين بالهة آبائهم و أجدادهم. و قد يرجع عزوفهم عن النصرانية إلى لغة النصارى  
المبشرين ، حيث كانت عائقا لفهم الإنجيل المكتوب بالعبرانية و قيل بالأرامية أو السريانية .  
إلّا فئة صغيرة من كانت على علم بهذه اللّغات كورقة بن نوفل و أمية بن أبي الصلت و زيد  
بن عمرو بن نفيل إلّا لأنّهم لم يعتنقوا المسيحية ، فحرّموا الخمر على أنفسهم و لم يذبحوا  
لوثن و بقوا في حيرة من أمّهم . ممّا دفع بعض الحكماء منهم إلى الوقوف عند الكعبة  
و نصح النّاس بالعودة إلى دين إبراهيم.

فظهر فكرة التوحيد في شعرهم إلى جانب أفكار أخرى كالإيمان بالقضاء و القدر  
و الحساب و العقاب و البعث بعد الموت حمل الأب لويس شيخو إلى وضع أغلب هؤلاء  
الشعراء في قائمة الشعراء النصارى أو من تأثروا بالفكر النصراني. و واكبه في فئوته الأب  
جرجس داوود إذ بيّن أنّ تواجد النصارى العرب في أكثر من مكان من أرض العرب ترك  
بصماته في عرب الجاهلية إن في الفكر أو اللّغة أو العقيدة<sup>2</sup> . إلّا أنّه غفل عن إظهار دور  
الحنيفية التي سبقت المسيحية بزمن طويل و التي انتشرت و جعلت العرب تنظر إلى البيت

<sup>1</sup> . ابن هشام : السيرة ج 2 ص 30.

<sup>2</sup> . أنظر جرجس داوود : أديان العرب قبل الإسلام ص 274 و لويس شيخو : شعراء النصرانية ص 451.



## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

الحرام كمكان مقدس تؤمُّه من كل حذب ، و رفضت الحجّ إلى القليس الكنيسة المسيحية.  
حتى أنّ العرب المنتصرين قد قلّدوا المسيحيين في كثير من الأمور الدينية إلاّ أنّنا نجدهم  
يجمعون ما بين بعض الاعتقادات في دين إبراهيم و بعض رموز المسيحية<sup>1</sup> . كما نجدهم  
يحجّون و يعتمرون إلاّ أنّهم كانوا يقفون في الحجّ في " بطن محسّر " عند الإفاضة من عرفة  
إلى مزدلفة لقول شاعر جاهلي :

إِيكَ تَعْدُوا قَلْفًا وَضِيْنَهَا

مُعْتَرِضًا فِي بَطْنِ جَنِينَهَا

مُخَالَفًا دِينَ النَّصَارَى دِيْنَهَا<sup>2</sup>

ومما يؤكّد معرفة العرب بتعاليم النصرانية ما جاء في شعر نُسب لأمية بن أبي الصلت حول  
قصة عيسى بن مريم إذ يقول<sup>3</sup> :

وَ فِي دِينِكُمْ مِنْ رَبِّ مَرْيَمَ آيَةٌ      مُنْبِئَةٌ بِالْعَبْدِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ

أَتَابَتْ لَوَجْهِ اللَّهِ ثُمَّ تَبَتَّلَتْ      فَسَبَّحَ<sup>4</sup> عَنْهَا لَوْمَةَ الْمُتَلَوِّمِ

فَأَدْرَكَهَا مِنْ رَبِّهَا نَمْرُوحَةٌ      بِصِدْقِ حَدِيثِ مَنْ نَبِيٍّ مُكَلِّمٍ

فَقَالَ لَهَا : إِنِّي مِنَ اللَّهِ آيَةٌ      وَ عَلَّمَنِي وَ اللَّهُ خَيْرُ مُعَلِّمٍ

<sup>1</sup> . كقول عدي بن زيد : سعى الأعداء لا يأتون شرا عليك ورب مكة و الصليب

<sup>2</sup> . الزبيدي : تاج العروس ، مادة وضم .

<sup>3</sup> . أمية بن أبي الصلت : الديوان ، ص 130-331 .

<sup>4</sup> . سَبَّحَ : نَزَّهَ ، وَ المعنى أنّ الله عز و جل نَزَّهَ مريمَ عمّا تلام عليه .

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

و القصيدة من سبعة عشر بيتا نجد فيها تشابها في رواية أحداث حبل مريم و ولادة المسيح عيسى و ما ذكر في القرآن الكريم في سورة مريم. فإذا وضعنا احتمالا أن القصيدة لأمية بن أبي الصلت يعني ذلك أنه كان مضطعا على الديانة المسيحية , إلا أنه لم يكن مسيحيا و الدليل على ذلك قوله العبد عيسى بن مريم , و المسيحيون يؤلّونه و يرفضون أن يُنعت بالعبد. أمّا إذا قارنا القصّة التي رواها أمية بن أبي الصلت مع ما جاء في القرآن الكريم نجد تشابها كبيرا بينهما , يدفعنا ذلك إلى الشكّ في أن تكون القصيدة له و إنّما نحلّت فيما نحل

من الشعر الجاهلي المشكوك في أصله. كما نجده يقول في قصيدة أخرى<sup>1</sup>:

أَيَّامَ يَلْقَى نَصَارَهُمْ مَسِيحَهُمْ      وَ الْكَنِينِ لَهُ وُدًّا وَ فُرِيَانَا  
هُم سَاعَدُوهُ كَمَا قَالُوا إِلَهُهُمْ      وَ أَرْسَلُوهُ يَسُوفُ الْعَيْبِ دُسْفَانَا

فضمير "هم" ينفي عنه الانتماء إلى هذه فئة النصارى, و قوله " كما قالوا إلههم " تشكيك في فكرة الألوهية التي ينعت بها المسيحيون عيسى عليه السلام . و من ذلك نخلص إلى أن النصرانية عُرفت في بلاد العرب إلا أنّ عددا كبيرا من العرب تعلّقوا بوثنيتهم أكثر من الإيمان بالمسيحية .

### المطلب الثالث : الرموز المسيحية في الشعر الجاهلي

وجدت بعض الألفاظ التي لها علاقة بالمسيحية في أشعار العرب قبل الإسلام في سياق التشبيهات و هذا دليل على معرفتهم بتعاليم و رموز هذه الديانة , و منها التنظيم الكنسي . فالكنيسة درجات و رتب و للقيمين على شؤونها منازل و سلالم , فلها رئيس أعلى و تحته

<sup>1</sup> . المرجع نفسه ص 136.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

جماعة من رجال الدين ، و للجماعة ملابس خاصة تتناسب مع درجاتهم <sup>1</sup>. فمن الدرجات و الرتب التي عرفت عند النصارى القسيس <sup>2</sup>، يقول أبو عبيدة <sup>3</sup>:

لَوْ عُرِضَتْ لِأَيِّلِي قِسٌّ

أَشْرَعَتْ فِي هَيْكَلِهِ مُنَدَسٌّ

حَنَّ إِلَيْهَا كَحَنِّينِ الطَّسِّ

كما ذكر أمية بن أبي الصلت القسيسين تحت لفظة قساوسة بقوله: <sup>4</sup>

لَوْ كَانَ مُنْفَلِتٌ كَانَتْ قَسَاوِسَةٌ يُحْيِيهِمُ اللَّهُ فِي أَيْدِيهِمُ الرُّزُّ

كما ذكر " الشماس " في الشعر الجاهلي لقول عنتره: <sup>5</sup>

إِذَا اشْتَعَلَتْ أَهْلَ الْبِطَا لَهُ فِي الْكَيْسِ أَوْ اغْتَبَقُوهَا بَيْنَ قِسٍّ وَ شَمَّاسٍ <sup>6</sup>

و من الدرجات و الرتب التي عرفت عند النصارى درجة بطرك <sup>7</sup> أو بطريق ، حيث روى

ابن منظور عن الأصمعي قولاً للراعي يصف ثورا وحشيا: <sup>8</sup>

يَعْلُو الظَّوَاهِرَ فَرْدًا، لَا أَلِيفَ لَهُ مَشَى الْبِطْرِكِ عَلَيْهِ رَيْطُ كِتَّانٍ

<sup>1</sup> . جواد علي : المفصل ج 6 ص 638

<sup>2</sup> . القسيس أو القس : درجة من الدرجات الدينية عند النصارى ، عند ابن منظور : الرئيس من رؤساء النصارى في الدين و العلم و هو الكيس العالم.

<sup>3</sup> . ابن منظور : لسان العرب ج 6 ص 174 مادة قس.

<sup>4</sup> . أمية بن أبي الصلت : الديوان ، ص 81.

<sup>5</sup> . عنتره : الديوان ، ص 160.

<sup>6</sup> . الشماس : يلي القس في الرتب الكنائسية . و هم خادمو البيعة و مساعدو الأسقف و القسيس في أداء الخدمات الدينية و خاصة تقديم القداس.

<sup>7</sup> . عرفها ابن منظور بمقدم النصارى و هو أعلى درجة من القسيس و هو يمتاز بلباسه و مشيته.

<sup>8</sup> . لسان العرب ج 10 ص 410.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

و العرب المنتصرون أيضا مارسوا الصلاة فرادى و جماعات و رتلوا المزامير بأنغام و سمي بالهينمة<sup>1</sup> . في ذلك يقول عدي بن زيد العبادي:<sup>2</sup>

وَأُوتِينَا الْمُلْكَ وَ الْإِنْجِيلَ نَقْرُوهُ      نَشْفِي بِحِكْمَتِهِ أَحْلَامَنَا عَلَلًا

نجد في هذا البيت تصريحاً من الشاعر بأخذه الحكمة من الإنجيل لاعتناقه المسيحية , عكس الشعراء العرب الذين أوردنا نماذج من أشعارهم فلغلبهم يذكر لفظ الزبور .  
و منه قول امرئ القيس<sup>3</sup> :

لِمَنْ طَلَّلِ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي      كَخَطِّ زُبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانٍ

كما عرف النصارى الصوم لقول أمية بن أبي الصلت :

صَدَتْ كَمَا صَدَّ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ      سَاقِي نَصَارَى قُبَيْلِ الصُّبْحِ صَوَامٍ<sup>4</sup>

و تتميز المسيحية بقرع النواقيس حيث يقول الأعشى:<sup>5</sup>

فَأِنِّي وَ رَبُّ السَّاجِدِينَ عَشِيَّةً      وَمَا صَكَ نَافُوسُ الصَّلَاةِ أَبْيَلُهَا

كما يذكرها المرقش الأكبر و هي تقرع في أواخر الليل تدعو الناس إلى الصلاة في قوله:<sup>6</sup>

وَ تَسْمَعُ تِرْقَاءَ مَنْ الْبُومِ حَوْلَنَا      كَمَا ضُرِبَتْ بَعْدَ الْهُدُوِّ النَّوَاقِسُ

<sup>1</sup> . نفسه : ج 8 ص 437 .

<sup>2</sup> . نفسه ج 13 ص 383 .

<sup>3</sup> . امرؤ القيس : الديوان ص 158 . شجاني : أحزني ، الزبور : الكتاب ، العسيب : سعف النخل .

<sup>4</sup> . أمية بن أبي الصلت : ديوانه ص 81 .

<sup>5</sup> . الأعشى : الديوان ص 135 .

<sup>6</sup> . المفضل الضبي : المفضليات ص 225 .

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

كما كان العرب على دراية بأعياد النصارى منها يوم السباسب<sup>1</sup> الذي ذكره النابغة

الذبياني و عيد الفصح و هي احتفالات لها علاقة بالمسيح . فكانوا يوقدون المشاعل

ويضيئون

الكنائس بالقناديل و المصابيح و الشموع. يقول في ذلك أوس بن حجر<sup>2</sup> :

عَلَيْهِ كَمِصْبَاحِ الْعَزِيزِ يَشْبُهُ لِفِصْحٍ وَ يَحْشُوهُ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلَا

ومن الأماكن التي تعبد فيها المسيحيون البيعة<sup>3</sup> و الدير , حيث أنها ذكرت في أبيات شعرية

جاهلية , كقول عبد المسيح بن بُقيلة:<sup>4</sup>

كَمْ تَجَرَّعْتُ بِدِيرِ الْجِرْعَةِ غُصَصًا كَبِيدِي بِهَا مُنْصَدَعَةَ

مَنْ بِدُورٍ فَوْقَ أَغْصَانِ عَلَى كُنْثِ رُزْنٍ ، اِحْتِسَابًا بِيَعِهِ

و الكنيسة<sup>5</sup> موضع عبادة النصارى وهي في مقابل المسجد عند المسلمين ، زُيِّنَتْ بالصلبان

بالصلبان و التماثيل و الصور، و وُضعت بها المصابيح لإنارتها بالليل، و يزيدون من

<sup>1</sup> . يوم السباسب : و هو عيد النصارى يقع قبل عيدهم الكبير و هو عيد الفصح بأسبوع و يسميه ابن الاثير السعانيين . يخرج الناس في هذا اليوم من دور عبادتهم و أولاد يلبسون الثياب البيضاء يحملون الشموع المحاطة بأغصان الزيتون و قضيب الريحان و أغصان النخل و هذه المسيرة تسمى " الريّاح " .

<sup>2</sup> . أوس بن حجر :الديوان , تحقيق محمد يوسف نجم . دار صادر بيروت ، ص 84 .

<sup>3</sup> . البيعة : تعني معبد النصارى و أصغر من الكنيسة , و الدير بيت للرهبان و لا يكون إلا في الصحاري و رؤوس الجبال . و الدير كلمة سريانية معربة هي ديرا وتعني المسكن أو الدار ثم غلبت على مسكن الرهبان .

<sup>4</sup> . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 2 ص 503 .

<sup>5</sup> . الكنيسة كلمة معربة عن الآرامية و تعني لفظة كنشوتو «knouchto» في السريانية اجتماع و مجمع . عن لويس شيخو : النصرانية و آدابها ج 2 ص201 .

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

الإضاءة بإشعال القناديل في الأعياد الدينية. ف في وصف الزجاجاة المشعة بنور الخمر

يشبّهها عدي بن زيد العبادي بالقنديل الذي يُستعمل في عيد الفصح، إذ يقول:<sup>1</sup>

بُرْجَاجَةٌ مِلْءَ الْيَدَيْنِ كَأَنَّهَا      قَنْدِيلُ فِصْحٍ فِي كَنِيْسَةِ رَاهِبٍ

### المطلب الرابع : صورة الرهبان في الشعر الجاهلي

الرهبنة ظاهرة تعلقت بالمسيحية خاصة ، عكس الديانات السماوية الأخرى التي لم يسنّ

أتباعها على أنفسهم الانعزال في الصوامع و الأديرة النائية والامتناع عن الزواج و الاقتصار

على أكل الصعب من الطعام و الخشن من الملابس مثل ما فعل بعض النصارى. كما كان

الرهبان لا يهتمون بشعورهم فكانوا يطلقونها و لا يعتنون بها ، ولذلك كانت شعورهم شعنا .

حيث نعتهم الشعراء بهذه الصفة دلالة لعدم اهتمامهم بأمور الدنيا ، فهم يعيشون في خلوة

منقطعين عن الناس لعبادة الله وحده. إذ ذكر الراهب<sup>2</sup> في شعر النابغة الذبياني عند وصفه

للمتجردة زوجة النعمان:<sup>3</sup>

لَوْ أَنَّهَا عُرِضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ      عَبْدَ الْإِلَهِ ، صَرُورَةٌ مَتَعَبَّدٍ<sup>4</sup>

لَفَوْنَا لَوَأَيْتِهَا وَ حُسْنِ حَدِيثِهَا      وَ لَخَالَهُ رُشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرُشِدِ

<sup>1</sup>. ابن منظور : لسان العرب ج 13 ص 383.

<sup>2</sup>. الراهب : هو المتعبّد في الصومعة. و أصلها من الرهبة أي خوف عقاب الله . حيث ضرب شعراء العرب المثل برهبان مدين و زهدهم في قول كثير عزة :

رُهْبَانُ مَدِينٍ وَ الَّذِينَ عَمِدْتُهُمْ      يَبْكُونَ مِنْ حَذْرِ الْعِقَابِ فَعُودًا

<sup>3</sup>. النابغة الذبياني : الديوان ، ص 41.

<sup>4</sup>. الشمط : شيب اللحية ، أو خالط شعره شيب. و الصرورة : الذي لم يتزوج و نزل الصومعة، وهو التبتّل

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

كما أننا نجد الشمط صفة ملازمة للراهب في كثير من شعر الجاهليين خاصة ما تعلق بالغزل. و الغرض من ذلك إعطاء صورة رمزية لجمال المرأة من خلال وصف الراهب الذي قضى سنين من حياته في العبادة حتى شاب شعره ، راغبا عن الدنيا و ملذاتها. إلا أنه لو عُرِضت له و رأى جمالها وحُسن حديثها لأصبح شخصا آخر لا يدرك ما يفعل . كما وظّف الشاعر تكرار الألفاظ ذات المعاني نفسها أو من نفس الحقل الدلالي ، فهو يأتي بمعنى ثم يعيده ، و الفائدة من هذا النوع من التكرار تأكيد ذلك الأمر وتقديره في النفس أكثر من الاهتمام بالجانب الإيقاعي . إذ نجد النابغة في هذا البيت لا يكتفي بذكر لفظة الراهب فقط بل يضيف إلى ذلك صفاته ( أشمط ، عبد الإله ، ضرورة ، متعبّد ) و الغرض من ذلك تأكيد في ذهن المتلقّي صورة الراهب المعتكف الذي لا رغبة له في النساء ، إلا أنّ جمال هذه المرأة تحرّك مشاعره . ممّا يؤولنا إلى إيجاد أعدار للشاعر الذي عشقها وهي زوج الملك الغساني النعمان. و مثل ذلك قول ابن الأعرابي:<sup>1</sup>

لَوْ كَلَّمْتُ رُهْبَانَ دَيْرٍ فِي الْفَلِّ      لِأُنْحَدَرَ الرَّهْبَانَ يَسْعَى فَنَزَلُ

كما صور الشعراء الجاهليون الرهبان و هم يحملون القناديل للإضاءة ، و فيهم يقول المزدّد أخو الشماخ:<sup>2</sup>

كأن شعاعَ الشمس في حجراتها      مصابيح رهبان زهتها القنادل

<sup>1</sup> . ابن منظور : لسان العرب ج 1 ص 437.

<sup>2</sup> . المفضل الضبي : المفضليات ص 99. القنادل : القنديل لفظة معربة عن اللاتينية candel و تعني شمعة.

## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

و كدلالة على سهرهم الليل وكثرة تعبدهم، وصف امرؤ القيس الراهب و هو في صومعته منفردا ، يتلو الإنجيل في دجى الليل في قوله<sup>1</sup>:

كَأَنَّهُ رَاهِبٌ فِي رَأْسِ صَوْمَعَةٍ      لِيَتْلُو الزُّبُورَ وَ نَجْمَ الصُّبْحِ مَا طَلَعَ

و في موضع آخر شبه امرؤ القيس وميض البرق بضياء مصابيح الرهبان التي تحتوي على الزيت و الفتيل حيث يقول:<sup>2</sup>

أَصَاحَ تَرَى بَرْقًا أَرطِيَّ وَمِیْضَهُ      كَلَمَعَ اليَدَيْنِ فِي حُبِّي مُكَلَّلِ

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ      أَمَالَ السَّلِيطِ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِ

أمّا عدي بن زيد فوضع نفسه في منزلة راهب متبتل ، يتعبد ربه في هيكله و يرجو عتقه من أهوال عذاب الآخرة ، فيخاطب النعمان بن المنذر و الذي كان نصرانيا ، إذ يقول:<sup>3</sup>

إِنِّي وَ اللهُ ،فَأَقْبَلْ حَفَّتِي      لِأَبِيْلٍ كُلَّمَا صَلَّى جَارُ<sup>4</sup>

مُرْعَدٌ أَحْشَاؤُهُ فِي هَيْكَلِ      حَسَنُ لِمَتِّهِ وَفِي الشَّعَرِ

مُؤْمِنُ الصِّدْرِ يُرَجِّي عِتْقَهُ      يَوْمَ لَا يَكْفُرُ عَبْدٌ مَا إِدْخَرَ

و ممّا ذكر نخلص إلى أنّ شعراء الجاهلية كانوا على معرفة تكاد تكون تامّة بجميع نواحي حياة الرهبان و تعاليم الدين المسيحي و رتب رجال الدين. فوظفوا هذه المعارف في تشبيهاتهم أو استعاراتهم .و بالتّالي نعترف بأنّ المبشرين النصارى والرّقيق كان لهم الأثر الكبير

<sup>1</sup> . امرؤ القيس :الديوان ص 46. و شعراء النصرانية ج 2 القسم 2 ص 392.

<sup>2</sup> . الزوزني : شرح المعلقات السبع ، دار الجيل بيروت ص 32.

<sup>3</sup> . عدي بن زيد : الديوان ص 61.

<sup>4</sup> . الأبييل : الراهب ، و قيل هو من رؤوس النصارى أو خيرهم و اسم للسيد المسيح . وهي لفظة سريانية أبيلو ( abilo ). و جار : رفع صوته مع تضرع و استغاثة.



## الأديان السماوية في الشعر الجاهلي

للتعريف بهذا الدين ، ممّا دفع العديد من العرب إلى اعتناق المسيحية. و من بين القبائل العربية التي عُرفت بنصرانيتها بنو تميم ،التي مدحها طخيم بن أبي الطخماء . هذا لا يعني أنّهم قاموا بتعاليم النصرانية قيما دقيقا بل مزجوها بما سادت عندهم من معتقدات :

وَإِنِّي وَإِنْ كَانُوا نَصَارَى أَحِبُّهُمْ وَيَرْتَاخُ قَلْبِي نَحْوَهُمْ وَ يُؤَوِّقُ<sup>1</sup>

أمّا العرب الذين لم توافق تفكيرهم لها جاءت به من عقيدة تثليث و صلب مسيح ،فلم تستطع أن تجذب إيمانهم و اهتمامهم ، و مثال ذلك قول حاتم الطائي<sup>2</sup>:

وَ مَا زِلْتُ أَسْعَى بَيْنَ نَابٍ وَ دَارَةٍ بِلِحْيَانٍ حَتَّى خِفْتُ أَنْ أَتَصَرَ

و هذا دليل على تعلق بعض العرب بدينهم ، دين الآباء و الأجداد و خوفهم من التأثير بالنصرانية. و في ختام هذا الفصل نخلص إلى أنّ الأديان السماوية الموحى بها كان لها انتشارا واسعا في شبه الجزيرة العربية ، بحيث أنّهم اعتنقوا الحنيفية و اليهودية و النصرانية بما يتلاءم مع تفكيرهم وعاداتهم وتقاليدهم و بناهم الذهنية . فقد عرفوا الكنائس والبيع و المحاريب و الرهبان و الصلبان و الصوم ، لكنهم لم يتعمقوا في هذه الأديان و ظلوا يخلطونها بغير قليل من وثنيتهم . من هنا كان التمييز واقعا -كما ذكرنا سابقا - بين اليهود العبرانيين و اليهود العرب و بين النصارى من غير العرب (الأحباش والروم ) و النصارى العرب . أمّا الحنيفية فبقيت فيهم بما تعلق بالحجّ و الاعتقاد في البيت الحرام و أضيف إليها ما ابتدعوه من حمس و حلس و وسائل وثنية .

<sup>1</sup>.مجلة المشرق ، السنة السابعة ، 1904 ص 620 ، عن المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي

الجزء 6 ، ص 584.

<sup>2</sup>. الأغاني ج 16 ص 104.

# الفصل الثالث

الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

### المبحث الأول: الوثنية الشعر الجاهلي

المطلب الأول : نشأة الوثنية عند العرب

المطلب الثاني : الطقوس الدينية عند الوثنيين العرب

المطلب الثالث: الشكّ في الآلهة عند العرب

### المبحث الثاني: الصابئة في شعر ما قبل الإسلام

المطلب الأول : التعريف بالصابئة

المطلب الثاني : إيمان العرب بالكواكب

المطلب الثالث : أساطير النجوم عند العرب

### المبحث الثالث : الجنّ و الملائكة في الشعر الجاهلي

المطلب الأول : اعتقاد العرب بالأرواح

المطلب الثاني : مراكب الجنّ و طعامهم و مراتبهم

المطلب الثالث : شياطين الشعراء

الفصل الثالث : الأديان الوضعية في شعر ما قبل الإسلام

المبحث الأول: الوثنية في الشعر الجاهلي

مدخل : الفرق اللغوي بين الصنم\* و الوثن\* والنصب

يعرّف ابن الكلبي الصنم بأنه : إذا كان معمولاً من خشب أو ذهب أو من فضة على صورة إنسان فهو صنم ، و إذا كان من حجارة فهو وثن<sup>1</sup>. إذ أنه لم يفرق بين الصنم و الوثن في شكلهما لكنّه ميّز الوثن بالمادة المصنوع منها و هي الحجارة . عكس ابن الأثير الذي خصّ الصنم بالصورة بلا جثة أمّا الوثن فكل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب و الحجارة كصورة الأدمي.<sup>2</sup> أمّا السهيلي ففرّق بين الصنم و الوثن في قوله: "يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم و لا يقال وثن إلا لما كان من غير الصخر كالنحاس و غيره".<sup>3</sup> ومن العلماء من لم يفرق بينهما و قال إذا كان ما يعبدونه حجراً على غير صورة فهو نصب و إذا كان تمثالاً سمّي صنماً وثناً. حيث يروي الطبري عن ابن جريج أنّ النصب ليسرت

\* كلمة صنم في لسان العرب هي كلمة مقربة عن "شمن" إلا أنّ بعض علماء اللغة الأوروبيين يرجع كلمة "شمن" التي عزيت عنها كلمة صنم إلى (selem) بمعنى صورة في العبرية و هو اسم إله ورد ذكره (salmo - صلمو) في نقوش آرامية بتيمة و معناها صورة . عن محمود سليم الحوت : الميثولوجيا عند العرب ص 37.

\*\* الوثن لغة هو الثابت القائم الدائم على حاله و الراكد ، عن لسان العرب ج 15 ص 214 مادة وثن. و الوثن كلمة قديمة وردت في نصوص المسند مثل: " و ليذبحن وثن دار بخرفم ذبصم صححم انثيم و ذكرم " معناه ( و ليذبح للوثن مرة في السنة ذبحاً صحيحاً ، أنثى أو ذكراً )، و الوثن هنا يرمز للإله. عن المفصل لجواد علي ج 6 - ص 73 .

<sup>1</sup> . هشام بن محمد الكلبي : الأصنام ص 53 .

<sup>2</sup> . ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج 1.

<sup>3</sup> . عبد الرحمان السهيلي:الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، ج 1، ص63.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

بأصنام ، فالصنم يُصوّر و يُنقش و هذه حجارة تُنصب .<sup>1</sup> غير أنّ شكل اللات- حسب ما روي- أنّها كانت صخرة بيضاء عظيمة.<sup>2</sup> والفلس كان أنفاً أحمر في وسط جبلهم الذي يقال له أجأ، أسود كأنه تمثال إنسان.<sup>3</sup> و ذي الخلصة كان مروة بيضاء منقوشة عليها كهياة التّاج. و ممّا ذكر في وصف هذه الأصنام نلاحظ أنّ العربي الجاهلي لم يكن يهتدي إلى شكل معيّن في اختيار آلهة ، فكل حجارة ذات صفات مختلفة عن الأشكال التي تعود عليها فلنّه يتّخذها صنماً يعبده. فالعرب لم ينحتوا الأصنام لجهلهم بالفنون الجميلة، و الظاهر أنّ المنحوتة مجلوبة من الخارج.<sup>4</sup> بدليل أنّ الأصنام غير "هبل" تخلوا من اللّمسة الفنيّة و الذوق الجمالي. و بالتّالي فليقّ اللفظين صنم و وثن - في أغلب الأحيان- دالين على نفس المعنى. إلا أنّ الأنصاب يصفها ابن الكلبي فيقول: " كانت للعرب حجارة غير منصوبة يطوفون بها ويعترونها عندها ، يسمونها الأنصاب .<sup>5</sup> و الغالب أنّ النصب حجارة مربعة غير مصقولة تقام حول الأصنام و قد يطوف الناس حولها ، و كثيراً ما تقدّم إليها الهدايا من أنعام أو تذبح عليها الضحايا لآلهتهم . و تأكيدا لذلك قول النابغة :<sup>6</sup>

فَلَا تَعْمِرِ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُهُ      وَ مَا هُرِيقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

<sup>1</sup> . الطبري : التفسير ( جامع البيان عن تأويل القرآن) تحقيق محمود محمد شكري، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط2، ج 9

ص 508، تفسير سورة المائدة الآية 3.

<sup>2</sup> . ابن الكلبي : الأصنام ص16

<sup>3</sup> . نفسه ص59

<sup>4</sup> . أنظر عبد المعين خان : الأساطير العربية ص 113

<sup>5</sup> . المصدر السابق ص42

<sup>6</sup> . النابغة الذبياني : الديوان ، ص35

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و مما ورد أنّ سبب وضعها هو تحديد الحرم<sup>1</sup>، ثمّ أصبحت مكاناً مقدّساً لذبح العنثر. و الظاهر أنّ الأنصاب كانت حول حرم مكّة و ضلّت في زمن الإسلام . و قد ذكرت الأنصاب في القرآن الكريم في ثلاث مواضع<sup>2</sup>، و تتعلّق هذه الآيات بالعرب الجاهليين و ذلك لأنّ الأنصاب لم تعبد في الأمم الأخرى . عكس لفظة الأصنام التي ذكرت في القرآن الكريم في عدد من الآيات<sup>3</sup> و كلّها تتعلّق بالأقوام الغير عربية، أمّا الأوثان فقد ذكرت في ثلاث آيات<sup>4</sup>. و الملاحظ أنّ لفظي الأوثان و الأصنام وردتا مترادفتين في القرآن الكريم، غير أنّنا لا نجد شعرا كثيرا ذكرت فيه هتتين الكلمتين. قد يرجع السبب في ذلك إلى أنّ جماع الشعر الجاهلي - في عصر التدوين - تغاضوا عن ذلك لتعارضه مع الدين الجديد أو لسبب ثاني و الذي نراه أقرب إلى الحقيقة و هو أنّ شعراء العرب لم ينظروا إلى هتة الآلهة مادة جامدة بل كانت تمثّل عندهم جسدا تسكنه الروح الإلهية بالتالي كانوا يذكرونها بأسمائها . عكس الأنصاب التي نجدها في شعر كثير، منه قول رشيد العنزي<sup>5</sup> :

حَلَفْتُ بِمَائِرَاتٍ حَوْلَ عَوْضٍ      وَ أَنْصَابٍ تُرْكُنُ لَدَى السَّعِيرِ

<sup>1</sup> . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 1 ص 243 . الحرم بمعنى الحرام ، فكأنه حرام انتهاكه و حرام صيده و رفثه . و حرم مكة له حدود مضروية المنار القديمة ؛ و هي التي بيّنها خليل الله إبراهيم "عليه الصلاة و السلام" وحده نحو عشرة أميال في مسيرة يوم . و قد أقر النبي (...) قريشا على ما عرفوه من مشاعر ، فما دون المنار فهو حرم لا يحلّ صيده و لا يقطع شجرة.

<sup>2</sup> . سورة المائدة الآية - 3 - 90 و في سورة المعارج الآية 43.

<sup>3</sup> . في سورة إبراهيم الآية 35 . و سورة الأنعام الآية 7 . و سورة الشعراء الآية 71 . سورة الأنبياء الآية 57 و سورة الأعراف الآية 138

<sup>4</sup> . سورة العنكبوت الآية - 16 - 25 - و سورة الحج الآية - 30 - الآيتان الأولتان تتعلقان بقوم إبراهيم ، أمّا آية الحج فتتحدّث عن الحجّ عند العرب الجاهليين و وجوب تنقيته ممّا أضيف إليه من عبادات أخرى.

<sup>5</sup> . ابن منظور : لسان العرب مادة سعر .

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و قد جمع الأعشى بين الأوثان و النصب في قوله:<sup>1</sup>

وَ ذَا النُّصْبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسَلُوكُهُ      وَ لَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَ اللَّهُ فَلَعْبُدَا

فهو ينصح الناس بعبادة الله فهو الأحقّ بالعبادة و الابتعاد عن الأوثان, ففي ذلك دلالة على

أنّه لم يكن من المؤمنين بها و هذا لمسيحيته . و من الشعر القليل الذي ذكر فيه لفظ صنم

بيت لعنترة بن شداد , إذ يقول :<sup>2</sup>

نَجَلَّلتني إِذَا أهوى العَصَى قِلي      كَأَنَّهَا صَنَمٌ يُعْتَادُ مَعَكُوفُ

و النصاري نصبت الصليب , و هو كالوثن تعظمه و تعبده , إذ نجد الأعشى يشبه طواف

الناس حول الملك راغبة في كرمه كطواف النصاري بكنائسهم , فقال:<sup>3</sup>

تَطُوفُ العَفَاةُ بِأَبْوَابِهِ      لِكَطُوفِ النَّصَارَى بِبَيْتِ الوَثْنِ

و قال عدي بن حاتم قدمت على النبيّ ( صلى ) و في عنقي صليب من ذهب فقال لي :

ألق هذا الوثن عنك أراد به الصليب<sup>4</sup> . و قد ورد في كتب الأدب و اللّغة عدد من الكلمات

التي تشابه معنى الصنم كلفظة الدمية و هي الصورة المنقوشة من الرخام أو غيره . و ذكر

أنّ الدمية من الصمغ.<sup>5</sup> و من أيمان الجاهلية " لا و الدمي " يريدون الأصنام .

<sup>1</sup> . الأعشى : الديوان , ص46

<sup>2</sup> . عنتره : الديوان , ص 270 . و الأصفهاني : الأغاني ج 8 , ص 237.

\* . ففي هذا البيت يشبه الشاعر المرأة بالصنم الذي يعتاد العكوف ع نده و هو يقصد سميّة امرأة أبيه . و معنى البيت : ألفت نفسها عليّ حين أراد أبي ضربي كأنّها صنم . وقد وصفها بهذه الصورة ربّما لشدة و قوة سقوطها عليه .

<sup>3</sup> . ابن منظور : لسان العرب ج 15 , ص214 مادة وثن .

<sup>4</sup> . المرجع نفسه الصفحة نفسها .

<sup>5</sup> . ابن الكلبي : الأصنام ، ص 108 في التكملة.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

أما الجبت فكلمة تقع على الصنم أو الكاهن و الساحر لقوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا " .<sup>1</sup> قال ابن عباس: الجبت، الأصنام و الطواغيت الذين كانوا يعبرون عن الأصنام بالكذب أي الكهان .<sup>2</sup> و قال ابن الأثير: فالطواغي جمع طاغية و هي ما كانوا يعبدونه من الأصنام و غيرها.<sup>3</sup> و قد أورد أغلب المفسرين<sup>4</sup> أن الطواغيت أطلقها القرآن على كل معبود من دون الله و الجبت على الكاهن ؛ حيث ورد الجبت و الطاغوت في مواضع عدة من القرآن<sup>5</sup> .

وفي تفسير ابن كثير للآية الكريمة: " فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ " .<sup>6</sup> فقال: من خلع الأنداد و الأوثان و ما يدعوا إليه الشيطان من عبادة و كل ما يعبد يعبد من دون الله ، أما من وحد الله فعبده وحده و شهد أن لا إله إلا هو فقد استمسك بالعروة الوثقى؛ أي فقد ثبت أمره و استقام على الطريق المستقيم .

<sup>1</sup> . سورة النساء الآية 51.

<sup>2</sup> . الزبيدي : تاج العروس ج 8 ص 111.

<sup>3</sup> . ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث و الأثر، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1421 هـ ، أشرف عليه علي بن الحسن الحلبي الأثري ، ص 564 مادة طغ .

<sup>4</sup> . أنظر عن الجبت و الطاغوت تفسير الطبري ج3ص13 - ج5ص83 ، و القرطبي في التفسير ج5 ص 248 و تفسير ابن كثير ج2 ص446-447

<sup>5</sup> . ورد الجبت و الطاغوت في سورة البقرة 256-257 و سورة النساء الآية 51 - 60 - 76 و سورة المائدة الآية 60 و سورة النحل الآية 36 و سورة الزمر الآية 17.

<sup>6</sup> . سورة البقرة الآية 256 .



### المطلب الأول : نشأة الوثنية عند العرب

تضاربت الروايات في تحديد زمان و بداية عبادة الأصنام عند العرب. و أهمّ رواية عربية للأزرقي إذ قال: إنّ أوّل ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنّه كان لا يظعن من مكّة ظاعن منهم إلّا احتمل معه من حجارة الحرم , تعظيما للحرم و صبابة بمكّة و الكعبة . حتّى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسّوا من الحجارة , و أعجبهم من حجارة الحرم خاصّة. حتّى خلفت الخلوف بعد الخلوف و نسوا ما كانوا عليه , و استبدلوا الوثنية بدين إبراهيم و إسماعيل<sup>1</sup>. و روى الألويسي في قول أحدهم : "كنا نعبد الحجر في الجاهليّة فإذا وجدنا حجرا أحسن منه نلقي ذلك و نأخذه , فإذا لم نجد حجرا جمعنا حفنة من تراب ثمّ جئنا بغنم فحلبناها عليه , ثمّ طفنا\* به"<sup>2</sup>. و من ذلك نكتشف أنّ العربي لم يعنى كثيرا بأن يكون لصنمه شكل. و هذا ما وضّحه عمرو بن عبسة السلمي في قوله : إنّني امرؤ ممّن يعبد الحجارة فينزل الحيّ ليس معه إله, فيخرج الرّجل منهم فيأتي بأربعة أحجار فينصب ثلاثة لقدره و يجعل أحسنها إلهها يعبده. ثمّ لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه و يأخذ غيره إذا نزل منزلا سواه .<sup>3</sup> أمّا المسعودي فيروي لنا في مروج الذهب فيقول : لما ولّيت خزاعة أمر البيت و تولاهم عمرو بن لحي<sup>4</sup> غير دين إبراهيم , و بعث العرب على

<sup>1</sup> . الأزرقي : أخبار مكة ص 66 . و روى ابن الكلبي نفس القصة في الأصنام ص6.

<sup>2</sup> . الألويسي: بلوغ الإرب ج2ص211. و الطواف طقس تابع من طوافهم حول الكعبة و هو من شعائر الحجّ و العمرة .

<sup>3</sup> . ابن حبيب : المنمق ص 484

<sup>4</sup> . عمرو بن لحي هو ربيعة بن حارثة بن عمرو و هو أبو خزاعة . و كان كاهنا أو كما قيل أنّه بلغ بمكّة و في العرب من الشرف ما لم يبلغ عربي قبله , و قد أخرج منها جرهما و تولى سدائنها .

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

عبادة التماثيل التي قدم بها من بلاد الشام. و في ذلك يقول شحنة بن خلف الجرهمي يعاتب عمرو بن لحي لكثرة الأصنام التي وضعها حول الكعبة :

يَا عَمْرُو إِنَّكَ قَدْ أَحَدْتَتْ آلِهَةً      شَرِيئًا بِمَكَّةَ حَوْلَ الْبَيْتِ أَنْصَابًا

وَ كَانَ لِلْبَيْتِ رَبٌّ وَاحِدٌ أَبَدًا      فَقَدْ جَعَلْتَهُ فِي النَّاسِ أَرْبَابًا<sup>1</sup>

إلا أن ابن هشام خصَّ عمرو بن لحي بلستقدام هلال الصنم "هبل" من مآب من أرض البلقاء إلى مكة ونصبه و أمر الناس بعبادته و تعظيمه<sup>2</sup>، و استدللّ بما روي عن الرسول (صلى)<sup>3</sup>. و ذكر ابن الكلبي نفس الفكرة بأكثر تفصيل فقال: أنه (عمرو بن لحي) مرض مرضا شديدا فقيل له، أن بالبلقاء من الشام حمّة إن أتيتها برأت ، فأتاها ، فاستحم بها ، فبرأ. ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال: ما هذه ؟ فقالوا : نستسقي بها المطر ، و نستنصر بها على العدو. فسألهم أن يعطوه منها ، ففعلوا . فقدم بها الى مكة و نصبها حول الكعبة<sup>4</sup> . و من هذه القصة نكتشف أن الوثنيّة لم ترتبط فقط بالعرب بل هي عبادة كانت معروفة عند غيرهم من الشعوب ، و أنّ عرب الحجاز اقتبسوا عبادة الأوثان من أهل الشام .

إضافة إلى الأوثان عبد العرب بعض الحيوانات كالجمال، عن السهطي في قدوم و فدطيء

على رسول الله (صلى) قال: " خرج نفر من طيء يريدون النبي (صلى) بالمدينة وفودا

<sup>1</sup> . المسعودي : مروج الذهب و معادن الجواهر ص 29 و 30 .

<sup>2</sup> . ابن هشام : السيرة النبوية ج ( 2+1 ) ص 77

<sup>3</sup> . حكى ابن اسحاق في سيرته أنّ أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ( صلى ) يقول : لأكنتم بن الجون الخزاعي: يا أكنتم رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف يجرّ قصبه في النار، فما رأيت رجلا أشبهه برجل منك به و لا بك منه. فقال أكنتم: عسى أن يضرنّي شبهه يا رسول الله ؟ فقال : لا ، إنّك مؤمن و هو كافر. إنّه كان أوّل من غير دين إسماعيل ، فنصب الأوثان و بحر البحيرة و سرب السائبة و وصل الوصيلة و حمى الحامي .أنظر السيرة لابن هشام ص 43 .

<sup>4</sup> . ابن الكلبي : الأصنام ص 8 .

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و معهم زيد الخيل ، فلما نظر النبي (صلى) إليهم قال: إني خير لكم من العزى ولاتها و من  
الجمل الأسود الذي تعبدونه من دون الله .<sup>1</sup> أي أنهم كانوا يعبدون اللات و العزة و الجمل  
الأسود. كما عبد بنو إيراد الناقة و بنو بكر السقب، لما روي عن عمرو بن حبيب الموصوف  
بذي الكيود (أي كثير الكيد) أنه أغار على بني بكر فأصاب سقبا كانوا يعبدونه من دون  
الله، فأراد إغاضتهم فنحره و أكله<sup>2</sup>. و في ذلك يقول أحمد البدوي الشنقيطي عند ذكر محارب  
و أبو عقيلة :

وَ انْسَبَ خَبَرِيَهُمْ ذُو الْكَيْوُدِ      آكِلِ سَقْبٍ بَكْرِ الْمَعْبُودِ<sup>3</sup>

و تنتهي إلى أن بعض القبائل العربية خصت بعض الحيوانات بالعبادة إلى جانب عبادتهم  
للأوثان، قد يعود أصل هذه العبادة بقيّة من ديانة الثموديين . هذا ما جعل بعض الدارسين  
ومنهم عبد المعين خان<sup>4</sup> أن يعتبر المجتمع العربي دان بالطوطمية أي عبادة الحيوان  
و تقديسه. إلا أن هذه الظاهرة اقتصرّت على مناطق محدّدة و قليلة مقارنة بالوثنية التي  
سادت بلاد العرب تقريبا .

و الجدير بالإشارة إلى ما كان من العبادات الأخرى للعرب عبادة قبور رجال الدين و سادة  
القبائل و التي اتخذت مزارات يقسمون بها . فكانوا يلوذون بصاحب القبر و يحتمون به ،

<sup>1</sup> . السهيلي : الروض الأنف المجلد الثاني ص 342 و أنظر في هذا الشأن الدميري : حياة الحيوان الكبرى .

<sup>2</sup> . نعمان الجارم : أديان العرب ص 124 .

<sup>3</sup> . عبد المعين خان : الأساطير العربية ص 95 .

<sup>4</sup> . أنظر المرجع نفسه ( فصل المذهب الطوتمي عند العرب ) ص 75 .

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

كالذي كان من أمر ضريح "تميم بن مرة"<sup>1</sup>. و هذا ما دفع النبيّ (صلى) إلى الأمر بتسوية القبور و نهيّه عن اتخاذها مساجد و مواضع للصلاة .

كما عبد العرب الأشجار و اتخذوها أماكن مقدّسة ك ذات أنواط<sup>2</sup>. و كان أهل نجران قبل دخول المسيحية بلادهم كانوا يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم، لها عيد في كلّ سنة ، فلذا كان ذلك العيد علّقوا عليها كلّ ثوب حسن وجدوه و حلّي النساء ، ثم خرجوا فعكفوا عندها يوم<sup>3</sup>. و لهذا السبب قطع عمر بن الخطاب الشجرة التي عاهد تحتها المسلمون النبيّ (صلى) في الحديبية، خشية منه تقديس و عبادة النّاس لها.

### المطلب الثاني : الطقوس الدينية عند الوثنيين العرب

تفيد الروايات أنّه كان لأهل كل دار من مكة صنم يعبدونه ، فلذا أراد أحدهم السّفْر كان آخر ما يصنعه في منزله أن يتمسّح به ، وإذا قدم من سفره كان أوّل ما يصنع أن يتمسّح به عند دخوله منزله أيضا<sup>4</sup>. و الدليل على وجود الأصنام في بيوت العرب أنّه يوم فتح مكة<sup>5</sup>

<sup>1</sup> . جواد علي : المفصل ج 6 ص 49

<sup>2</sup> . من الأشجار المقدّسة عند قريش و من سواهم من العرب و هي شجرة عظيمة خضراء يأتونها كلّ سنة ، فيعلّقون عليها أسلحتهم و يذبحون عندها و يعكفون عندها يوما . و كان من حجّ منهم وضع زاده و يدخل بغير زاد تعظيما لها .

و في رواية أخرى يعلق رداءه و لذلك سميت ذات أنواط . عن الأزرقى : أخبار مكة ج 1 ص 77-78

<sup>3</sup> . أنظر سيرة ابن هشام ج 1 ص 32 . و الأساطير العربية لعبد المعين خان ص 51-52 .

<sup>4</sup> . ابن الكلبي : الأصنام ص 33

<sup>5</sup> . ورد في أخبار فتح مكّة أنّ الرسول (صلى) حينما دخل مكة و حول البيت أصنام مشدودة بالرصاص ، راح النبيّ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام و يقول: " جاء الحقّ و زهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا". فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلّا وقع في قفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلّا وقع لوجهه، حتّى ما بقي منها صنم إلّا وقع . هذه الرواية لا تبين لنا عدد و لا أسماء الأصنام التي كانت حول الكعبة . و لو قمنا بعملية إحصائية لأسماء الأصنام التي ذكرت في المصادر لوجدنا أنّ عدد ثلاث مائة وستين صنما مبالغ فيه ، مع العلم أنّ لكلّ قبيلة آلهتها الخاصة بها ، فمثلا ذو الخصة كانت

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

ناد منادي الرسول (صلى) في الناس قائلاً: " من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره"<sup>1</sup>، و كان الأعراب إذا جاؤوا مكة أو المواضع الحضرية الأخرى اشتروا الأصنام منها للتعبد لها<sup>2</sup>. و إذا كان الأمر كذلك ، فلا يستبعد إذن أن تكثر هذه الأصنام و توضع في أماكن مختلفة لتكون منازل ترتادها آلهتهم ، و تقربهم زلفى لرب البيت و ليرى الذي قصد مكة معبوده عندما يحج أو يعتمر فيتبرك و يرضى و يقدم القرابين .

و كانت لبعض الأصنام بيوتا و حمى و سدنة\* تقوم على خدمتها . كما أن الجاهليين كانوا يضعون أصنامهم في قبة إبان معاركهم كي يستنصروا بها ، و الدال على هذه العادة هو المثل " لا نفر أو نفر حتى نفر القبة " . أي أن قبة الأصنام تلك كانت تقوم مقام المعبد الثابت عند أهل المدر.<sup>3</sup> فيكون بذلك للقبة دلالة دينية فضلا عن دلالتها العصبية ، فالصنم دين و رمز للقبيلة و المدافع عن شعبه . و عبادة الأصنام هي عبادة موروثه يرثها الأبناء عن الآباء، حيث يصل بهم الحد إلى القسم بها، كقسم أبي لهب في حديثه مع النبي (صلى) عندما أراد حمايته بعد موت أبي طالب إذ: " لا و اللات لا يوصل إليك حتى أموت "<sup>4</sup>، و يبدو أن القسم إذا تم أمام الصنم اتخذ صريغة قوى.

---

تعدهبجيلة و موضعه ما بين مكة و اليمن ، و ذو الشرى بدومة الجندل و هو لدوس أما الفلّس فهو في جبل أجأ وهو صنم لطي.

<sup>1</sup> . الأزرقى : أخبار مكة ج 1 ص 77.

<sup>2</sup> . المصدر نفسه ، ج 1 ص 78.

<sup>3</sup> . جواد علي : المفصل ، ج 6 ص 64.

\* السدنة : هم الذين يقومون بأمر الكعبة أو بيوت الأصنام الأخرى.

<sup>4</sup> . ابن حبيب : المنمق ، ص 131.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و من أهمّ الطقوس التي تقرب الإنسان إلى آلهته: النذور<sup>1</sup> و القرابين و المنح أي الصدقات و العطايا، و تدخل الذبائح في باب النذور كذلك<sup>2</sup>. إذ تلعب النذور دورا خطيرا في الحياة الدينية عند العرب، فالجاهلي لم يكن يرى من الدين إلا ما يقدمه من نذور لآلهته لتجيب له مطالبه و تحميه من أعدائه. كما أنّ الوثنية لم تحدّد الأشياء التي كان على الإنسان أن يتقدم بها إلى آلهته قربة إليها أو وفاء لنذر، فله أن يتقرب إلى أربابه بكل ما يختاره و يشاء من أمور بسيطة رخيصة إلى أشياء ثمينة غالية<sup>3</sup>. و من القدمات<sup>4</sup> العينية التي كانت تحفظ في خزنة الإله العتاد الحربي كأدراع و كلسيوف، و منها التي وجدت في خزنة الفلّس و هي رسوب و المخدم و اليماني<sup>5</sup>. و الدروع التي وجدها عبد المطلب عند حفرة لبئر زمزم. و من النذور أيضا الحليّ كالتي كانت تقدّم للات<sup>6</sup>. و من أهمّ طقوس العبادة عند العرب الدوار حول الأنصاب، حيث طافوا بها كطوافهم بالكعبة و لطّخوها بدما<sup>7</sup> العتائر التي كانت تذبح عليها، و في ذلك يقول زهير بن أبي سلمى<sup>8</sup>:

فَوَلَّ عَرَّهَا وَ أَوْفَى رَأْسَ مَرْقَبَةٍ      كَمَنْصَبِ الْعِثْرِ دَمَى رَأْسِهِ الرُّبُكُ

<sup>1</sup> . النذور : هي وعد على شرط، يتوسل الناذر إلى آلهته بأنّها إن أجابت طلبا بعينه و حققت مطلبا نواه فعليه لفا نذر بعينه و فيكره.

<sup>2</sup> . جواد علي : المفصل ج 6 ص 185.

<sup>3</sup> . المصدر نفسه، ج 6 ص 186.

<sup>4</sup> . ذكر ابن إسحاق و ياقوت الحموي أنّ تقديّمات الكعبة كانت توضع في بئر في داخلها. أنظر معجم البلدان مادة كعبة.

<sup>5</sup> . ياقوت الحموي : معجم البلدان مادة الفلّس . الأصنام ص 61-62

<sup>6</sup> . ابن هشام : السيرة النبوية، ج 1 ص 542 .

<sup>7</sup> . العتائر : القرابين التي كانت تنحر على منابر الأصنام ( الأنصاب ) و الرجبية : هي الذبيحة التي كانت تذبح

في شهر رجب .

<sup>8</sup> . زهير بن أبي سلمى : الديوان ، ص 43. أوفى: أشرف، المرقبة: المكان العالي الذي يراقب منه.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و كان الجاهليون يعظّمون البيت بلدم و يتقرّبون إلى أصنامهم بالذبايح ، فتتحر لها القرابين أو يقدّم لها الهدى من الإبل يسرّح في حماها. و استمرّ الهدى مع ظهور الإسلام ، فالنبيّ عندما توجّه مع صحبه سنة سنّة للهجرة - قبل الفتح - لقضاء العمرة توقف عند الحديبية فلوسلت له قريش سيّد الأحابيش و كان يتأهّل (أي يبحث في سبب ورود النبيّ على مكّة) فنظر إلى الهدى فعرفها لما عليها من القلائد التي أكلت أوبارها . و كان النبيّ قد أشعر هديه في الشقّ الأيمن وهي عادات إتبعها العرب لتمييز ما كانوا يهدونه في المواسم الدينية . و لولم يتّبع النبيّ (صلى) في هديه ما كان متّبعاً في الجاهلية عند العرب لم عرفها سيّد الأحابيش.<sup>1</sup> و قد يكون لعادة الذبح معنى ما عند العرب و عند الشعوب السامية عموماً، و السبب الوارد أنّهم يرون أنّ تعظيم البيت<sup>2</sup> أو الصنم لا يكون إلاّ بالذبح . و الذبح هو الشعار الدال على الإخلاص في الدّين عندهم و علاقة التعظيم . و من القرابين ما يقدّم في أوقات معيّنة و منها ما ليس له وقت محدّد ثابت ، خاصّة عندما كانوا يشعرون أنّ آلهتهم غاضبة و تكون علامة غضبها تغيّراً في العوامل الطبيعية. من ذلك ما حدث عندما ظهرت لهم النيازك التي تتساقط و التي قيل أنّها كواكب رميت بها الجنّ، ففزعوا و كان أولهم أهل الطائف فجعلوا يذبحون لآلهتهم من كان له إبل أو غنم لاسترضائها.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> . أنظر المنق لابن حبيب ص 354 و المحبر ص 330 ، ابن سعد في الطبقات ج 2 ص 95 .

<sup>2</sup> . و الهدى كما يقول ابن منظور في لسان العرب : " الهدى ما أهدي الى مكة (الكعبة) من النعم " . و لعل علاقة التضحية عند العرب لها علاقة بافتداء الله تعالى اسماعيل بذبح عظيم كما جاء في الآيات 101 - 107 من سورة الصافات .

<sup>3</sup> . ابن سعد : الطبقات ج 1 ص 167 .

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و من أمثلة النوع الأول ما يقدم في الأعياد أو المواسم كالحج و العمرة أو في الأشهر الخاصة. حيث تكسى أصنامهم أحسن ال حلل و تزيّن بأجمل الزينة ثم يوضع أمامها ما لذ من الطعام و ما أحسن من الهدايا، و تذبح الذبائح<sup>1</sup> على أنصابها تزلفا للآلهة و تقرباً إليها. و لعلّ الناس كانوا يعتقدون أنّ الدم الذي يسفك يمسه الإله و أنّ اللحم الذي يضحى على النصب يكون للإله منه نصيب . وقد نفى القرآن الكريم في قوله تعالى : " لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ"<sup>2</sup>.

و لم تكن القرابين تقتصر على حيوان دون الآخر ، فقد ذكر أنّ الهذليين قدّموا لسواع بقرة سميّة، في حين أنّ عبد المطلب قدّم إبله لرب الكعبة . كما أهدوا الغنم و الماعز لأصنامهم و لم يذكروا إسم الله عليها بل سمّوا إسم الصنم ، و من ذلك تُهي المسلمون من أكل ما ذبح على الأنصاب. و لا يغيب عن بالنا في هذا السياق أنّ الجاهلي في صلته بعالم الغيب كان يمارس قانون البدل ، فهو يلتزم بطقوسه الدينية كي تطمئن نفسه إلّا أنه يبحث عن الأبخس ثمنا للوصول إلى غايته . فعلى سبيل المثال عوضا عن تقديمه الشاة و فاء لنذره، يعمد إلى صيد الطبله ، ليقدمها قرابين وندورا بالنيابة عن الشاة، في ذلك يقول الحارث بن حلزة<sup>3</sup>:

عَنَّا بِاطِلًا وَ ظُلْمًا كَمَا تُع . تَرُّ عَنْ حَجَرَةِ الرَّبِيضِ الظُّبَاءُ

<sup>1</sup> . جواد علي : المفصل ج 6 ص197.

<sup>2</sup> . سورة الحج الآية 37.

<sup>3</sup> . أبو بكر بن القاسم الأنباري : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، دار المعارف مصر، تحقيق عبد السلام هارون ط 5 ، 1963، ص 484. عَنَّا معناها اعتراضا ، الربيض : و هي الغنم . و الحجرة : الحظير و معنى البيت هو : أنتم تأخذوننا بذنوب غيرنا كما تذبح الطباء عوضا عن الغنم.



## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و في المثل: "أَفْرَعٌ فِي الطَّبِي وَ فِي الْمَعْرَى دَنْتَرٌ" <sup>1</sup>، و شرحه: أفرع الطبي يعني ذبحه قربانا كالفرع رغم أنّ م عراه كثيرة، و ذلك من البخل. و الفرع هو أوّل ولد تنتجه الناقة كانوا يزيّنونه و يلبسونه ثم ينحرونه لآلهتهم تبركا ، فيأكلونه و يلقون بجلده على الشجر. <sup>2</sup> وقد جاء النهي عن ذلك في الحديث: " لَا فَرَعَ وَ لَا عَتِيرَةَ " <sup>3</sup>.

و من القرابين أيضا ما كانت تترك في حمى الآلهة كالبحيرة و السائبة والوص طية و الحام. حيث كانت الإبل و الأنعام الحيّة تقدّم أيضا إلى الآلهة كذنور و قرابين فتحبس ولا يمسه أحد بسوء. و قد ذكر القرآن الكريم أنواعا من الهدايا الجاهلية في معرض الانكار لها: " مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ " <sup>4</sup>. و قال شاعر في ذلك <sup>5</sup>:

حَوْلَ الْوَصَائِلِ فِي شُرَيْفِ حِقَّةٍ      وَ الْحَامِيَّاتِ ظُهُورَهَا وَ السَّيِّبِ

يقال أنّ أوّل من سيّب السائبة ووصل الوصيّة و حمى الحامية كان عمرو بن ربيعة و هو لحي بن حارثة بن عمرو وهو أبو خزاعة <sup>6</sup>. فالبحيرة عند ابن إسحاق هي بنت السائبة و هي ناقة شقت أذنّها ثم خلّي سبيلها مع أمها فلم يُركب ظهرها و لم يُجزّ و برها ولم يُشرب

<sup>1</sup> . الميداني : مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة السنة المحمدية القاهرة 1955، ج 2

ص 81 . و يضرب المثل لمن له إخوان كثر و يستعين بغيره .

<sup>2</sup> . الألويسي : بلوغ الأرب ج 3 ص 40

<sup>3</sup> . صحيح مسلم ، مج 7 ج 3 ص 40

<sup>4</sup> . سورة المائدة الآية 103

<sup>5</sup> . ابن هشام : السيرة النبوية ج (2+1) ص 49

<sup>6</sup> . الأصنام ص 8

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

لبنها إلاّ ضيف.<sup>1</sup> و قيل: البحيرة هي التي يُمنع درّها للطواغيت، فلا يحتلبها أحد من الناس.<sup>2</sup> وورد أيضا أن البحيرة هي الناقة أو الشاة ، و لأنّهم بحروا أذنّها أي شقّو هو كان البحر علامة التخلية.

و أمّا السائبة عند ابن هشام هي التي ينذر الرجل أن يسيبها إن برئ من مرضه ، أو أصاب أمرا يطلبه. فإذا كان أساب ناقة من إبله أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فرعت لا ينتفع بها.<sup>3</sup> و عن ابن إسحاق أنّ السائبة الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهنّ ذكر سببت فلم يُركب ظهرها و لم يُجرّ وبرها و لم يُشرب لبنها إلاّ ضريف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقّت أذنّها ثمّ خلّي سبيلها مع أمّها<sup>4</sup> . و أغير على رجل من العرب ، فلم يجد دابة يركبها فركب سائبة ، فقيل : أتركب حراما ؟ فقال : يركب الحرام من لا حلال له ، فذهب مثلا .<sup>5</sup> و من ذلك نكتشف خوف العرب من استعمال ما سيّب لآلهتهم ففي اعتقادهم أنّه قد

تصيبهم عقوبة في الدنيا لأنّهم خرّقوا الممنوع.

و الوصيلىة : هي الناقة التي تلد أمها إثنين في كل بطن ، فيجعل صاحبها لآلهته الإناث ( منها ) و لنفسه الذكور منها ، فتلدها أمها و معها ذكر في بطن ، فيقولون : وصلت أباها فيسيب أخوها معها فلا ينتفع به .<sup>6</sup> لقوله تعالى : " ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ

<sup>1</sup> . المرجع السابق ص 49

<sup>2</sup> . ابن منظور : لسان العرب ج 4 ص 16 مادة بحر .

<sup>3</sup> . ابن هشام : السيرة ص 49 .

<sup>4</sup> . نفسه ص 48

<sup>5</sup> . ابن دريد : الإشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت ط 1 ، 1991 ، ص 87.

<sup>6</sup> . المرجع السابق ص 49

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

الْمُعْزِ اثْنَيْنِ قُلُ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأُنثِيَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتِ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ نَبُّونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ( 143 ) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلُ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأُنثِيَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتِ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ <sup>1</sup> . و عن ابن إسحاق أنَّ الوصيَّة هي الشاة إذا ولدت عشر إناث توائم في خمسة بطون ليس بينهم ذكر ، إذ يقول قد وصلت فيكون ما ولدت من بعد ذلك للذكور من بينهم دون الإناث ، إلا ما مات منها فلهم جميعا <sup>2</sup> . و الليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى : " وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ " <sup>3</sup> .

أما الحام فهو الفحل إذا نتج له عشرة أبطن من صلبه ، قالوا : قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه و لا يمنع من ماء و لا مرعى <sup>4</sup> . إلا أن ابن اسحاق يخص العشرة أبطن على أن تكون عشر إناث متتابعات ليس بينهم ذكر <sup>5</sup> . و قد كان بعض أصحاب النذور ينذر أنه أنه إذا بلغت إبله ألفا عارَ عين بغير منها أي فقأ عينه و سرحه لا ينتفع به <sup>6</sup> . فعادة فقء عين البعير كانت سائدة في المجتمع العربي دفعا لعين الحاسد و جاء من المثل "عنده من

<sup>1</sup> . سورة الأنعام الآية ( 143 - 144 )

<sup>2</sup> . ابن هشام : السيرة ص 49 .

<sup>3</sup> . سورة الأنعام الآية 136 و ما بعدها

<sup>4</sup> . ابن منظور : لسان العرب ج 18 ص 220

<sup>5</sup> . أنظر ابن هشام : السيرة ص 49

<sup>6</sup> . الزبيدي : تاج العروس ج 1 ص 97 مادة فقأ .

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

المال عائرة عين" <sup>1</sup>. و معنى المثل أنه من كثرته يملأ العين حتى يكاد يعور، و أصل هذا أنهم كانوا إذا كثر عندهم المال ففؤوا عين بغير دفعا لعين الكمال و هو الاكتفاء بتقديم جزء من تقديم القرابين ، عوضا عن تقديم البعير كله ، تقربا إلى الآلهة أو دفعا لأذى الأرواح الشريرة. <sup>2</sup> فالعرب سنوا لأنفسهم شريعة أن يحرموا على أنفسهم أو على نسائهم ما أحله لهم الله و ما رزقتهم الطبيعة من أنعام ، لقوله تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَللَّهُ أَزِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ " <sup>3</sup>. كما جعلها لهذه الأنعام أماكن خاصة ترعى بها و يحافظ على حرمتها و هي حمى الأصنام أو الحرم بمكة. فلصبح من المحظور اعتضاد نبات الحرم و صيد الحيوان فيه و من يفعل يكون آثما.

و يدخل في باب النذور ما يأخذه المرء عهدا على نفسه ، كأن لا يأكل لحما و لا يشرب خمرا أو لا يستحم إلى أن يستوفي نذره من ثأر أو غير ذلك . و نجد عبد المطلب نذر إن توافى له عشرة رهط (أبناء ) أن ينحر أحدهم <sup>4</sup>، فلما اكتمل العدد ، قرّر الوفاء بنذره، فذهب فذهب كعادة أهل مكة الى هبل يستقسم عنده .فلما أصاب النصيب عبد الله ، ذهب إلى

إساف و نائلة و ثني قريش الذين تتحر عندهما ليذبحه . فقامت إليه قريش من أنديتها ... فقالت قريش و بنوه:" و الله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه ، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل

<sup>1</sup> . الميداني : مجمع الأمثال ج 2 ص 6

<sup>2</sup> . المصدر نفسه .

<sup>3</sup> . سورة يونس الآية 59 .

<sup>4</sup> .ورد في نقش قديم باليمن أنّ رجلا قدّم ابنته كقربان لآلهة في العبارة التالية: ه ف ن ي/ذ ت ه ر ن/ب ت ه و .و تعني هذه العبارة أنّ صاحب النقش قدّم لآلهة ذات هرن (الشمس) بنته . عن أطروحة الدكتوراه لهزاع الحمادي الموسومة بالقرابين و النذور في الديانة اليمنية القديمة .هذا ما يدفعنا إلى إعتقاد أنّ ظاهرة وأد البنات قد يكون أصلها طقس ديني ، فقد انتشر في مجتمعات كثيرة تقديم القرابين البشرية ، رغم أنّ ما ذكر في القرآن الكريم أنّ الدافع لهذا القتل هو الإملاق .

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا ؟ ثم سألوه أن يذهب إلى عرّافة كانت بالمدينة لها تابع، فأشارت إليه أن يعود إلى مكة ثم يضرب بالقداح<sup>1</sup> على ابنه و على عشر من الإبل و هو مقدار الدية عندهم ...و أعادوا الضرب عشر مرات حتى وقع على الإبل، و نحرّت الإبل فدية عن ابنه عبد الله<sup>2</sup>. و خلّى عبد المطلب بينها و بين كل من وردها من أنسي أو سبع أو طائر و لم يأكل منها هو ولا أحد من ولده شيئاً. و ذلك لأنّ نذره كان لله رب البيت. و من هذه النذور ظهر عند العرب الربيط و هو " الغ و ث بن مرّ". و لأنّ أمّه كان لا يعيش لها ولد فنذرت لئى عاش هذا لتريطنّ برأسه صوفة، و لتجعلنّه ربيط الكعبة - كأنه هدي- فعاش ، ففعلت و جعلته خاصاً للبيت حتى بلغ اللحم ، فنزعته فلقّب بالربيط<sup>3</sup> .

و قد أشار لبيد إلى الناسكات ينتظرن النذر بقوله :

تُوجِسُ النُّبُوحُ شُعْنًا غُبْرًا      كَالنَّاسِكَاتِ يَنْتَظِرْنَ النَّذْرًا<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - القداح : القدح معناه السهم قبل أن ينصل و يراش ، جمعه قداح . و الاستقسام بالأزلام كالضرب بالقداح . جاء في سورة المائدة الآية 3 : " حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ " .

كانت الأصنام تمثل في معتقد عابديها قوى عليا يمكن أن تعرف مصير الفرد و من ذلك ظهرت عند العرب الضرب بالقداح كالتي وضعت أمام الصنم هبل و هي سبعة أقدح مكتوب في أولها صريح و الآخر ملصق . فإذا شكوا في مولود أهدوا إليه (هبل) هدية، ثم ضربوا بالقداح فإن خرج صريح ألقوه، و إن خرج ملصق دفعوه . و قدح على الميت و قدح على الزواج و الثلاثة الأخرى يضربونها إذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً ، فما خرج عملوا به وانتهوا إليه.

و مثل ذلك أنه كان عند ذي الخصلة ثلاثة أقداح : الأمر و النهي و المترص . يأتي الناس إليه للإستقسام . و منه ما ورد في قصة امرئ القيس عندما طلب ثأر أبيه فلمستقسم عنده بالأزلام فخرج السهم بينها عن ذلك ، فقال في أرجوزة: " لو كنت يا ذا الخصلة الموتوراً مثلي و كان شيخك المقبور لم تته عن قتل العداة زورا . عن الأصنام لابن الكلبي ص 28 .

<sup>2</sup> . ابن الكلبي : الأصنام ص 28

<sup>3</sup> . الطبري : تاريخه ج2 ص172 . وابن الأثير : الكامل في التاريخ ج 2 ص 2 .

<sup>4</sup> . الوبيدي : تاج العروس ج 5 ص 142 مادة ريط

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و خلاصة القول أنّ الطقوس الدينية متعلّقة بالدين، فأغلب الديانات السامية أو غيرها و التي تعلقت بالأوثان قدّم معتقوها الهدايا لاسترضاء آلهتهم . وأهمّ طقوس الوثنيين العرب كان الدوار و الهدي على الأنصاب. و إذا تمعنا في ذلك اكتشفنا أنّ كلاهما من مخلفات الحرفية .

### المطلب الثالث : الشكّ في الآلهة عند العرب

تدهورت عبادة الأوثان بتأثير من بقايا ديانة إبراهيم حيث أن الإخبار بين ذكروا عددا من أصحاب العقل<sup>1</sup> و الضمير من رجال العرب الذين أخذوا ينظرون في الوجود و يتأملون في مصير الإنسان فتركوا عبادة الأصنام لأنها لم تعد ترضيهم . و انتهى الأمر ببعضهم مثل زيد بن عمرو بن نفيل إلى التألّه أي العودة إلى الله و ترك عبادة العزى و غيرها من الأصنام قبل مبعث الرسول (صلى) و في ذلك يقول :

تَرَكْتُ اللَّاتَ وَ الْعَزَى جَمِيعًا      كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجِدُّ الصَّرْبُورُ  
فَلَا الْعَزَى أَدِينُ وَ لَا ابْنَتَيْهَا      وَ لَا صَنَمِي بَنِي غَنَمِ أُرُورُ  
وَ لَا هُبْلًا أُرُورُ وَ كَانَ رَبًّا لَنَا      فِي الدَّهْرِ إِذْ حِلْمِي صَخَبِي<sup>2</sup>  
و كما قال أوس بن حجر يحلف بالللات و العزى و بالله الذي يراه أكبر و أجلّ :  
وَ بِاللَّلَاتِ وَالْعَزَى وَ مَنْ دَانَ دِينَهَا      وَ بِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ مِنْهُنَّ أَكْبَرُ<sup>3</sup>

<sup>1</sup> . من هؤلاء عدد من الحكماء مثل : قس بن ساعدة و حنظلة بن صفوان و عبد الله بن جحش و أمية بن أبي الصلت.

<sup>2</sup> . الأصنام ص 22

<sup>3</sup> . نفسه ص 17 .

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و من العقلاء من تنصر كعدي بن حاتم الذي ترك عبادة الفلّس ثمّ أسلم بعد البعثة. كما أنّ للبعثة دور كبير في تسلّل الشكك إلى قلوب بعض العرب ، و من ذلك قصة الصنم سعد التي ذكرها ابن الكلبي إذ قال: " أقبل رجل منهم (بنو بكر بن كنانة ) بإبل له ليقفلها عليه ، يتبرك بذلك فيها . فلما أدناها نفرت منه. و كان يهراق عليه الدماء ، فذهبت في كل وجه و تفرقت عليه ، و أسف فتناول حجرا فرماه به ، و قال: لا بارك الله فيك إلاها أنفرت عليّ إبلي . ثمّ خرج في طلبها حتّى جمعها و انصرف عنه و هو يقول :

أَتَيْنَا إِلَى سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا      فَشَتَّتْنَا سَعْدُ فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ

وَ هَلْ سَعْدٌ إِلَّا صَخْرَةٌ بِنُؤْفَةٍ      مِنَ الْأَرْضِ لَا يَدْعِي لِعِيٍّ وَلَا رَشْدٍ<sup>1</sup>

كما ذكر المؤرّخون في قصّة هدم الصنم "سواع"، أنّه كان (سواع) لبني سليم بن منصور فبينما هو عند الصنم ، إذ أقبل ثعلبان يشندان حتّى تسنّماه فبالا عليه فقال :

أَرَبُّ يَبُولُ الثُّعْلَبَانِ بِرَأْسِهِ      لَقَدْ ذُلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ<sup>2</sup>

و كذلك فعل سادن الصنم "نهم" و يسمى خزاعي بن عبد نهم من مزينة ثمّ من بني عدي ، عندما سمع بالنبيّ (صلع) ثار إلى الصنم فكسره و أنشأ يقول :

ذَهَبْتُ إِلَى نَهْمٍ لِأَذْبَحَ عِنْدَهُ      عَتِيرَةٌ نُرُوكِ كَالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ

فَقُلْتُ لِنَفْسِي حِينَ رَاجَعْتُ      عَقْلَهَا أَهَذَا إِلَهُ أَبْجَمٍ لَعِينٍ يَعْقِلُ ؟

<sup>1</sup> . ابن الكلبي : الأَصْنَامُ ص 37 و اللسان ج 3 ص 202 مادة سعد

<sup>2</sup> . ابن منظور : لسان العرب ج 1 ص 237 مادة ثعلب

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

أُنْبِتُ فِدْيِيهِ الْيَوْمَ دِينَ مُحَمَّدٍ إِلَهَ السَّمَاءِ الْمَاجِدِ الْمُتَقَضِّلِ<sup>1</sup>

كما كان مالك بن حارثة يحمل اللبن و يذهب به إلى الصنم "ود" ليسقيه غير أنه كان يبخل

على صنمه و يشربه هو سرًا.<sup>2</sup> و ظهر الشك في إيمان امرئ القيس بذي الخصلة عندما

ضرب الصنم بالقدح لأن النتيجة جاءت عكس ما اشتهى و قال الشاعر الأرجوزة التي

ذكرناها سابقا. و قد اتخذت بنو حنيفة إلهها من تمر و سمن و سويق فعبدوه دهرًا ثم

أصابتهم مجاعة فأكلوه، فعابرتهم العرب لذلك فقال شاعر ابن تميم :

أَكَلْتُ رَبَّهُ حَنِيفَةً مِنْ جُوعٍ قَدِيمٍ بِهَا وَ مِنْ إِغْوَارِ<sup>3</sup>

و قال آخر :

أَكَلْتُ حَنِيفَةً رَبَّهَا زَمَنَ التَّقْحُطِ وَ الْمَجَاعَةِ

لَمْ يَحْذَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ سُوءَ الْعَوَاقِبِ وَ التَّبَاعَةِ<sup>4</sup>

و من ذلك نستنتج أنّ العرب قبل الإسلام رغم أنهم كانوا ماديين لا يؤمنون بقوة إلهية غيبية

عظمية تتحكم في هذا الكون إلا أنهم اكتشفوا ضعف آلهتهم و عدم قدرتها على الدفاع عنهم

فقرروا الاستغناء عنها بعد صراع كبير. لأنهم كانوا يعتقدون أنّ دينهم هو إرث متعلق

بالآباء والأجداد و تغييره هو تسفيهه لأسلافهم . فللعوامل النفسية أثر كبير في المعتقد الديني

و تصور الناس لآلهتهم.

<sup>1</sup> . ياقوت الحموي : معجم بلدان ج 5 ص 327

<sup>2</sup> . الألويسي : بلوغ الإرب ج 2 ص 213

<sup>3</sup> . ابن قتيبة : المعارف ص 209

<sup>4</sup> . المصدر السابق ج 3 ص 71.



## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و نخلص إلى أن الوثنية كانت ديانة راسخة في جنوب شبه الجزيرة العربية أصلها عبادات لمظاهر الطبيعة. أما شمالا فهي مستمدة من ديانات وثنية كانت عند الأمم المجاورة لبلاد العرب كالكنعانيين و الآشوريين و الفراعنة و غيرهم. إضافة إلى تعلق العرب بحجارة الحرم، إلا أن هذه الحجارة كانت غير منحوتة و ما جاء به عمرو بن لحي تمت ال يشبه شكل الإنسان في أجمل صورة . فلشئت تعلق العربي بهذه الأوثان و حرص على تعظيمها ، ضنا منه أنها تقربه إلى الله زلفى. لقوله تعالى : " أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ " <sup>1</sup>. فغدى الحجر عندهم مقدسا ثم ارتقى فتحول إلى إله يعبد. و مما نشير إليه أن العربي غير من دينه الحنفي ، لكنه ظل محبا لرمزياته المقدسة كالطواف والحج و العمرة ، حتى أنه لما أتى بالصنم من الخارج رأيناه يودعه في الكعبة. يجعلنا ذلك أن نأخذ بالروايتين معا ، على أساس أن عمرو بن لحي استقدم التماثيل حتى يوافق هوى قومه من حبهم للأحجار خاصة إذا كانت مصورة و منحوتة.

<sup>1</sup>. سورة الزمر الآية 3.

المبحث الثاني: الصابئة في شعر ما قبل الإسلام

المطلب الأول: التعريف بالصابئة

صداً بمعنى مال: قال الشاعر:

إِلَى هِنْدٍ صَبَا قَلْبِي      وَ هِنْدٌ مِثْلَهَا يَصْبِي

و صبأت\* النجوم إذا طلعت. يقول ابن منظور: عن ابن إسحاق الزجاج قوله في الصابئين:

معناه الخارجون عن دين إلى دين<sup>1</sup> و يقول أبو حيان المفسر: الصابئون قيل لهم هم

الخارجون من دين مشهور إلى غيره . و لهذا كان المشركون ينبذون من أسلم بالصابئ، أي

أنه خرج من سائر الأديان و أديان أهل الأرض إذ ذلك.<sup>2</sup> و لهذه اللفظة ذكر في شعر سراقه

بن عوف بن الأحوص إذ يقول:<sup>3</sup>

وَ جِئْتَ بدينِ الصَّابِئِينَ تَشوْبُهُ      بِالوَّاحِ نَجْدٍ بَعْدَ عَهْدِكَ مِنْ عَهْدِ

وَ إِنَّ لَنَا دَارًا زَعَمْتَ وَ مَرْجِعًا      وَ نُمَّ إِيَابُ القَارِضِينَ وَ ذِي البُرْدِ

و الشَّاعر هنا ينعى المسلمين بالصابئين و يعاتب لبيد الشاعر بعد أن أرسله قومه إلى

الرسول (ص) ليرى خبره، فعاد لبيد مسلماً و مصاباً بالحمى في الوقت نفسه و عاد يذكر

البعث و الجنة و النار.

<sup>1</sup> . ابن منظور: لسان العرب ج 1 ص 108 مادة صباً.

\* وجدنا تفسيرات أخرى لأصل كلمة صابئة إلا أننا تعضينا عن ذكرها لبعدها عن الصحة.

<sup>2</sup> . ابن كثير: التفسير ج 1 ص 103.

<sup>3</sup> . الأصفهاني: الأغاني ، ج 17 ص 59.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و ورد لفظ الصابئة<sup>1</sup> في القرآن الكريم تارة بعد اليهود و النصرى في الآية 21 من سورة البقرة و تارة بعد اليهود و قبل النصرى في الآية 22 من سورة الحج، و الذي يُفهم من قوله تعالى: "إن الذين آمنوا و الذين هادوا و الصابئين و النصرى"<sup>2</sup> أنّ الصابئة جماعة لها دين خاص كاليهود و النصرى، حيث ذكر ابن كثير عن القرطبي: أنهم موحدون و يعتقدون تأثير النجوم و أنّها فاعلة.<sup>3</sup> و يتحدث محمد حسين هيكل عنهم فيقول: الصابئون من عبّاد النجوم كان لهم سلطان كبير في بلاد العرب، و قد كانوا لا يعبدون النجوم لذاتها.<sup>4</sup> فجوهر الدين الصابئي يقوم على التوحيد و تقديس قوانين الحياة و الخصب، ثم جعلوا من الكواكب و النجوم معبودات تتوسّط لهم عند الله رب الأرباب فعظّموها و قرّبوا لها القرابين لتتفعمهم. فلما رءوا الكواكب تختفي بالنهار وفي بعض أوقات الليل ، لما يعرض في الجوّ من السواتر، أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناما و تماثيل بعدد الكواكب المشهورة على أنّهم إذا عظّموا ما صوروا من الأصنام تحركت لهم الأجسام العلوية السبعة<sup>5</sup> بكل ما يريدون فبنوا لكل صنم بيتا و هيكلًا مفردًا.<sup>6</sup> و في ذلك يقول ابن عيشون

<sup>1</sup> . و قد قال أهل البرهان: قدم النصرى على الصابئين لأنهم أهل كتاب عكس الترتيب في سورة الحج لأنّ الصابئين مقدمة على النصرى بالزمان ، و راع في سورة المائدة المعنيين فقدّمهم في اللفظ و أخرهم في التقدير لأنّ تقديره : والصابئون كذلك.

<sup>2</sup> . سورة المائدة الآية 5.

<sup>3</sup> . ابن كثير: الكامل في التاريخ ج1، ص

<sup>4</sup> . محمد حسين هيكل: حياة محمد، مكتبة النهضة المصرية ط13، 1968، ص92.

<sup>5</sup> . الهياكل العلوية: و هي زحل ، المشتري ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر .

<sup>6</sup> . المسعودي : مروج الذهب و معادن الجواهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . دار الفكر بيروت ط5، 1973 ،

ج2 ص 247.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

القاضي الحراني و هو يذكر الصابئة و فرقههم\* و هياكلهم و أصنامهم:

إِنَّ نَفِيسَ الْعَجَائِبِ      بَيَّتْ لَهُمْ فِي سِرْدَابِ

تُعْبَدُ فِيهِ الْكَوَالِبُ      أَصْنَامُهُمْ خَلْفَ غَائِبِ<sup>1</sup>

و الوارد أنّ الصابئين كانوا عبدة لله و من ثمّ مالوا إلى عبادة النجوم و الكواكب<sup>2</sup>، التي كانت

تعتبر الوسيط بينهم و بين ربّهم ثمّ خرجوا عن دينهم لكي يتمكنوا من عبادتها في كلّ حين،

ولمّا طالت المدّة تركوا ذكر الكواكب و تجرّدوا لعبادة تلك التماثيل. فعبدوا الأصنام التي

تصوّروا أنّ الروح تحلّ بها بتعظيمها و دفع القرابين لها فتقربهم إلى إلههم الأعظم.

و مناضرة إبراهيم لأبيه و قومه في ما ورد في القرآن الكريم<sup>3</sup> تبين أنّ إبراهيم النبيّ جاء في

زمن قمة الفلسفة الدينيّة حيث قدّم نقدا حقيقيا للعبادات الكونيّة. مثل قوله تعالى: " فَلَمَّا رَأَى

الْقَمَرَ بَارِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُنْ لِمَ يَهْدِينِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ( 77 )

فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا

تُشْرِكُونَ " .<sup>4</sup>

\* نجد في كتاب أبقار الأفكار لسيف الدين الأمدّي ت 631 هـ دراسة لأشهر فرق الصابئة و هي أربعة يفصلها و يشرح أفكارها.

<sup>1</sup> . المرجع السابق ج2 ص 238

<sup>2</sup> . في تفسيرات الشهرستاني: الملل و النحل ج2 ص87 أنّ مذهب الصابئة يقوم على إقتفاء آثار الهياكل و حركات أفلاكها زمانا و مكانا و جواهر و هيئة و لباسا و بخورا و تتجيما و دعاء. و التقرب إلى هذه الهياكل يكون قريبا إلى ربّ الأرباب و مسبب الأسباب.

<sup>3</sup> . سورة الأنعام الآية 74. 83 و سورة الصافات الآية 95 و ما بعدها.

<sup>4</sup> . سورة الأنعام الآية 77، 78.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

ومن أهم أفكار عبدة الكواكب أنّ مصائر النَّاس كانت ثابتة منذ الولادة بفضل سيطرة النجوم

عليهم. كما أنّ المنجم المقتدر كان يستطيع أن يتنبأ لهم بالمستقبل عن طريق حسابه

لطوالعهم . و من أهم طقوسهم الاغتسال في الماء الجاري للطَّهارة من الأذناس و للتَّعميد .

و نشير إلى أنّ الباحثين<sup>1</sup> و علماء التاريخ إتَّفَقوا على أنّ الديانة الصابئية نشأت في القدس

و ما جاورها من حوض الأردن و الجزيرة العربية و بلاد الرافدين . و قد انتقل هؤلاء القوم

لأسباب إضطرارية إلى حرّان و إلى الشام و جنوب العراق قبل الميلاد . إلاّ أنّه تعرّذ علينا

إيجاد أخبار حول انتشار مذهب الصابئة في بلاد العرب و كيفية تحوّل هذه الديانة . و ربّما

القصص المنسوجة حول الكواكب والأجرام السماوية (سهيل، الثريا...) هي مخلفات معتقدات

كانت موجودة في بلاد العرب لصلة جزيّرتهم بالأمم المتاخمة لحدودها قديما. فمن المرجّح أن

يحدث انتقال فكري يتناسب مع طبيعة عقل العربي . بالإضافة إلى أنّ العرب اشتهروا

بمعرفتهم لأوقات مطالع النجوم و مغايبها و علم أنواع الكواكب و أمطارها على حسب ما

أدركوه بفرط العناية و طول التجربة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في أسباب المعيشة<sup>2</sup>.

فالاهتداء بالنجوم في أسفارهم و في تحديد الجهات لطبيعتهم الصحراوية المكشوفة إلى

النجوم جعلهم أعلم الأمم بالكواكب. كدليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم إذ يقول

تعالى: "وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> . أنظر: د.سناء أنس الوجود:رمز الماء في الأدب الجاهلي،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة، 2000 ص60

و عبد الرزاق الحسني: الصابئة قديما و حديثا. مكتبة الخانجي. مصر 1931 . ط1.

<sup>2</sup> . صاعد أحمد الطليلي : طبقات الأمم ، بيروت 1983، ص 45.

<sup>3</sup> . سورة النحل الآية 16.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و من حضارة معين و سبأ و النقوش الحميرية يأتينا الدليل على أن العرب عبدوا النجوم و الكواكب خاصة جنوب شبه الجزيرة. ففي سورة النمل نجد أن سكان اليمن السبئيين عبدوا الشمس التي كانت لها مكانة عظيمة. إذ يقول تعالى في قصة الهدد الذي جاء إلى سليمان بخبز عبادة بلقيس و قومها للشمس: " فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ( 22 ) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) ".<sup>1</sup>

كما عبدوا القمر الإله سين و الإلهة عنتر و هي الزهرة ابنة الشمس و القمر. و قد تصور العرب في أساطيرهم القديمة إمكانية تزواج الكواكب في السماء. فراح يتصور عالم السماء عالما أرضيا بحثا يعجّ بما تعجّ به الأرض من نشاط و حركة و تزواج و صراعات ، غير أنّ الملاحظ أنّ هذا العالم العلوي قد خلا من ظاهرة الموت و الفناء، و قد يرجع هذا لتأثرهم بأساطير الشعوب المجاورة كالبابليين و الكنعانيين لتشابه معتقداتهم. و لعلّ أسطورة الثريا مع الدبران توضّح شيئا من ذلك. حيث تصوّر العربي قديما أنّ القمر أراد أن يزوّج الثريا للدبران و حينما خطبها إليه أبت وولّت مدبرة و قالت للقمر: ما أصنع بهذا السبروت الذي لا مال له. فجمع الدبران قلاصه\* فهو يتجوّل بها ، و يتبعها حيثما توجّهت و يسوق صداقها قدامه و هي القلاص . غير أنّ العيوق و هي كوكب آخر مضيء يطلع قبل الجوزاء عاق

<sup>1</sup> .سورة النمل الآية 20. 25

\*.القلاص في اللغة صغر النوق، و هي مجموعة نجوم صغيرة قريبة من الدبران.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

الدبران عن لقاء الثريا فسمي بذلك، و إلى هذا يشير طفيل الغنوي في تشبيهه:

أَمَّا بَنَ طَوْقٍ فَقَدْ أُوفِيَ بِذِمَّتِهِ      لَمَّا وَفَى بِقُلَاصِ النَّجْمِ حَادِيهَا<sup>1</sup>

و من ذلك نلاحظ أنّ العربيّ قديما عمد إلى تشخيص و تجسيد آلهته السماوية ،فنسج حولها أساطير تعليلية لوصف أشكالها و حالاتها و مساراتها المتكررة . كما يظهر لنا أنّ لصفات

الكواكب المزعومة أثر في اشتقاق أسمائها، فالثريا مثلا زعموا أنّ في المطر عند نوئها

الثروة<sup>2</sup>، فليس بعيدا أن تكون مشتقة من الثراء. و اهتمامه بالنجوم قادها إلى عبادته، فعظمها

لصلتها بالمطر، فإذا هطل المطر كانوا يقولون: مطرنا بنوء هذا النجم الطالع، و إذا لم

يهطل المطر كانوا يقولون خوى نجم كذا، و كانوا يعتبرون نوء الدبران شؤما عليهم لقلّة مطره

أو لانعدامه. و ممّا قيل في طلوعه: " إذا طلعت الدبران توقدت الحرات و كرهت النيران

و استعرت الونان و يبست الغدران."<sup>3</sup> و بما أنّ لا نوء لبنات نعش\* عند طلوعها و سقوطها

فقد شبه الشاعر معشره بها عند هجائه لهم فقال:<sup>4</sup>

أُولَئِكَ مَعْشَرِي كَبَنَاتِ نَعْشٍ      خَوَالِفَ لَا تَنْوُءُ مَعَ النُّجُومِ

<sup>1</sup> . ابن منظور :لسان العرب ج7 ص 82. مادة دبر، دار صادر.

<sup>2</sup> . ففي العمدة لابن رشيق القيرواني: " سميت بهذا لأنّ مطرها عنه تكون الثروة و كثرة العدد و الغنى" ج2 ص 256 ،

<sup>3</sup> . أنظر القزويني: عجائب المخلوقات ص68. و الألويسي: بلوغ الأرب ج2 ص 237.

\* بنات نعش هي مجموعة نجوم صغيرة نسجت حولها أسطورة و هي: " أنّ الجدي قتل نعاشا فبناته تدور به تريدة عن الميدان: مجمع الأمثال ج2 ص 354.

<sup>4</sup> . سليم الحوت :الميثولوجيا عند العرب ، ص 86 و البيروني: الأنواء ص 242.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

فإيمان العرب بالأنواء دعاهم إلى الاعتقاد بأثر النجوم في تصرفاتهم و مصائرهم في

طلوعها و سقوطها، حيث يقول عبيد بن الأبرص في شعره:<sup>1</sup>

فَنَيْتُ وَ أَفْنَانِي الزَّمَانُ وَ أَصْبَحْتُ      لِذَاتِي بَنُو نَعَشٍ وَ زُهْرُ الْفَيَاقِقِ

و هذا ما يؤكد نظرية أنّ العرب عبدوا الكواكب ، فالنوء<sup>2</sup> من مخلفات اعتقاداتهم بالكواكب

المؤثرة في حياتهم إمّا سعدا أو نحسا كما جاء في قول عبيد بن الأبرص:<sup>3</sup>

وَ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ وَ لَيْلٌ كَاسِفَةٌ      وَ النَّجْمُ تَجْرِي أَنْحُسًا وَ سُعُودًا

### المطلب الثاني : إيمان العرب بالكواكب النيرة

ومن أبرز النجوم والكواكب التي حظيت بالعبادة عند العرب النيرة كالشمس و القمر

و الزهرة و الكواكب الثابتة كالثريا و الدبران و العيوق و سهيل و الشعريان و الجوزاء.

#### أ. الشمس:

كانت للشمس مكانة عظيمة عند عرب الجنوب فقدسوها و عبدوها<sup>4</sup>، فسميت عندهم بالإله

نكرح. و هي تعتبر مع الزهرة و القمر بمثابة الثالوث الكوكبي الإلهي الرئيسي عند العرب .

فهم لم يتعبدوا آلهة روحية لا يبصرونها بأعينهم فاتجهوا إلى هذه الأجرام المادية و الأحجار ،

و قد أشار الله تعالى إلى هذه العبادة بقوله: " وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا

<sup>1</sup> . عبيد بن الأبرص : الديوان ، ص 71 . أو لقول الحارث بن حلزة:

لَا يَزْنَجِي لِلْمَالِ يُهْلِكُهُ      سَعْدُ النُّجُومِ إِلَيْهِ كَالنَّحْسِ

<sup>2</sup> . ومن أمثالهم: " خطأ نوؤك". يضرب لمن طلب حاجته فلم يقدر عليها.

<sup>3</sup> . نفسه ص 69.

<sup>4</sup> . أشرنا في نفس المبحث لها ذكر في القرآن الكريم حول ملكة سبأ و سجودها و قومها للشمس في سورة النمل الآيات

20، 25.



## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ<sup>1</sup> .

و قد أطلق على إله الشمس تسميات أخرى كذات بعدان، المحرق، ذات حمم ، إذ تسمى بها العرب "كعبد شمس" و هي بطن من قريش. كما عبد التدمر بين الشمس حيث ورد في كتابات عثر عليها في "حوران" أسماء أشخاص مركبة من شمس و كلمة أخرى ، و يدل ذلك على شيوع عبادتها عند أهل تلك المنطقة.<sup>2</sup> كذلك سادت هذه العبادة عند الأنباط. و نخلص إلى أنّ نظرة العرب إلى ال شمس لم تختلف عن نظرة الأمم الأخرى إليها كالبابليين و المصريين حيث اعتبرها إحدى القوى الطبيعية المهمة و أعظم آلهتهم.

### ب . القمر:

لإله القمر أسماء متنوعة تختلف باختلاف المدن، فسمي في الأماكن الجنوبية كسبأ "المقة" ، حيث كان حرم بلقيس مخصصا لعبادة "إيل مقة" أي الإله مقة، و في أماكن أخرى سمي "بالمقة شهران" أو "المقة بعل" أو "ثور بعل" ، و كان يسمى عند المعينيين "ود" \* ، و عند القبتانيين "عم" و "كهلن" أي الكهل.<sup>3</sup> و له من الأسماء "سين" في حضر موت . كما عبدته حمير و اتخذته كلب بدومة الجندل و بنو عبد ودّ بنو عامر .<sup>4</sup> ففي تيماء شمال غرب شبه الجزيرة العربية وُجد شاهد قبر يرجع إلى أو اسط الألف الأولى قبل الميلاد و هو يمثل شخص المتوفى يقدم القرابين إلى إله القمر الثمودي. و بالتالي يمكن إستنتاج أنّ الثموديين

<sup>1</sup> .سورة فصلت: الآية 37.

<sup>2</sup> .جواد علي: المفصل ج6 ص 55.

\* .كنا قد تطرقنا بتفصيل للإله "ود" في الجزء المتعلق بالأصنام المعبودة عند العرب من الملحق.

<sup>3</sup> . عن فولس السواح: مغامرة العقل الأولى ص 505.

<sup>4</sup> . ابن الكلبي: كتاب الأصنام ،ص 10 و 55.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

قد سكنوا هذه المنطقة و استقروا بها و عبدوا القمر و الذي كان معبودا منتشرا آنذاك.<sup>1</sup> فقد ظل "المقة" نحو ألف عام كبير الآلهة في اليمن<sup>2</sup>. و من رموز القمر في شبه الجزيرة العربية صورة العجل مثلما كان عند الساميين و في مصر القديمة . و لعل ذلك راجع إلى أن شكل قرون الثور تذكرهم بالهلال.

و يبين إبراهيم عبد الرحمن أن للقمر مكانة في ديانة "عبادة الكواكب" بوصفه الإله الأب. فحاجتهم إليه تشبه حاجة الأبناء إلى آبائهم<sup>3</sup>. فهو رمز الخصوبة و القوة الجسدية عند كل الشعوب. حيث يُوصف الإله "ود" في رواية لابن الكلبي: " أنه رجل كأعظم ما يكون من الرجال قد دُبر أو دثر عليه حلتان، متّزر بحلّة و مرتد بأخرى. عليه سيف قد تقلّده و قد تتكّب قوسا، و بين يديه حربة فيها لواء و فضة (جعبة) فيها نبل" .<sup>4</sup> و هذا الوصف دلالة على رمزية "ود" و هي الرجولة فهو يمثّل إله الحرب. و من معتقدات العرب أن الجنين إذا وُلد في ليلة قمرًا تقلّصت غرلته ، فكان كالمختون الأقف. و كأنّ للقمر دور في إنقاص رجولة الأشخاص إذا ظهر هو، حيث قال امرؤ القيس في القيصر<sup>5</sup>:

إِنِّي حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ كَاذِبَةٍ      لَأَنْتَ أَقْلَفُ إِلَّا مَا جَنَى الْقَمَرُ

<sup>1</sup> . لطفی عبد الوهاب يحي: العرب في العصور القديمة ص136

<sup>2</sup> . أحمد كمال زكي: الأساطير ص76.

<sup>3</sup> . د. إبراهيم عبد الرحمان : الشعر الجاهلي ص41.

<sup>4</sup> . ابن الكلبي: الأصنام ص 56

<sup>5</sup> . امرؤ القيس : الديوان ،ق67 ص 280.

### ت . الزهرة<sup>1</sup>:

و هي نجم الصباح الصاطع. و قد اشتهرت عبادته عند الشعوب القديمة فأطلقت عليه تسميات مختلفة بلختالف الشعوب التي عبدته. فدعي عند الهنود "ممايا" و عند الفرس "مثيرا" و عند الفنيقيين "عشتروت" و الرومان و اليونان "فينوس"<sup>2</sup>. و اصطلح العرب على تسميته بالزهرة، فأقيمت له المعابد و نحتت له التماثيل ، بلعباره ثمرة زواج بين القمر و الشمس ليتشكّل بذلك الثالوث الإلهي، لذلك حظي بالاحتفالية الدينية والأسطورية عند العرب خاصة. إلا أنّ الدكتور محمد عجينة يرجّح أن تكون هذه العبادة قد وفدت على عرب الجزيرة من الحضارات المجاورة خاصة بلاد الفرس أو الهند<sup>3</sup>. و قد يكون العكس هو الصحيح بدليل أنّ البيئة الأصلية للحضارات السامية كانت جنوب شبه الجزيرة العربية و هو الرأي الراجح . و لما لا نحتمل أنّ هذه الشعوب انتقلت بأفكارها الدينية شمالا فطوّرتها وغيّرت من طقوسها. و كدليل مادي إذ عثر عدد من الباحثين في الآثار العربية الجنوبية على شاهد قبر امرأة معينة عليه صورة الميتة و رمز الزهرة في وضع توسلي لإنزال الويل على من يتجاسر على تغيير الحجر عن موضعه<sup>4</sup>. و ممّا قد يكون فيه دلالة على عبادة العرب للزهرة أنّ السبئيين

<sup>1</sup> . نسجت حول الزهراء أسطورة تقول أن الزهراء امرأة جميلة من أهل فارس و إنها خاصمت إلى الملكين هاروت و ماروت، فراوداها عن نفسها، فأبّت إلا أن يعلمهاها الكلام الذي إذا تكلم به يُعرج إلى السماء. فعلمهاها فتكلمت به فعرجت إلى السماء فمسخت كوكبا. انظر تفسير الطبري ج2 ص 429 و تفسير ابن كثير ج1 ص234 لمعرفة القصة كاملة.

<sup>2</sup> . بطرس البستاني: دائرة المعارف م9 ص 285.

<sup>3</sup> . د.محمج عجينة: موسوعة أساطير العرب ص224.

<sup>4</sup> . شوقي ضيف: العصر الجاهلي ص 85.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

القدماء كانوا يقدمون لكوكب الزهرة كثيرا من القرابين من أجل الإستسقاء<sup>1</sup>. ذكر عدد من المؤلفين و المؤرخين<sup>2</sup> السريانيين و اليونانيين من القرن الخامس و السادس الميلاديين أنّ بعض العرب المجاورين للشام و العراق كانوا يعبدون الزهرة عند ظهورها و كانوا يسمونها إذ ذاك العزى\*. فنولدكه يقول: " أنّ الشّاعر السوري إسحاق الأنطاكي الذي كان يعيش في أوائل القرن الخامس يذكر عبادة العزى عند العرب المعاصرين له و في بعض المواقف يحقّق أنّ العزى هي الزهرة venus".<sup>3</sup>

و الخلاصة أنّ العزى عند العرب مثلت امرأة حسناء في صورة الزهرة مثلما تمثلت في الإلهة عشتار عند البابليين و الكنعانيين. و بما أنّ أصل الوثنية هو اعتقاد و عبادة للكواكب السيّارة الآفلة، فأغلب الظنّ أنّ العزى هي صورة للزهرة إلهة الجمال و الحب عند كلّ الشّعوب، ثمّ تحوّلت العبادة عن أصلها الروحاني إلى المادي الملموس، فأصبحت صنما يُعبد.

<sup>1</sup> . أنظر: د.يتلف نيلسف: التاريخ العربي القديم ص 138 عن المطر في الشعر الجاهلي للدكتور أنور أبو سويلم، دار الجيل للنشر و التوزيع ط1. 1987. ص62.

<sup>2</sup> . مثل: إيفرمن سيرس (ت373م) و جرومي و تيودورسي و إيفاجنيس و نيلوس (ت410م) الذي حكى قصة القبيلة العربية البدوية التي كانت تهدي الذبائح في صورة متوحّشة إلى نجم الصباح تحت اسم العزى.

Emcyclopedia of religion et ethic « arabs »

عن الأساطير العربية قبل الإسلام للدكتور عبد المعين خان ص 139.

\* العزى: هي أعظم الأصنام عند قريش يتعبّدون عنده و ينحرونه و كان بالبيت شجيرات هي الاخرى.

<sup>3</sup> . نولدكه: تاريخ.

### المطلب الثالث : أساطير النجوم عند العرب

الكواكب الثابتة و هي الثريا و الدبران و العيوق و الشعريان و سهيل و الجوزاء. لقد اهتم العرب بهذه الكواكب أكثر من اهتمامهم بالكواكب السيارة و ذلك لاهتمامهم بمواقعها في متاهات الصحراء و لضرورة معرفة نوءها و تتبّع مساقط الغيث. يقول ابن سيده: " و إنما جاء حمدهم بعض الأنواء و ذمهم من قبل مواقع الأمطار التي تكون في أيامها ، فأَيّ كوكب جاء وقت نوءه\* ، فصادف المطر الذي يكون فيه من الزمان و من البلد موافقة و نجح فتبين خيره و نفعه، حمدوا ذلك النوء، و أضافوا حمده إلى الكواكب و نوهوا به، و إلاّ يكن ذلك ذمّوه، و سمّوا نوءه به، حتى كان الفعل في ذلك فعل الكواكب، و لمّا جربوا هذه الأمور في القديم، و طال إختبارهم لها فوجدوها ثابتة في مراتبها، ألزموا الكواكب ذلك".<sup>1</sup> فالإستسقاء بالنجوم من أهمّ معتقدات الجاهلين ، حيث نسبوا الأمطار و الرياح الى الطّالع من النجوم و الجذب لكواكب أخرى ، و هذا يعلّل أنّ الإيمان بالأنواء هو جزء من التراث الديني الجاهلي الذي كانت عبادة الكواكب فيه جزءاً أساسياً. لذلك جاء في الحديث الشريف: " ثلاث من أمور الجاهلية: الطّعن في الأنساب، و النياحة، و الاستسقاء بالأنواء".<sup>2</sup> و بسبب التحريم اختفى كثير من الشعر النوءي.

<sup>1</sup> . ابن سيده: الأنواء ص82 ضمن كتاب المخصص.

\*. النوء: ميل النجم للغروب أو سقوطه في المغرب مع الفجر و طلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق.

<sup>2</sup> . محمد السفاريني الحنبلي: " ثلاثيات مسند الإمام أحمد ، المكتب الإسلامي، دمشق 1380 هـ ، ج2 ص 933. و في صحيح المسلم كتاب الجنائز ص 644 قال النبي (صلم) أربع في أمّتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن ال فخر في الأحساب و الطعن في الأنساب و الاستسقاء بالنجوم و النياحة.

\*. ذكر الألويسي في بلوغ الإرب ج 2 ص240 أنّ الثريا كانت من معبودات طيء.

أ . الثريا\*:

زعم العرب أنّ في المطر عند نوئها الثروة<sup>1</sup> ، فليس بعيدا أن تكون مشتقة من الثراء.  
و في لسان العرب: " الثريا من الكواكب سميت لغزارة نوئها".<sup>2</sup> أمّا في العمدة لابن رشيق :  
" سُميت بهذا لأنّ مطرها عنه تكون الثروة و كثرة العدد و الغنى".<sup>3</sup> و يعرفونها بأنّها:  
" كوكبان على كاهل الثور نيّران في خلالهما ثلاثة كو اكب متقاربة كعنقود العنب" .<sup>4</sup>  
يقترن المطر بالثريا عند العبادي فيقول<sup>5</sup> :

يَجِيءُ بِمَا أَمَدَّتْهُ الثُّرَيَّا      مُعِيرًا أَمْرَهُ دَرَرَ الْجَنُوبِ

فالشاعر ينهج منهاجا إعتقاديا جاهليا إذ يظنّ أنّ الثريا ستمدّه بنوءها ،حيث أطلق عليها إسم  
النّجم و الذي ورد في أشعار كثيرة منها قول عبد المسيح بن عسلة الشيباني<sup>6</sup> :

لَصَحَوْتَ وَ النَّمْرِىُّ يَحْسَبُهَا      عَمُّ السِّمَاكِ وَ خَالَةُ النَّجْمِ

فالشاعر يرى أنّ حبيبته خالة للنّجم ، و في ذلك تصوير لجمالها.كما أنّ للثريا أخبار  
أسطورية تكشف علاقة ميثولوجية كانت قائمة في أذهان الجاهليين بين الثريا و غيرها من  
الكواكب. كخطبة الدبران لها غير أنّ العيوق عاق هذا الزواج فسّمى بالعيوق لأنّه يمنع لقاء

<sup>1</sup> . القزويني: عجائب المخلوقات ص68.

<sup>2</sup> . ابن منظور: لسان العرب مجلد 14 ص112 مادة ناء.

<sup>3</sup> . ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت ،  
ج 2 ص 256.

<sup>4</sup> . القزويني: عجائب المخلوقات ص68.

<sup>5</sup> . عدي بن زيد: الديوان ، ق 3 ص38.

<sup>6</sup> المفضل الضبي: المفضليات ق72، ص 279.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

الدبران بالثريا. و يقول بشير بن أبي حازم الأسدي يصف معاندة الثريا للدبران و مسانبتها من قبل العيوق<sup>1</sup>:

و عَانَدَتِ الثُّرَيَّا بَعْدَ هَذِهِ      مُعَانِدَةً لَهَا الْعَيْوُوقَ جَارَهُ

ب . الدبران:

سمي كذلك لأنه دبر الثريا أي جاء خلفها ، و هو النير الأحمر العظيم. الدبران هو النجم الذي عظّمته كنانة و قريش مع العزى و طائفة من تميم<sup>2</sup>. و يسمونه حادي النجم لأنه كان يتبع الثريا\*. فكانوا يخشون نوءه لأنهم يتوقعون معه سنة مجد بقه و لا بد أن عبادته كانت رهبة منه لنحسه، حيث قال كثير عزة<sup>3</sup> :

إِذَا دَبَّرَانُ مِنْكَ يَوْمًا لَقَيْتَهُ      أَوْمَلَّ أَنْ أَلْقَاكَ غُدْوًا بِأَسْعَدِ

كما ضرب العرب بالدبران مثلا في النكد والشؤم فقالوا: "أَنكَدُ مِنْ تَالِي النَّجْمِ"<sup>4</sup>. وقد ربط الأسود الأسود بن يعفر بين همومه و مصائبه و بين يوم مولده و ما فيه من أنواع خاصة نوء الدبران فقال<sup>5</sup>:

وُلِدْتُ بِحَادِي النَّجْمِ يَتْلُو قَرِينَهُ      وَ بِالْقَلْبِ قَلْبُ الْعَقْرِبِ الْمُتَوَقِّدِ

ج . العيوق:

<sup>1</sup> . بشر بن أبي حازم الأسدي: الديوان ، تحقيق عزة حسن ص 56.

<sup>2</sup> . الألويسي: بلوغ الارب ج2 ص239.

\* . وقد أوردنا سابقا قصة خطبة الدبران للثريا و سوقه لقلاصة(و هي مجموعة نجوم صغيرة حوالي 20 نجما) كمهر .

<sup>3</sup> . كثير عزة: الديوان ،جمعه و شرحه د.إحسان عباس ، نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت لبنان ، 1971، ص435.

<sup>4</sup> . أبو الفضل الميداني: مجمع الأمثلة ،ج2 ص354.

<sup>5</sup> . الأسود بن يعفر النهشلي (ت600م) الديوان . تحقيق نوري القيسي. بغداد 1970 ص 22.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

سمي العيوق لأنه عاق الدبران عن لقاء الثريا حسب الميثولوجيا العربية و هو عند الفلكيين كوكب أحمر لامع يطلع قبل الجوزاء، يبعد عن الأرض زهاء خمسين سنة ضوئية.

و العيوق زوجان من النجوم العملاقة التوائم يكادان يتشابهان في الحجم و الوزن و اللون. و يمضي كل منهما زهاء أشهر في الدوران حول الآخر.<sup>1</sup> وقد ورد العيوق في شعر أبي ذؤيب الهذلي مرتبطاً بالزمن، زمن ظهوره و لقاءه بالحبيبية، إذ يقول<sup>2</sup> :

بَأَطْيَبَ مِنْ مُقْبَلِهَا إِذَا مَا      دَنَا الْعَيْوُوقُ وَ اِكْتَنَّمَ النُّبُوحُ

و في موضع آخر يجعل الشاعر أبو ذؤيب ظهور النجم مرتبطاً بحمر الوحش. فزمن ورودهن الماء متعلق بزمن ظهور العيوق الذي يقعد فوق الثريا قعود الرقيب، فقال<sup>3</sup> :

فَوَرَدَنَّ وَ الْعَيْوُوقُ مَقْعَدَ رَابِي الضَّ      رَبَاءِ فَوْقَ النَّجْمِ لَا يَتَنَلَّعُ<sup>4</sup>

### د . سهيل:

في أخبار العرب أن سهيلاً كوكب يمانى ، حسب الديميري هو " نجم إذا وقعت عين الجمل عليه مات لساعة" .<sup>5</sup> وقد عبدته بعض طيء المعروفة أيضاً بعبادة الجمل . و من مزاعم العرب أن سهيلاً كان عشاراً على طريق اليمن ظلوماً فمسخه الله كوكباً .<sup>6</sup> فصلة سهيل

<sup>1</sup> . Cecilia payne gapeschkin. Stars in the making p 63

عن الدكتور نصرت عبد الرحمان: الواقع و الأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي. دار الفكر للنشر و التوزيع. الأردن 1985. ص 42.

<sup>2</sup> . ديوان الهذليين ج1 ص 70.

<sup>3</sup> . شرح أشعار الهذليين ج1 ص 19.

<sup>4</sup> . الرابئ : الذي يقعد خلف ضارب القداح. و الضرباء: جمع الضرب و هو لاعب الميسر. ولا يتنلّع: لا يتقدم.

<sup>5</sup> . ابن منظور: لسان العرب. مادة"سهيل". إذ لم نجد ما يبرر هذا المعتقد و ما علاقة الجمل و النجم سهيل

<sup>6</sup> . المرجع نفسه الصفحة نفسها.



## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

بعقائد العرب ربّما تتجلى من خلال تعشيرة التجار ، و هي وظيفة دينية تتمثل في أخذ العشر لفائدة الإله.<sup>1</sup> وقد نسج خيال العرب قصصا حول الشعري و سهيل و العلاقة التي تربطهما ومن ناحية ثانية بين الثريا و سهيل ، و في ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة نافيا صحّة هذه الأسطورة<sup>2</sup>:

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيَا سُهَيْلًا      عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَأْتَقِيَانِ  
هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ      وَ سُهَيْلٌ إِذَا اسْتَهَلَ يَمَانَ

هـ . الشعريان :

يشير القرآن الكريم إلى عبادة الشعري بقوله : " وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى " <sup>3</sup>. و الشعري هو ذلك النّجم الوقاد الذي يتبع الجوزاء ، يذكره الشنفرى في لاميته فيقول <sup>4</sup>:

وَ يَوْمٌ مِنَ الشَّعْرَى يَذُوبُ لُؤَابُهُ      أَفَاعِيهِ مِنْ رَمَضَائِهِ تَنَّمَلُ

و يبدو أنّ الشّاعر يذكر الشعري للتأكيد على الحرّ الشديد ، ثمّ يزيد في التصوير فيصف الأفاعي التي هي عادة متأقلمة مع هذا المناخ إلّا أنّها تتململ من شدّة الحرارة .  
و يطلق العرب اسم الشعريين على الشعري الشامية الغميصاء و قد سمّيت كذلك لصغرهما

<sup>1</sup> . أنظر ج.ريكمان:أديان العرب قبل الإسلام ضمن مجلة تاريخ الأديان ص 319 عن موسوعة أساطير العرب لمحمد عجيبة ص 220.

<sup>2</sup> . النويري: نهاية الأرب ج2 ص 64.

<sup>3</sup> . سورة النجم الآية 49.

<sup>4</sup> . الشنفرى : لامية العرب شرحه و درسه عبد الحليم حفني ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط1 ، 2008 ، ص30.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و قلة ضوئها و العبور على الشعري اليمانية. فقد عبدها العرب القدامى لما انفردت به عن سائر الكواكب بصفقتها تعبر السماء عرضا، و لم يعبرها عرضا غيرها<sup>1</sup>.

و تزعم العرب في أخبارها أنّ الشعريين أختا سهيل. حيث كانت ثلاثتهم مجتمعة، ف انحدر سهيل فصار يمانيا و تبعته الشعري اليمانية عابرة المجرة، و بذلك سميت عبورا. و هي ترى إذا طلع سهيلا و كأنها تستعر<sup>2</sup>. أما الغميصاء فإنّها أقامت مكانها و بكت على أثر عبور أختها و راء سهيل فغمصت عيناها، و ذلك لأنّها أخفى و أقلّ نورا من الأخرى.

و الشعريان من معبودات بنو قيس عيلان و لحم و خزاعة التي سنّ لها أبو كبشة<sup>3</sup>، و هو أحد أشرافها عبادة هذا الكوكب. كما عبدتها حمير و قريش<sup>4</sup>.

### و . الجوزاء:

نجم يقال أنّه يعترض في جوزاء السماء و جوز الشّيء وسطه. و من ذلك تخيلت العرب أنّ إطلاق إسم الجوزاء على أولادهم سيمنحهم إعتراض لجوز المجد<sup>5</sup>. و الجوزاء من الكواكب اليمانية و قد يسمونها الجبار محاكاة لصورة ملك ذي خيلاء يجلس على كرسي العرش<sup>6</sup>. و في شعر النابغة تتكشف لوحة الصّيد عن أثر تخيلي فائق لفعل الجوزاء حيث يقول:

كَأَنَّ رَحْلِي وَ قَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا      بِذِي الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنَسٍ وَخِدِ

<sup>1</sup> . ابن منظور: لسان العرب مادة "شعري" مجلد 4 ص 417.

<sup>2</sup> . المصدر نفسه.

<sup>3</sup> . و هو جز بن غال بن عامر بن الحارث بن غبشان الخزاعي .

<sup>4</sup> . لسان العرب مادة شعري.

<sup>5</sup> . أنظر لسان العرب مادة "جوز".

<sup>6</sup> . الدينوري: الأنواء ص 45.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُوشِيٍّ أَكَارِعُهُ      طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّرِيحِ الْفَرْدِ

سَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوَازِ سَارِيَةٌ      تَزْجِي الشَّمَّ - أَلْ عَلَيْهِ جَامِدُ الْبَرْدِ<sup>1</sup>

و حول الجوزاء نسجت أسطورة حيث تقول أنّ سهيلا ركض خلف الجوزاء فركلته برجلها فطرحته حيث هو، و ضربها هو بالسيف فقطع وسطها<sup>2</sup>. و ذلك لأنّ الجوزاء تظهر و كأنّها منقسمة إلى شطرين. و نخلص إلى أنّ قصص الكواكب و النجوم ماهي إلاّ أساطير تعليلية لأوصاف و مواضع النجوم. فتفكير العربي البدائي و تعلقه الشديد بالسماء جعله يسقط عالمه الأرضي عليها، وذلك نتاج لغرائز غامضة هي الخوف و العجب و الخضوع و ابتغاء استرضاء هذه القوى العجيبة لذلك قام بطقوس عدّة منها التعبّد أو الذبح أو التمثيل. فللهيان العرب كانت م تعدّدة بمجاورتهم لأهل الملل و الانتقال إلى البلدان و الانتجاعات<sup>3</sup>. إضافة إلى أنّ أهل اليمن عبدوا النجوم كالشمس و القمر و الزهرة ثمّ جسدوها في هياكل ثم طوروها فأصبحت عبارة عن تماثيل مختلفة الأشكال. فقد أثبتت الحفريات أنّه وجدت معابد منها حرم بلقيس، فيها تماثيل ترمز للأجرام السماوية المعبودة، و هذا من ديانة الصابئة .

<sup>1</sup> . النابغة الذبياني: الديوان القصيدة 1 ص 18.

<sup>2</sup> . لسان العرب مادة جوز .

<sup>3</sup> - أنظر اليعقوبي : تاريخه ج 1 ص 210 ، و الشهرستاني : الملل و النحل مجلد 2 ج 3

المبحث الثالث : الجنّ و الملائكة في الشعر الجاهلي

المطلب الأول : اعتقاد العرب بالأرواح و طقوس اتّقاءها

إنّ المتأمل في أفكار الجاهليين و معتقداتهم يجد أنّ العربي آمن بقوى خفية و نسب إليها قدرات خارقة تفوق قدرة البشر، و سلّم بسيطرتها على قوى الطبيعة. فمارسوا طقوسا و شعائر محاولين التقرب منها و استرضائها و استمالتها إليه لردّ شرّها و أذاها عنه. و قد ورد أنّ قريشا عبدت الملائكة بدعوى أنّها بنات الله، إذ زعموا أنّ الله تزوّج بنات سراة الجنّ<sup>1</sup> وولد منهن الملائكة<sup>2</sup>. فالملائكة هم أرواح في نظر أهل الجاهلية فتعبّد لها بعضهم كما يفهم من الآية: " وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ " <sup>3</sup> إلا أنّ الجاهليين لم يكونوا يعرفون شيئا عن الملائكة سوى أنّها أرواح نورانية وهي من نسل الله سبحانه و تعالى و ما وصلهم من أخبارها إلا ما بقي من أخبار الديانات السماوية الحنيفية و اليهودية و النصرانية. كقول أمية بن أبي الصلت مشيرا إلى الملائكة و قد كان على دين الحنيفية: <sup>4</sup>

فَكَانَ بَرَقَ وَ الْمَلَائِكُ حَوْلَهَا      سَدِرٌ تَوَاكُلُهُ الْقَوَائِمُ أَجْرَدُ<sup>5</sup>

<sup>1</sup> . خير دليل على ذلك الاعتقاد ما جاء في القرآن الكريم لقوله تعالى في سورة الصافات الآية 158: "وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ".

<sup>2</sup> . و في شعب الإيمان عن مجاهد قال : قال كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم، قالوا بنات سراة الجنّ. و لقد رد الله عليهم بقوله: " ألا إنّهم من إفكهم ليقولون ولد الله و إنهم لكاذبون". أنظر أديان العرب في الجاهلية لنعمان الجارم ص 126.

<sup>3</sup> . سورة سبأ الآية 40 و ما بعدها.

<sup>4</sup> . أمية بن أبي الصلت: الديوان، ص 53.

<sup>5</sup> . برفع: إسم السماء الدنيا، و قيل إسم للسماء السابعة. سدر: بحر شبّه السماء بالبحر لملاستها.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و أنشد أبو عبيدة لرجل جاهلي من عبد قيس:<sup>1</sup>

فَلَسْتُ لِإِنْسِيٍّ وَ لَكُنْ لِمَلَائِكٍ      تَنْزِلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ

أمّ الجنّ<sup>2</sup> فكان في إعتقاد الجاهليين أنّها أرواحا خبيثة مؤذية لذلك كانت تبعث الفرع

و الخوف في نفوسهم. ممّا دفعهم إلى زعم أنّهم يسمعون أصواتا غريبة نسبوها إلى تلك

الكائنات، و سمّي هذا الصوت بالعزيف<sup>3</sup>. و في حديث ابن عباس رضي الله عنه : " كانت

الجنّ تعزف اللّيل كلّه بين الصفا و المروة".<sup>4</sup> فالوهم هو الأساس في هذا الإعتقاد. و لعلّ

الذي خيّل إليهم ذلك راجع لأصوات و صدى الريح المتناوحة و الرعود القاصفة و أصوات

الوحوش الضارية في ببداء قاحلة. و قد سجّل الشعراء ذلك في أشعارهم فهاهو عبيد بن

الأبرص يقول:<sup>5</sup>

قَلْبِي لَهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا عَوَازِفًا      عِرَارًا زِمَارًا مِنْ غَيَاهِبِ آجَالٍ<sup>6</sup>

<sup>1</sup> . ابن منظور: لسان العرب ج 10 ص 496. و معنى الملاك الرسالة.

<sup>2</sup> . تدور الدلالة اللغوية المحورية للفعل "جنّ" حول معنى التستر و الإختفاء، نقول جنّ الشيء يجنّنه جنّنا: ستره، و به سُمّي الجنّ لاستتارهم و إختفائهم عن الأبصار، و منه سُمّي الجنين لإستتاره في بطن أمّه.

و الجنّ ولد الجانّ و هم نوع من العالم سمّوا بذلك لإختفائهم عن الأبصار. و لأنّهم استجُنُّوا فلا يُروْن، و الجانّ: أبو الجنّ، خلق من نار ثمّ خلق منه نسله، و الجانّ: ضرب من الحيّاة. عن ابن منظور لسان العرب مادة جن ج 13 ص 93.

<sup>3</sup> . العزيف في اللغة صوت الرمل إذا هبّت بها الرياح، و عزف الرياح أصواتها.

<sup>4</sup> . صحيح البخاري ج 3 ص 176.

<sup>5</sup> . عبيد الأبرص : ديوانه ص 117.

<sup>6</sup> . العرار:صياح الظليم. الزمار: صوت النعام. و الغياهيب: واحدها غيهب يريد النعام السود. الآجال: واحدها إجل و هو القطيع من البقر و الظبأ.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و يرد عزيف الجن في قول نابغة بني شيبان مقرونا بالصحراء و الليل<sup>1</sup>:

كَأَنَّ أَصْدَاءَهَا وَ اللَّيْلُ كَارِبُهَا      أَصْوَاتُ قَوْمٍ إِذَا مَا أَظْلَمُوا هَتَفُوا

يَسْمَعُ فِيهَا الَّذِي يَجْتَابُ قَفْرَتَهَا      أَصْوَاتُ جِنٍّ إِذَا مَا أَعْتَمُوا عَزَفُوا

و يعبر عنتره عن نوع آخر من أصوات الجنّ و هو "الهمام و الدمام" و هي أصوات

مسموعة و غير واضحة أو مفهومة<sup>2</sup> ، فيقول<sup>3</sup>:

وَ الْجِنُّ تَفْرُقُ حَوْلَ غَابَاتِ الْفَلَآ      بِهِمَا هِمَّ وَ دَمَامٍ لَمْ تُعْفَلِ

أَمَا الْأَعْشَى فَيَطْلُقُ عَلَى صَوْتِ الْجِنِّ الرَّجْلَ وَ هُوَ نَوْعٌ مِنَ الطَّرْبِ فَيَقُولُ<sup>4</sup>:

وَ بَلَدَةٍ مِثْلَ ظَهْرِ التُّرْسِ مُوحِشَةٍ      لِلْجِنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا رَجُلٌ

كما اعتقد العرب أنّ الجنّ تسكن المواضع الموحشة و الأماكن المقفرة ، مثل "بيرين" و كانت

في الأصل مواضع عاد فلما هلكت سكنتها قبائل الجنّ . و هذا ما يدلّ على أنّهم كانوا

يعتقدون أنّ المواضع التي تصيبها الكوارث تكون بعد هلاك أصحابها موطنًا للجنّ . و من

أشهر الأماكن المذكورة في أشعار الجاهليين "وبار"<sup>5</sup> و جنة "بقار"<sup>6</sup> ، يقول الجاحظ عن تلك

تلك الأرض الأسطورية : " تزعم الأعراب أنّ الله عزّ ذكره حين أهلك الأمة التي كانت

<sup>1</sup> . نابغة بني شيبان: ديوانه، شرح و تقديم عبد الله بن مخارق بن سليم دار الكتاب العربي بيروت 1995. ص 119.

<sup>2</sup> . أنظر ابن منظور : لسان العرب، مادة همهم و دمدم.

<sup>3</sup> . عنتره بن شداد: ديوانه ص 134.

<sup>4</sup> . الأعشى: ديوانه ص 146.

<sup>5</sup> . وبار: بلاد من أخصب بلاد العرب و أكثرها شجرا و أطيبها ثمرا فإذا دنا الإنسان من تلك البلاد متعمدا أو غالطا حتّوا

في وجهه التراب، فإن أبى الرجوع خبلوه و ربما قتلوه. و يقول الجاحظ: " إنّ الأعراب يذكرون أنّ أرض وبار ليس فيها إلاّ

الجنّ و الإبل الوحشية التي ضربت فيها فحول إبل الجنّ ". أنظر الحيوان ج 704 ص 462.

<sup>6</sup> . البقار: واد أو رملة أو جبل كانت العرب تزعم أنّه كثير الجنّ.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

تسمى "وبار" كما أهلك طسما و جديسا و أميما و جاسما و عملاقا و ثمودا و عاد، أنّ الجنّ سلّفت في منازلها و حمتها. و قال شاعر:

وداع دَعا و اللّيلِ مُرَخِ سُدُولُهُ      رَجاء القرى يا مسلمَ بنِ حِمَارِ  
دَعا جُعلًا لا يهتدي لِمَقْبَلِهِ      مِنَ اللُّؤمِ حَتَّى يُهْتَدِيَ لَوِبَارِ<sup>1</sup>

فهذا الشاعر الأعرابي جعل أرض وبار مثلا في الضلال و المكان الذي لا يمكن الإهتداء إليه. و قد ذكر النابغة الذبياني البقار في شعره مادحا بني أسد فقال<sup>2</sup>:

وَ بَنُو قَعِينٍ لَا مَحَالَـةَ أَنَّهُمْ      آتَوْكَ غَيْرَ مُقْلَمِي الأَظْفَارِ  
سَهَكِينَ مِنْ صَدَا الحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ      تَحْتَ السِّنُّورِ جِنَّةُ البِقَارِ

فبنو قعين و هم حي من بني أسد جاءوا مدججين بالسلاح، أي أنّهم يقصدون الحرب و تفوح منهم رائحة كريهة من طول لبسهم الحديد و هم على

منهم رائحة كريهة من طول لبسهم الحديد و هم على

كما ذكر الشعراء جنة عبقر<sup>4</sup>، و منه جاء في شعر زهير بن أبي سلمى<sup>5</sup>:

بِحَيْلٍ عَلَيْهِـا جِنَّةُ عَبْقَرِيَّةٍ      جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَرَالُوا فَيَسْتَعْلُوا

<sup>1</sup> . الجاحظ: الحيوان ج 6 ص 216.

<sup>2</sup> . النابغة الذبياني: ديوانه ص 60.

<sup>3</sup> . أنظر يوسف حلوي: الأسطورة في الشعر العربي، دار الحداثة، لبنان ط 1، 1992 ص 75.

<sup>4</sup> . عبقر: قرية يسكنها الجنّ ، ذكر بعضهم أنّها باليمن أو باليمامة. و فيما زعموا أنّهم كلما رأوا شيئا خارقا غريبا ممّا يصعب عمله نسبوه إليها ، و لهذا قالوا: العبقرى للسيد الكامل من كل شيء و للذكي الممتاز. أنظر تاج العروس ج 3 ص 379 مادة عبقر.

<sup>5</sup> . زهير بن أبي سلمى: ديوانه ،ص 48.

و في شعر لبيد<sup>1</sup>:

وَ مَنْ فَادَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ وَ بَنِيهِمْ كُهُولٌ وَ شُبَّانٌ كَجِنَّةِ عَبْقَرٍ

كما قال حاتم الطائي<sup>2</sup>:

عَلَيْهِنَّ فَنِيَانٌ كَجِنَّةِ عَبْقَرٍ يَهْرُونَ بِالْأَيْدِيِ الْوَشِيحِ الْمُقَوِّمِ

ولمّا كانت العرب تخاف المواضع الموحشة و الأماكن القفرة التي لا تطرق إلا نادرا، لذلك

كانوا يستجيرون بكبير الجنّ ليسلموا أذاهم. و روي عن الألويسي: " أنّ الرّجل منهم كان إذا

ركب مفازة و خاف على نفسه من طوارق الليل عمد إلى واد غير شجر فأناخ راحلته

في قرارته و هي القاع المستديرة و عقّلاها و خطّ عليها خطا ثمّ قال: أعوذ بصاحب هذا

الوادي، و ربّما قال بعظيم هذا الوادي".<sup>3</sup> في ذلك قال أحد الشعراء<sup>4</sup>:

قَدْ بَتُّ ضَيْفًا لِعَظِيمِ الْوَادِي الْمَانِعِي مِنْ سَطْوَةِ الْأَعَادِي

رَاحِلَتِي فِي جَارِهِ وَ رَادِي

و إلى هذا المعتقد أشير في القرآن الكريم، لقوله تعالى: " وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ

بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ".<sup>5</sup> و قد استعاذ رجل منهم و معه ولده، فأكله الأسد فقال:<sup>6</sup>

قَدْ اسْتَعَدَّنَا بِعَظِيمِ الْوَادِي مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعَادِي

<sup>1</sup> . لبيد بن ربيعة : الديوان ، دار صادر بيروت ، ص 70 ، و ابن منظور: لسان العرب ج 4 ص 534.

<sup>2</sup> . الجاحظ: الحيوان (7. 4) ص 453.

<sup>3</sup> . بلوغ الإرب ج 2 ص 325.

<sup>4</sup> . نفسه ج 2 ص 326.

<sup>5</sup> . سورة الجن الآية 6.

<sup>6</sup> . المرجع السابق ج 2 ص 326.



## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

فَلَمْ يُجِرْنَا مِنْ هَزْبِ عَادِي

فالإنسان بطبعه يخاف الأرواح الشريرة إذ بإمكانها إلحاق الضرر والأذى به لذلك نجده نسج حولها أساطير و خرافات ، وقام بطقوس خشية منها متوددا لا حُبًّا لها و لا تقربا إليها ، إنما تملقا و تزلفا لإبعاد شرّها. فمثلا فكرة الجنون من عمل الجنّ هي عقيدة قديمة وجد عند غير العرب كالفرس<sup>1</sup> و العبرانيين و العرب تزعم أنّ الطاعون<sup>2</sup> من فعل الجنّ ، و يسمّون الطاعون رماح الجنّ، قال الأسيدي للحارث الملك الغساني:<sup>3</sup>

لَعَمْرِكَ مَا خَشِيتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ بَنِي مُقَيْدَةَ الْحِمَارِ  
وَ لَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ الْجِنِّ أَوْ إِيَّاكَ حَارِ

و من الطقوس التي مارسها الجاهليون و كان لها علاقة بالجنّ أنّهم كانوا إذا دخل أحدهم قرية و خاف الطاعون أخذ يعشّر<sup>4</sup> كما يعشّر الحمار في نهيقه ثم دخلها و لم يصبه شيء.<sup>5</sup> و قد يكون سبب التعشير كون الحمار ينهق إذا رأى شيطانا، بدليل ما روى عن النبيّ عليه السلام: " إذا سمعتم نهيق الحمار ، فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنّها رأت

<sup>1</sup> . الفرس يطلقون على المجنون لفظة ديوانه (devana) أي الذي به ديو (dev) من الأصل ديوه (daiva) و معناه الجان (demon) و من هذه الفكرة دخلت في العهد الجديد من الكتاب المقدس. عن تولدكه: موسوعة الأديان، عن جواد علي: المفضل ج 6 ص 724 Ency.relig.l.p 670

<sup>2</sup> . الطاعون مشتقة من طعن الجن.

<sup>3</sup> . الألويسي: بلوغ الإرب، ج 2 ص 350.

<sup>4</sup> . و في التعشير قال عروة بن الورد:

نُهَاقَ الْحَمِيرِ إِنِّي لَجُرُوعُ

لَعَمْرِي لئنُ عَشَّرْتُ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدى

عن الشعر و الشعراء لابن قتيبة ج 2 ص 676.

<sup>5</sup> . الجاحظ: الحيوان ج 6 ص 358.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

شيطانا"<sup>1</sup>.و التعشير هي طقوس تنسب إلى اليهود فقد سنّوا عادة النهيق عند دخول خيبر لتفادي مرض سمّي بحمى خيبر. كما استخدم الجاهليون لوقايتهم من أذى الجنّ تقديم الهدايا، فإذا طالت علّة المريض ظنّوا أنّ به مسّاً من الجنّ ، فجمعوا ما لذّ و طاب و وضعوه على جمل و قدّموه للجنّ لاسترضاءها. في ذلك قال بعض الشعراء:<sup>2</sup>

قَالُوا وَ قَدْ طَالَ عَنَائِي وَ السَّقَمَ      أَحْمِلُ إِلَى الْجِنِّ جَمَالَاتٍ وَضَمَّ

و يقول آخر:<sup>3</sup>

أَلَا إِنَّ جِنَانَ الثُّؤِيرَةِ أَصْبَحُوا      وَ هُمْ بَيْنَ غَضَبَانِ عَلَيَّ وَ آسِفِ

حَمَلْتُ وَ لَمْ أَقْبَلْ إِلَيْهِمْ حَمَالَةً      تُسَكِّنُ عَن قَلْبٍ مِّنَ السَّقَمِ تَالِفِ<sup>4</sup>

و نستنتج من ذلك أنّهم نظروا إلى هذه الكائنات على أنّها ذات قدرات خارقة و كثيرا ما تستخدمها لإلحاق الأذى ببني البشر، و منها ما تلحقه بهم من الأمراض . ممّا دفعهم إلى استرضاءها و تقديم الهدايا لها، فإن لم يُشفى فهذا دليل على عدم قبول الجنّ لهذه الأعطيات، كقول شاعر:<sup>5</sup>

فَيَا لَيْتَ أَنَّ الْجِنَّ جَارُوا جَمَالَتِي      وَ رُحِزَ عَنِّي مَا عَنَائِي مِّنَ السَّقَمِ

<sup>1</sup> . البخاري: صحيحه ج 4 ص 155.

<sup>2</sup> . الألويسي: بلوغ الإرب ج 2 ص 359.

<sup>3</sup> . المصدر نفسه.

<sup>4</sup> . الثؤيرة: البور و هي الأرض التي لم تزرع. المؤلف : الهالك.

<sup>5</sup> . المصدر نفسه.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و قد نتبين من طقوس العرب في ذبح العتيرة أن عبادتهم للأصنام لم تكن لذاتها و إنما لأنهم يظنون أرواحا تحلّ فيها<sup>1</sup>. فعبدوا اللات و العزى و مناة و كانوا يظنون أن في كلّ واحدة منهم شيطانة تكلمهم و تتراءى للسدنة. و الدليل على ذلك الأسطورة التي ذكرها بعض المؤرخين<sup>2</sup> و هي قصة خالد بن الوليد و هدمه للعزى و كيف أن شيطانة خرجت من الشجرات الثلاث في شكل امرأة سوداء ناشرة شعرها و ما جرى بين خالد و السادن من حوار و خطاب.

و كان الرجل في الجاهلية إذا اطّرف دارا ذبح فيها ذبيحة، يتقي بها أذى الجنّ، لإعتقادهم أن في كل دار جنّا يقيمون بها . و لقرضيتهم و للتقرب إليهم يذبحون ذبيحة عرفت عندهم بذبائح الجن.<sup>3</sup> و لا يزال الناس تذبح ذبيحة عند الإبتداء ببناء دار و عند الإنتقال إليها ، و يذبحون عند إستخراجهم عينا مخافة أن تصيبهم الجنّ. و قد نهى النبيّ عن ذبائح الجنّ. كما رسخ في آذهانهم أن الشيطان أساس المرض فلجّ ووا إلى الكهنة الذين اعتمدوا على الرقى أكثر من اعتمادهم على العقاقير، منه قول الشاعر:<sup>4</sup>

فَلَوْ أَنَّ عِنْدِي جَارَتَيْنِ وَ رَاقِيًا  
وَ عَلَّقَ أَنْجَاسًا عَلَيَّ الْمُعَلَّقُ

<sup>1</sup>. توهم العرب أن الأصنام تتكلم من خلال ما فيها من شياطين و الدليل قولهم أنهم كانوا يسمعون من أجواف الأصنام همهمة، و الهمهمة صوت الشياطين.

<sup>2</sup>. ابن الكلبي: الأصنام ص 25. الأزرقى: أخبار مكة ج 1 ص 126.

<sup>3</sup>. ابن منظور: لسان العرب ج 13 ص 213 مادة سكن.

<sup>4</sup>. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت ط 3، 2008، ج 15 ص 79.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

فالعرب اعتقدت أن بتعليق الأقدار كخرقة الحيض و عظام الموتى يُشفى المريض<sup>1</sup>.  
و اعتقدوا أن الأشجار مسكونة بالجنّ و الملائكة لذلك حرّموا قطع أغصانها، و كانوا  
يحجّون إلى بعضها و يتقربون منها بالضحايا و يعلّقون على أغصانها اللحم و الخبز  
و يعتقدون بقدرتها على شفائهم من الأمراض.<sup>2</sup> و ربّما نبعت هذه الفكرة من تسلّق الحيات  
لبعض الأشجار.<sup>3</sup> و الأفاعي هي رمز للجنّ و الشرّ لما تملكه من قدرات خارقة.  
ومن أساطير التوراة أن الشيطان تمثّل لآدم في صورة حية ليغريه باقتراف الإثم و الخطيئة.  
أمّا العرب فزعموا أيضا " أن الجنّ تركب الثيران ، و تصدّها عن الماء حتّى تمسك البقر  
عن الشرب فتهلك ، لذلك يضربون الثور إذا امتنعت البقر عن الشرب كي تهرب الجنّ  
و يشرب فتلقه البقر"<sup>4</sup>، و في ذلك يقول الأعشى:<sup>5</sup>

لَكَالْثَوْرِ وَ الْجِنِّي يَرْكَبُ ظَهْرَهُ      وَ مَا ذَنْبُهُ إِنْ عَافَتْ الْمَاءَ مَشْرَبًا  
وَ مَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ بَاقِرًا      وَ مَا إِنْ تَعَافَ الْمَاءُ إِلَّا لِيُضْرَبَا

<sup>1</sup> . و قد قالت إمراة و قد نجّست ولدها فلم ينفعه ذلك و مات:

نَجَسْتُهُ لَا يَنْفَعُ النَّجِيسُ      وَ الْمَوْتُ لَا تَفُوتُهُ النَّفُوسُ

<sup>2</sup> . سليم الحوت: في طريق الميثولوجيا عند العرب ص 111.

<sup>3</sup> . عدّ العرب الحية فصيلة من فصائل الجنّ. وفي أسطورة جاء ذكر للجنّ و علاقتها بالحيات: "لما قام حرب بن أمية (جد معاوية بن أبي سفيان) مع مرداس بن أبي عمرو بإصلاح القرية و هي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام فأضرم النار في الغيضة، فلما استطارت و علا لهيبها سمعا من الغيضة أنينا و ضجيجا كبيرا، ثمّ ظهرت منها حيات بيض تطير حتّى قطعتها و خرجت منها، فما لبث أن مات الرجلان، أماتهما الجنّ". على ما يزعمه رواية هذا الخبر. عن الحيوان ج 2 ص 143. و تعتبر هذه القصة من الأساطير التي نسجتها مخيلة العرب قديما لرهبتهم من الأفاعي و الجنّ بصفة عامة.

<sup>4</sup> . الحيوان ج 1 ص 160.

<sup>5</sup> . النويري: نهاية الإرب ج 3 ص 123. الأعشى: ديوانه الكبير ،دار صادر بيروت ، ص 115 .

المطلب الثاني: مراكب الجنّ و طعامهم و مراتبهم

كما اعتقد بعض العرب أنّ الجنّ تركب أنواعا كثيرة من الحيوانات و الطيور و الزواحف و عرفت كلّ هذه بمطايا الجنّ. و يخصّ الجاحظ الأعراب بهذا المعتقد فيقول: " و الأعراب لا يصيدون يربوعا و لا قنفذا و لا ورا من أول الليل و كذلك كل شيء يكون عندهم من مطايا الجنّ كالنعامة و الظباء<sup>1</sup>. و لم يستثنوا منها سوى الأرناب لحيضها و الضباع لقذارتها و القردة لزنيتها"<sup>2</sup>. و يعتبر الظليم مع النعامة من مراكب الجنّ. و قد حدّث رجل قال: " لقيت رجلا في بعض المفاز راكبا على نعامة و عيناه مشقوقتان بطول وجهه، فأخذتني منه روعة، ثمّ استوقفته فقلت له: " أتروي شيئا من الشعر؟ قال: نعم و أقرضه و أنشدني:

أَتَارِكَةٌ تَحِيَّتُهَا قِطَامٌ      وَ ظَنًّا بِالتَّحِيَّةِ وَ السَّلَامِ

حتّى أتى على آخرها ، فقلت له هيهات سبقك إليها أخو بني ذبيان، فقال أنا و الله يا أخي نطقت بها على لسانه بسوق عكاظ و كنت قلتها قبل ذلك بأربع مائة عام<sup>3</sup>. و من صفات الجنّ و الغول أنّ عينه تكون مشقوقة بالطول، كما نستنبط من هذه الأسطورة التي هي من نسج الأعراب الذين عُرفوا بالكاذيب فكرة أنّ الشعر من عمل الجنّ و الشياطين، بالإضافة إلى أنّ الجنّ يعمرّ طويلا مقارنة بالإنس.

<sup>1</sup> . الجاحظ: الحيوان ج 6 ص 46 . 47.

<sup>2</sup> . المصدر نفسه.

<sup>3</sup> . الشبلي: آكام المرجان في أحكام الجان بيروت 1988، ص 227 . 228. أنظر قصصا أسطورية تحدرّ من صيد الظبي في نفس الكتاب ص 148 . 149.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

كما ظنّ العرب أنّ الجنّ تركب الطباء و هي خير مطاياهم ، حيث يقول عبيد بن أيوب  
دالا على ذلك:<sup>1</sup>

وَ أَجُوبُ الْبِلَادَ تَحْتِي ظَبْيٌ      ضَاكِحٌ سِنَّهُ كَثِيرُ التَّمَرِي  
مَوْلَجٌ دُبْرُهُ خِرَازَةٌ مَكْرٍ      وَ هُوَ بِاللَّيْلِ بِالْعَفَارِيَتِ يَسْرِي

و من مطايا الجنّ الجمال، فمن الأخبار السائرة أنّ: " العرب تذكر راكبا على جمل في قدر  
الشاة وفد عليهم بسوق عكاظ و نادى ألا من يهيني ثمانين بكرة هجانا و أداما فلم يجبه أحد.  
فلما رأى ذلك ضرب جملة و طار به بين السماء و الأرض كالبرق، فعجبوا منه " <sup>2</sup>  
و هذه الأسطورة تؤولنا إلى مشابهة الشعراء لاعتلاء الجنة ظهور الخيل كاعتلاء الفرسان  
الأشواوس الذين يسرعون لنصرة المظلوم، كقول زهير بن أبي سلمى<sup>3</sup>:

بَحِيلٌ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ      جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَأْلُوا فَيَسْتَعُوْا

و الحوشية هي إبل الجنّ و يقال أنّها منسوبة إلى الحوش بلاد الجنّ من وراء رمل "بيرين" لا  
يمرّ بها أحد من الناس. و تزعم العرب أنّها ضربت في نعم (بني مهرة بن حيدان) فنتجت  
النجائب المهرية من تلك الفحول الوحشية فنسبت إليها، فهي لا يكاد يدركها التعب.<sup>4</sup>  
و يزعم الأعراب أنّ الجنّ كانت تُسمع و لا ترى أو تُرى أجساما و أشكالا و لا تُميّز  
ملامحها. و من الشعراء من يذكر هيئة الجنّ العامّة و شكلها الخارجي. فتبدو ذات أجسام

<sup>1</sup> . الجاحظ: الحيوان (4 . 7) ص 489.

<sup>2</sup> . المسعودي : أخبار الزمان و من أباده الحدثنان من الأمم الماضية و الأجيال الخالية و الممالك الدائرة ، دار الأندلس،  
1966 ، ط 2 ، ص 37.

<sup>3</sup> . زهير بن أبي سلمى : الديوان ، ص 31.

<sup>4</sup> . الجاحظ: الحيوان ج 4 ص 302.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

ضخمة و قامات مديدة و أرجل طويلة ، مثل ما رسمها لبيد بن ربيعة بقوله:<sup>1</sup>

غُلِبُّ تَشَدَّرَ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا      جِنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا<sup>2</sup>

و يميّزها الأعشى بالسواد فيشبهها بالأحباش التي تحيط بصاحبته ليزيد من حصانة جانبها،

و ذلك بقوله:<sup>3</sup>

و الجِنُّ تَعْرِفُ حَوْلَهَا      كَالْحُبْشِ فِي مَحْرَابِهَا

فالسواد قرين الجنّ، قد يُتصوّر في حية سوداء أو كلب أسود لتعلّق الجنّ بالليل و الظلمة و النزول إلى طبقات الأرض السفلى و هي مساكن الجنّ. كما سكنت المقابر و لذلك يخشى

كثير من النَّاس ارتيادها ليلا. و يُعتقد أنّ الجنّ سكنت البحار و مواضع الماء كالأبار.

أمّا طعام الجنّ فرووا أنّه الرّمة و ما لم يُذكر إسم الله عليه.<sup>4</sup> و قد جاء قوم من الجنّ إلى

نار شمر بن الحارث الضبيّ، فدعاهم إلى الطعام بقوله:<sup>5</sup>

أَنْتُوا نَارِي فَفُلْتُ مَنْونَ قَالُوا      سُرَاةُ الْجِنِّ فُلْتُ عَمُوا ظَلَامًا.

فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ      زَعِيمٌ نَحْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامَ

و تتألف الجنّ من عشائر و قبائل، تربط بينها رابطة القرى و صلة الرحم. و هي كعشائر

و قبائل جزيرة العرب، تتقاتل بينها، و يغزو بعضها بعضا. و لها أسماء ذكر بعضها منها

أهل الأخبار، كما لها ملوكا و حكاما و سادات قبائل. فهي في حياتها تحيا على شكل نظام

<sup>1</sup> . لبيد بن ربيعة: ديوانه ص 234.

<sup>2</sup> . غُلِب: غلاظ الأعناق. الذُّحُول: الأحقاد الواحد دَحَلٌ. تشَدَّر: يوعد بعضها بعضا.

<sup>3</sup> . الأعشى: ديوانه ص 16.

<sup>4</sup> . الجاحظ: الحيوان ج 6 ص 210.

<sup>5</sup> . المصدر نفسه: ج 6 ص 197.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

حياة الجاهليين. و إذا اعتدى معتد على جان انتقمت قبيلته <sup>1</sup> كلّها من المعتدي أو المعتدين. <sup>2</sup> و قتالها يثير عواصف الغبار، و لذلك فسّر الجاهليون حدوث العواصف و الزوابع بفعل الجنّ. كما كان للجنّ عند الأعراب مراتب و طبقات تتدرّج بحسب ما ينسبونه إليها من القوّة و الضعف " ، فالجنّ هم ضعفة الجنّ. و الجنّ يتفاوتون قوّة فمنهم الجنيّ و فوّه الشيطان فالمارد فالعفريت فالعقري <sup>3</sup> ، كقول الأعشى: <sup>4</sup>

و مَارِدٌ مِنْ غُوَاةِ الْجِنِّ يَحْرُسُهَا      ذُو نَيْقَةٍ مُسْتَعِدٌّ ذُوْنَهَا تَرْقَا <sup>5</sup>

و قال ابن عبد البر في الجنّ: " إذا ذكروا الجنّ خالصا قالوا: جنيّ، فإن أرادوا أنّه ممّن يسكن مع النّاس قالوا: عامر و الجمع عمار ، فإن كان ممّا يعرض للصبيان قالوا: أرواح، فإن خبث و لؤم قالوا: شيطان ، فإن زاد على ذلك فهو مارد ، فإن زاد على ذلك و قوي أمره قالوا: عفريت، فإن ظهر و لطف و صار خيرا فهو ملك. و قال ابن عقيل: الشياطين العصاة من الجنّ و هم من ولد إبليس و المردة أعتاهم و أغواهم و هم أعوان إبليس <sup>6</sup>. و فيهم من

<sup>1</sup> . يذكر الرواة أسطورة حول انتقام الجنّ من الإنس و هي: أنّ امرأة من الجنّ أراد ابنها الحجّ في الجاهليّة، فخافت عليه من سفهاء قريش.... فلما أكمل الطواف و صار ببعض دور بني سهم، عرض له شاب منهم فقتله ، فثارت غيرة شديدة بمكة . و مات من بني سهم خلق كثير قتلهم الجنّ انتقاما منهم . فنهضت بنو سهم و حلفائها و موالبيها و عبيدها ، فركبوا الجبال و الشعاب بالثنية ، فما تركوا حيّة و لا عقربا و لا عظاية و لا خنفساء و لا شيئا من الهوام يدبّ على وجه الأرض إلّا قتلوه، حتّى ضجّت الجنّ ، فصاح صائحهم (هتف هاتفهم) من على جبل أبي قبيس يطلب وساطة قريش بينهم ، و أنهى النزاع و تغلّب بنو سهم على الجنّ فسميت بنو سهم الغياطة\* قتلة الجنّ. و الغياطة : من الغياطة و هي الظلمة الشديدة.

أنظر الأزرقى: أخبار مكة ج 2 ص 11.

<sup>2</sup> . جواد علي: المفصل ج 6 ص 711.

<sup>3</sup> . الجاحظ: الحيوان ج 1 ص 291.

<sup>4</sup> . الأعشى: ديوانه ص 367.

<sup>5</sup> . المارد: العتيّ المتجبر . الغواة: جمع غاو، الضال المنهمك في الجهل . النيقة: دون الدرة . النزق: الدرج.

<sup>6</sup> . أنظر الألوّسي: بلوغ الإرب ج 2 ص 351.



## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

يسير في الليل و هم سراة الجنّ و فيهم من يسير بالنهار فيتشكّلون في صور شتى ، صورة الحيات<sup>1</sup> و العقارب و البهائم و حتّى الحشرات. و قد يتشكّل في صورة إنسان، و الحكايات الأسطورية عن ذلك كثيرة منها قصّة إبليس و قد تجلى لقريش لما تأمروا على قتل النبيّ محمد (ص) في صورة الشيخ النجديّ، و في أسطورة المرأة التي ذهب ابنها للحجّ (و قد ذكرت سابقاً). و هناك قصص<sup>2</sup> خرافية كثيرة عن تشكّل الجنّ في صور مختلفة وردت في مصادر<sup>3</sup> كثيرة لا مجال للخوض فيها. و من المشهور عند العرب الزواج بالجنّ ، و قد أشار الشعراء إلى هذا الزواج المركّب الذي تمّ بين الإنس و الجنّ . فتسمّت بعض القبائل باسم الجنّ مثل بني اليربوع الذين لُقّبوا ببني السعلاة.<sup>4</sup> كهجاء علباء بن أرقم لبني تميم<sup>5</sup>:

يَا قَاتِلَ اللَّهِ بَنِي السُّعْلَةِ      عَمْرُو بْنُ يَرْبُوعِ شِرَارِ النَّاتِ

و قد جاء في قصة بلقيس، أنّ والدها تزوّج من امرأة من الجنّ يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت منه بلقيس<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> . و من معتقدات العرب أنهم كانوا إذا قتلوا حيّة يذرون عليها بعض الرماد قائلين لها : قتلك العين فلا تائر لك. و في أمثالهم لمن ذهب دمه هدرًا قالوا : هو قتيل العين ، و ذلك لكي لا يؤخذ بثأره.  
<sup>2</sup> . كقصّة عبید بن الأبرص الذي سقا حيّة اعترضتهم ، فلما ظلّ جمل له و تاه أرشدته إلى مكانه. و نجده يقول الشعر على لسان الحيّة:

أَنَا الشُّجَاعُ الَّذِي أَلْفَيْتُهُ ظَمِيمًا      فِي قَفْرَةٍ بَيْنَ دُكْدَاكِ وَ أَعْقَادِ  
فَجَدْتِ بِالْمَاءِ لَمَّا ظَنَّ حَامِلُهُ      وَ زِدْتِ فِيهِ وَ لَمْ تَبْخَلِ بِأُنْكَادِ

<sup>3</sup> . أنظر الحيوان للجاحظ ج 1، آكام المرجان للشربلي و موسوعة أساطير العرب لمحمد عجيبة فصل صورة الجن و الغيلان و السعالي ص 357←428

<sup>4</sup> . و قد ذكر الألويسي في بلوغ الإرب ج 2 ص 340: قصة عمرو بن يربوع بن حنظلة التميمي و الذي كان متزوجاً من الجنّ و لكنها لم تبقى معه بصفة دائمة، بل كانت تختفي عند ظهور البرق.

<sup>5</sup> . الجاحظ: الحيوان ج 6 ص 161.

<sup>6</sup> . أنظر الألويسي: بلوغ الإرب ج 2 ص 349.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

و يقال أنّ مؤخّر قدميها كان مثل حافر الدابة.<sup>1</sup> و قد يقع الحبّ بين الجنّ و الإنس، إذ ذُكر أنّ الجنّيّة قد تتبع الرّجل تحبّه، و يقال لها: تابعة، كما يكون للمرأة تابع من الجنّ يتبع المرأة يحبّها.<sup>2</sup> و ممّا تزعمه الأعراب أنّ الجنّ استهوت سنان بن أبي حارثة و هو والد هرم بن سنان لتستفعله إذ كان منجبا، و كان سنان قد هام على وجهه.<sup>3</sup>

نخلص إلى أنّ الفكر الجاهلي أنشأ علاقات ألفة من حبّ و تزواج و معاشرة بين الإنس و الجنّ ليثبت أنّه يمكن للجنسين المتنافرين أن يلتقيا فينجبا. أو لتثبيت أسطورية وقوة شخصيات معروفة كبلقيس و علاقتها بسليمان عليه السلام الذي تحكّم في الجنّ فاستعبده.<sup>4</sup>

### المطلب الثالث: شياطين الشعراء

يزعم العرب أنّ لبعض الفحول من شعرا هم شياطين يلهمونهم هذه العبقرية في كلامهم. و رسخ هذا الوهم في نفوسهم و استقرّ في أذهان النّاس فأكسبهم عندهم رهبة و جلالا. قال أبو النّجم:<sup>5</sup>

إِنِّي وَ كُلُّ شَاعِرٍ مِنَ الْبَشَرِ شَيْطَانُهُ أُتْنِي وَ شَيْطَانِي ذَكَرُ

<sup>1</sup> . الثعالبي: فقه اللغة ص 88.

<sup>2</sup> . أنظر ابن منظور: اللسان ج 8 ص 29 مادة تبع.

<sup>3</sup> . الجاحظ: الحيوان ج 7 ص 24.

<sup>4</sup> . و قد نسب إلى جنّ سليمان بعض المواضع مثل تدمر و قصر غمدان. حيث قال النابغة الذبياني:

إِلَّا سَلِيمَانَ إِذْ قَالَ الْإِلَهَ لَهُ      فَمُ الْبَرِيَّةِ فَأَحْدُدْهَا عَنِ الْفَقْدِ  
وَ حَيْسَ الْجِنِّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ      يَبْنُونَ تَدْمَرَ بِالصَّفْحِ وَالْعَمْدِ  
فَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبُهُ مُعَاقِبَةٌ      تَنْهَى الظُّلُومَ وَ لَا تَقْعُدُ عَلَى ضَمَدٍ (الحيوان ج 6 ص 223)

<sup>5</sup> . الجاحظ: الحيوان ج 6 ص 225.

و قال آخر<sup>1</sup>:

فَإِنَّ شَيْطَانِي كَبِيرُ الْجِنَّ      يَذْهَبُ بِي فِي الشَّعْرِ كُلِّ فَنٍّ

و نقل صاحب الجمهرة أنّ صاحب عبيد بن الأبرص و اسمه هيبه هو الذي لقّنه قصيدة

قال فيها<sup>2</sup>:

طَافَ الْخَيَالُ عَلَيْنَا لَيْلَةَ الْوَادِي      مِنْ آلِ سَلْمَى وَ لَمْ يُلْمَمْ بِمِيعَادِ

كما كان الأعشى مزهوا بما حباه جنّيه و ملهمه مسحل فقال<sup>3</sup>:

حَبَانِي أَخِي الْجِنِّي نَفْسِي فِدَاؤُهُ      بِأَفْيَحِ جِيَّاشِ الْعَشِيَّاتِ حِضْرُمُ

وَمَا كُنْتُ شَاجِرِدًا وَلَكِنْ حَسِبْتَنِي      إِذَا مَسَحَلُ سَدَى لِي الْقَوْلَ أَنْطِقُ

شَرِيكَانِ فِي مَا بَيْنَنَا مِنْ هَوَادَةٍ      صَفِيَّانِ جِنِّي وَ إِنْسٍ مُوقِّقُ

ففي هذه الأبيات ما يوضّح الاعتقاد الذي كان سائدا بين العرب و مفاده أنّ لكلّ شاعر

شيطانا يلهمه الشعر<sup>4</sup>، و ذلك من جراء حيرتهم في تفسير هذه الموهبة. و هذا ما دفع

اليونانيين إلى الاعتقاد أنّ إلها هو الذي يلهمهم الشعر و سمّوه بإله أو ربة الشعر<sup>5</sup>. أمّا

العرب فكانوا يسمّون شياطين الشعر كلاب الشعراء، و لا بدّ أنّ السبب كامن في اعتقاد

<sup>1</sup> . المصدر نفسه.

<sup>2</sup> . القرشي: جمهرة أشعار العرب طبعة بولاق تحقيق الجاوي ص 17 و 42.

<sup>3</sup> . الأعشى: ديوانه الكبير ص 257.

<sup>4</sup> . زعم أنّ لإمرئ القيس شيطانا اسمه لافظ بن لاحظ و للنابعة صاحب اسمه حاطب، و هانر بن مانر أو ماهر

صاحب زياد الذبياني و أسماء أخرى تخضع لمبدأ الحوشية و الغرابة اللغوية. أنظر جمهرة أشعار العرب و الحيوان ج 6

ص 230. و في ذلك يقول حسان بن ثابت:

وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْطَانِ      فَطَوْرًا أَقُولُ وَ طَوْرًا هُوَ

<sup>5</sup> . أنظر يوسف حلوي: الأسطورة في الشعر العربي ص 82، 83.

## الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي

العرب أنّ الكلب من الصور التي يتشكّل فيها الجنّ أو لأثّه رمز الوفاء ، يلحق صاحبه أينما كان، و في هذا قال عمرو بن كلثوم<sup>1</sup>:

وَ قَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الْجِنِّ مِنَّا      وَ شَدَّبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا

وفي نهاية هذا الفصل نخلص إلى أنّ إيمان العرب بوجود كائنات غير مرئية ، سواء أكانت في الأصل أرواحا إنسانية انتقلت من أبدانها أم كانت منذ بدايتها أرواحا مستقلة كالجنّ و الملائكة ، كان من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى بعث عبادة الأرواح في المجتمع العربي قديما . فهذه الكائنات الغيبية المزوّدة بتلك القوى الخارقة قد تتّصل بعالم النّفس أو عالم الحسّ من الحياة الإنسانية و تترك فيه أثرا من آثارها العجيبة . ولمقاومة هذا الخوف و الرّهبة نجد الإنسان العربي تشبّث بالأمل و الرجاء عن طريق الدعاء و التضرّع و القيام بطقوس خاصة ، أصبحت فيما بعد أساسا للديانة الوثنيّة .

<sup>1</sup> . رواه الجاحظ هكذا في الحيوان ج 6 ص 467 و قد روي أيضا " و قد هَرَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا" .

## الفصل الرابع

معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

## المبحث الأول: الكائنات الخرافية في الشعر الجاهلي

المطلب الأول: صورة الغول و السعلاة في الشعر الجاهلي

المطلب الثاني: أساطير الهاتف ، الشقّ ، التابع و النسناس

## المبحث الثاني: صورة الموت و ما بعد الموت في الشعر

### الجاهلي

المطلب الأول: الروح و القول بالدهر

المطلب الثاني: البعث و الحساب في الشعر الجاهلي

المطلب الثالث: طقوس الدفن في الشعر الجاهلي

## المبحث الثالث: أوابد العرب في الشعر الجاهلي

المطلب الأول: الكهانة و العراف

المطلب الثاني: التطير

المطلب الثالث: طقوس العرب في الاستمطار

المبحث الأول: الكائنات الخرافية في الشعر الجاهلي

المطلب الأول: صورة الغول و السعلاة في الشعر الجاهلي

### 1 صفات الغول في شعر ما قبل الإسلام :

هو أشهر الكائنات الخرافية الذي لا تزال أصدائه في الثقافة الشعبية مثلما تصوره القدامى ، فهي تلزم الذهنية العربية و تتسلط عليها تسلطا مهولا. و الغول في الشروحات المعجمية تعني الهلكة و الهول، و هي آتية من غاله الشر و اغتاله بمعنى أهلكه و جاءه من حيث لا يدري.<sup>1</sup> و هو اسم لكل ما له علاقة بالجنّ يعرض للسفّار و يتلون في ضروب الصور و الثياب ذكرا أو أنثى، إلا أنّ أكثر كلامهم على أنّه أنثى. أمّا أبو المطراب عبيد بن أيوب العنبري<sup>2</sup> فقد ذكر على أنّ الغول جنسين ذكر وأنثى :

و غُولًا قَفْرَةً ذَكَرًا و أَنْثَى كَأَنَّ عَلَيْهَا قِطْعُ الْبِجَادِ<sup>3</sup>

و الذّكر منها يدعى القطرب و قيل هو من صغار الجنّ ، و قيل القطارب صغار الكلاب ، و قيل القطرية على صورة الهرة<sup>4</sup>. و هو طائر يجول الليل كلّه لا ينام فيقولون " أجول من قطرب".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> . ابن منظور: لسان العرب مادة غول

<sup>2</sup> . شاعر من بني العنبر و كان يخبر أنّه يرافق الغول و السعلاة و يبايت الذئاب و الأفاعي و يكلّ الضباء و الوحش حيث يقول:

وَ حَالَفْتُ الْوُحُوشَ وَ حَالَفْتُنِي بِقُرْبِ عُهْدِهِنَّ وَ بِالْإِعَادِ  
وَ أَمْسَى الدُّنْبُ يَرُصُّنِي مِخْشًا لِحَفَّةِ صُرَّتِي وَ لِيَضْعِفِ آدِي

<sup>3</sup> . الجاحظ: الحيوان ج 4 ص 482.

<sup>4</sup> . المسعودي: مروج الذهب ج 2 ص 138.

<sup>5</sup> . الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، تحقيق عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية بيروت ، د.ط ، ج 2 ص 222.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

و السعلاة هي الواحدة من نساء الجنّ إذا لم تتغوّ لتفتن الس فلوّ.<sup>1</sup> أمّا ابن منظور فيقول:  
"أنّها الغول بذاتها، و هي ساحرة الجنّ".<sup>2</sup> و من حكايات العرب القديمة أنّ عمرو بن يربوع  
تزوَّج من السعلاة و أنجب منها و هذا ما يفسّر قول الجاحظ "إذا لم تتغوّل" ، أي أنّها من  
نساء الجنّ فإذا اكتسبت صفات الشرّ لتفتن السّفار اعتبر هذا تغوّلاً. و بالتّالي تعدّ السعلاة  
أدنى درجة من الشرّ بالقياس إلى الغول. فالتلّون يفضي إلى تخويف البشر وإرعابهم. كما  
يُستعمل لفظ السعلاة نعتاً للمرأة على وجه المجاز لا على معنى الحقيقة، إذا كانت حديدة  
الطّرف و الدّهن سريعة الحركة، ممشوقة القوام مستشهدا على ذلك قول الأعشى:<sup>3</sup>

و رِجَالٍ قَتَلِي بِجَنَبِي أَرِيكَ      و نِسَاءٍ كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِ

و قد شبّه العرب المرأة الشريرة و لا سيّما الطّاعنة في السنّ بالسعلاة ، فصوّروا بشاعة  
العجائز عند تقدّمهنّ في السنّ و شبّهنّ بالسعالي لغرض الذمّ ، من ذلك قول الراجز العربي  
القديم غيلان بن حريث:<sup>4</sup>

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا مَدُّ أَمْسَا      عَجَائِزٌ مِثْلَ السَّعَالِي خَمْسَا

يَأْكُلْنَ مَا فِي رِجْلَيْهِنَّ هَمْسَا      لَا تَرَكَ اللَّهُ لِهِنَّ ضِرْسَا

كما شبّه عبيد بن الأبرص الفرس بالسعلاة لإظهار قوتها وسرعتها ، حيث يقول:<sup>5</sup>

أَوْحَشَتْ بَعْدَ ضُمْرِ كَالسَّعَالِي      مِنْ بَنَاتِ الْوَجِيهِ أَوْ حَلَابِ

<sup>1</sup> . الجاحظ : الحيوان ج 6 ص 161.

<sup>2</sup> . لسان العرب ج 11 ص 336.

<sup>3</sup> . الجاحظ : الحيوان ج 6 ص 162.

<sup>4</sup> . الأصفهاني : الأغاني ج 11 ص 104. الدميري : حياة الحيوان الكبرى ج 3 ص 29.

<sup>5</sup> . عبيد بن الأبرص: الديوان ، ص 41.



## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

و لغرض الفخر بأفراد قبيلته يقول لبيد يصف خيلهم مشبها إياها بالسعالى والعقبان:<sup>1</sup>

عَلَيْهِنَّ وَلِدَانُ الرَّهَانِ كَأَنَّهَا      سَعَالٍ وَ عِقْبَانٍ عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ

و يتبين لنا ممّا ورد عن السعلاة أنّها تشبه الغول إلى حد كبير ، فهي الكائن المخيف الذي

يظهر في القفار للعابر فيتلاعب به . ممّا أدّى بعبيد بن أيوب العنبري أن يذكره ما معا في

شعره بغرض الفخر بقوّته وشجاعته أمام المرأة التي سخرت منه ، إذ يقول:<sup>2</sup>

و سَاخِرَةٌ مِنِّي وَ لَوْ أَنَّ عَيْنَهَا      رَأَتْ مَا الْأَقْيَمِ مِنَ الْهَوْلِ جُنَّتِ

أَزَلَّ وَ سُعْلَاءَةٌ وَ غُولٌ بِفَقْرَةٍ      إِذَا اللَّيْلُ وَارَى الْجَنِّ فِيهِ أَرَّتِ

و كان عامّة الأعراب يزعمون أنّ الله تعالى قد مكّن الجنّ و الشياطين أن يتحوّلوا في أيّ

صورة شاءوا إلاّ الغول فإنّها تتحوّل في جميع صور المرأة و لباسها إلاّ رجليها فلا بد من أن

تكونا رجلي حمار أو عنز. فللخيال البشري تصوّر الغول في أشكال و صور منفردة مخيفة ،

إذ نجده يستعير أعضاءً لحيوانات مختلفة ذات صلة بالجنّ . فربّما يشبه رأس الهرّ بعينين

قببحتين و لسان مشقوق، و رجلان لئولجا ولد ناقة مشوّه و غير مكتمل الخلق ، و جلد رأسه

كجلد الكلب لكثرة شعره ، و أظفاره كالمنجل لحدّتهما وطولهما ، أمّا جسده فمستور بثوب

بالٍ قصير يشبه القربة الخرقية. و كانت العرب تؤعم أنّ الغول يتغوّل لهم في ال فلووات، فهي

تلزم الأمكنة البعيدة و الفيافي الفقرة فتقيم بها و تترصدّ المسافر الذي تتوسّم في نفسه

<sup>1</sup> . لبيد بن ربيعة العامري : الديوان ، ص 133.

<sup>2</sup> . الجاحظ : الحيوان ج 6 ص 162.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

الخوف. فإذا اطمأنت إلى أنه منفرد عبثت بعقله شرَّ عبث حتى يصبح مخبولاً.<sup>1</sup> و قد عرض امرئ القيس لأنياب الغول في معرض حديثه عن سيفه فجعله حيواناً مخيفاً ذا أنياب حادة شبيهة بأسنان الغول بقوله:<sup>2</sup>

أَيَقْتُلُنِي وَ الْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَ مَسُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالٍ<sup>3</sup>

فللواضح أنّ الغاية البلاغية هنا من التشبيه هي التقييح و الترهيب. أمّا الغرض الحقيقي من التباهي بسيفه القويّ الحادّ الذي يشبه أنياب الغول هو إظهار شجاعته وبسالته في القتال. و عدّت الغيلان أخبث أنواع الجنّ وهي كائنات شريرة، توقد للمسافرين نارا بالليل للعبث بهم ، و هي التي يسمّيها العرب نار الغيلان و السعالي. فإذا دنا منها تمثّلت له في صور مختلفة فتهلكه روعاً ، فقد قال أبو المطراب عبيد بن أيوب العنبري:<sup>4</sup>

فَلَلَّهِ دَرُّ الْعُؤْلِ أَيِّ رَفِيقَةٍ لِصَاحِبِ قَفْرِ حَائِفٍ مُنَقَّرٍ\*

<sup>1</sup>. و أصل هذه الفكرة ممّا يذكر الأعراب من عذيف الجنان و تغول الغيلان ، حسب رأي أبي إسحاق: أنّ العرب لمّا نزلت بلاد الوحش عملت فيهم الوحشة و من انفرد و طال مقامه في الفلاة و الخلاء و البعد من الإنس استوحش ، و لا سيّما مع قلة الأشغال و المذاكرين، و الوحدة لا تقطع أيامهم إلا بالمنى و بالتفكير. و الفكر ربّما كان من أسباب الوسواس ، و قد ابتلي بذلك غير حاسب. و إذا استوحش الإنسان مثّل له الشّيء الصغير في صورة الكبير و ارتاب و تفرّق ذهنه وانتقضت أخلاقه فيرى ما لا يرى ، و يسمع ما لا يسمع و يتوهم على الشّيء الصغير الحقير أنّه عظيم جليل ، ثم جعلوا ما تصوّر لهم من ذلك شعراً تتشادوه ، و أحاديث توارثوها. فزادوا بذلك إيماناً ، و نشأ عليه الغيطان في الليالي الحنادس . فعند أول خشية أو فزعة و عند صياح بوم أو مجاوية صدى تجده و قد رأى كل باطل و توهم كل زور. و ربّما كان في الجنس و أصل الطبيعة نقاحاً كذاباً ، و صاحب تشنيع و تهويل ، فيقول في ذلك الشعر على حسب هذه الصفة ، فعند ذلك يقول رأيت الغيلان و كلّمت السعلاة ، ثم يتجاوز ذلك فيقول قتلتها ، ثم يزيد فيقول رافقتها ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول تزوّجتها. عن الجاحظ : الحيوان ج 6 ص 250.

<sup>2</sup>. امرؤ القيس : ديوانه ص 125.

<sup>3</sup>. مسنونة : يعني سهاما محددة. زرق : صافية مجلوة.

<sup>4</sup>. الجاحظ : الحيوان ج 4 ص 482.

\* منقّر: متخ عن الناس.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

أَرَنْتَ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وَأَوْقَدْتَ حَوَالِي نِيرَانًا تَبْوُخُ وَ تُزْهِرُ

فالمسافر في الصحراء الموحشة يلتمس آية علامة تهديه إلى الطريق خاصة في ظلام الليل. أمّا الصحراء و الليل فيشيران إلى التيه والضياح إذ يحققان الإطار المناسب لظهور الغول. و نار الغول بارقة أمل لكنه أمل خادع في ظلّ معرفة اعتقادية سابقة توارثتها الأجيال أنّ للغول عزيفا و نارا توقدها في الليل بغرض إيقاع المنفردين في حبالها. كما لا يفوتنا ذكر وصف عنتره للغول التي ظهرت له في صورة بشعة , إذ يقول :<sup>1</sup>

وَالْغُولُ بَيْنَ يَدَيَّ يَخْفَى تَارَةً وَ يَعُودُ يَظْهَرُ مِثْلَ ضَوْءِ الْمَشْعَلِ

بِنَوَاطِرِ زُرْقٍ وَ وَجْهِ أَسْوَدٍ وَ أَظَافِرٍ يُشْبِهُنَ حَدَّ الْمَنْجَلِ

يأتي ذكر الغول هنا في سياق الفخر، فالشاعر يسري في ظلام الليل، في جو مليء بالأهوال، وما يزيد من هولته ظهور هذا الكائن المخيف كالبرق يضيء ويختفي، هدفه الغدر والخديعة. و ما يمدّ الصورة رعبا و فزعا وصف الشاعر للغول ، فيجمع صفات غريبة كزرقة العيون وسواد الوجه وأظافر تشبه حدتها المنجل ليجسد حالة الخوف التي يعيشها. فخيال الشاعر يرسم لنا عالما أسطوريا في قالب واقعي يتصوّر المتلقي أحداثه و كأنها حقيقية. إذ تشير نبيلة إبراهيم إلى هذا العالم السحري اللامعقول الذي يصنعه الشاعر في صورة فنية رائعة في قولها : " وإذا كان الشاعر يجسد مدركاته الوهمية ويحاول أن يؤلف بينها وبين العناصر الحسية المعلومة ليؤسس لعالم سحري تلمع فيه الأجواء الخيالية المغرقة في المثالية،

<sup>1</sup> .عنتره بن شداد : الديوان، ص138.

تتطرق فيه الشخصيات من عالم اللامعقول ، عالم الخوارق و المعجزات حتى تتلاشى المستحيلات وتحل محلها كلّ الممكنات .<sup>1</sup>

### 2- قصص الغول في شعر الصعاليك

فالغول كائن خرافي وهمي لكنّه كان حقيقة ذهنية لدى العرب قبل الإسلام و بقي في الذاكرة. حيث وصلتنا أخباره و أوصافه في نصوص أدبية شعرية و قصص شعبية متوارثة شفهيًا، نسجها الخيال الإنساني سواء لحالة نفسية أو اجتماعية. حيث وُضعت لصورته ملامح شتّى كلّها تبعث الرعب و الخوف في نفسية الذين يستمعون قصصا عن هذا الكائن الغريب. و الشعر الجاهلي ساق لنا حكايات خرافية تظهر في شكل واقعي، إلا أننا نستشفّ منها البعد الأسطوري لشخصية هذا الكائن . فعدد غير قليل من الشعراء الجاهليين الذين مزجوا بين العناصر القصصية و العناصر الغنائية للتعبير عن مشاعرهم وقضاياهم و نجد ذلك واضحا عند امرئ القيس وعنترة و خاصة الشعراء الصعاليك . ومن الشعراء الذين اقتزن بهم لقب الصعاليك الشنفرى الذي روى قصة لقاءه بالغول، حيث قال في وصفها:<sup>2</sup>

و حَافِرُ العَنْزِ فِي سَاقِ مُدْمَلَجَةٍ      و جَفْنُ عَيْنِ خِلَافِ الإِنْسِ فِي الطُّولِ

و مثّل ذلك ما ذكر في قصة بلقيس عندما كشفت عن ساقها، و كانت كرجلي عنزة، شعرهما كثيف، للدلالة على أنّ أمّها كانت جنّية<sup>3</sup> و السعالي نساء الجنّ . والسبب في نسجهم لهذه

<sup>1</sup>. نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، نهضة مصر ، ط 4 ، 1981، ص19.

<sup>2</sup>. المسعودي : مروج الذهب ج 2 ص 135.

<sup>3</sup>. ذُكرت قصة بلقيس ملكة سبأ مع النبي سليمان في معرض إبطال عبادتها للشمس ، في سورة النمل الآية 23 إلى 44 من القرآن الكريم .

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

الأسطورة أنّ العرب استعصى عليهم في تلك العهود الموعلة في القدم - القرن العاشر قبل

الميلاد - تصوّر أنّ امرأة تحكم بلادا كسباً. فلمّا لم يجدوا لذلك تفسيراً أسلموا أخيلتهم

و راحوا يتصوِّرون أنّ لها قرابة بالسعلاة و ذلك لذكائها و حكمتها .

و من القصص الأسطورية التي تعلّقت بشخصية تأبّط شراً<sup>1</sup> وكانت سبباً في تسميته ، يروي

صاحب الأغاني أنّه صادف الغول في ليلة مظلمة في موضع يقال له رحي بطن فقتلها

و بات عليها ، ولمّا أصبح حملها تحت إبطه ، وجاء بها إلى أصحابه ، فقالوا له : لقد

تأبّطت شراً. و في قصة أخرى أنّه رأى كبشاً في الصحراء فاحتمله تحت إبطه فجعل

الكبش يبول عليه طوال الطريق، فلمّا قرب من الحيّ ثقل عليه الكبش فلم يقله فرمى به ، فإذا

هو الغول. وله قصيدتان يروي فيهما لقاءه بالغول وصراعه معها ، فالأولى يستهلها بقوله:<sup>2</sup>

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ فَتَيْبَانٌ فَهَمَّ      بِمَا لَأَقَيْتُ عِنْدَ رَحَى بَطَانِ

أَنِّي قَدْ لَقَيْتُ الْغُولَ تَهْوِي      بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ

فَقُلْتُ لَهَا : كِلَانَا نِضْوَانِ      أَحُو سَفَرٍ فَخَلِّي لِي مَكَانِي

فَشَدَّتْ شَدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَى      لَهَا كَفِّي بِمَصْفُولٍ يَمَانِي

فَأَضْرُبُهَا بِلَا دَهْشٍ فَخَرَّتْ      صَرِيْعًا لِلْيَدَيْنِ وَ لِلْجِرَانِ

فَقَالَتْ : عُدْ ، فَقُلْتُ لَهَا رُوَيْدًا      مَكَانَكَ إِنِّي ثَبْتُ الْجَنَانِ

فَلَمْ أَنْفَكُ مُنْكَبًا عَلَيْهَا      لِأَنْظُرَ مُصْبِحًا مَاذَا أَتَانِي

<sup>1</sup>. تأبّط شراً : وهو ثابت بن جابر بن سفيان من الشعراء الصعاليك. عن الأغاني للأصفهاني ، ج 18 ص 210.

<sup>2</sup>. تأبّط شراً : ديوانه ص 107 .

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

إِذَا عَيْنَانِ فِي رَأْسِ قَبِيحٍ      كَرَأْسِ الْهَرِّ مَشْفُوقِ اللَّسَّانِ

وَسَاقًا مُخَدَّجٍ وَ شَوَاةً كَلْبٍ      وَ ثَوْبٌ مِنْ عَبَاءٍ أَوْ شِنَانٍ<sup>1</sup>

فالشاعر يستهلّ سرد أحداث قصته بوصف حالة التشردّ و الضياع التي يعيشها، عوض البكاء على الطلل حالة بقيّة شعراء الجاهلية. فقد تفرّد شعر الصعاليك بخلوه من المقدمات الطليّة و ذلك لأسباب مختلفة ، أهمّها أنّهم كانوا يهدفون إلى إيصال أفكارهم بطرق فنيّة تتناسب و طبيعة هذه الأفكار ، أو لأنّهم تمرّدوا على القصيدة المركّبة مثل تمردهم على النظم التي حكمت المجتمع الجاهلي، أو بسبب عدم الثبات و الاستقرار في موضع معيّن. و في هذه المقطوعة تتجلى الحالة النفسية و الجسدية للشاعر، فهو وحيد في صحراء قاحلة، أصابه الهزال من جراء كثرة الترحال، و قد اشترك و الغول في نفس الحال ، فكلاهما هائم في القفار متعب و لا أنيس له. ممّا جعله يأمرها بالابتعاد عن طريقه ، فهو لا يخافها رغم بشاعة شكلها وصفات الغدر التي تتميز بها ، لذلك أسرع إلى الفتك بها قبل أن تغدر به . وانتهت هذه المشاجرة بالافتتال و موت الغول و انتصار البطل . ثمّ أنّ الشاعر يعرف مراوغة الغول و خداعها، و لهذا لا يستجيب لطلبها أن يستزيد الضرب ، فهو لم يفعل لأنّه على علم بما اعتقدته العرب من أنّ الضربة الثانية تُحيي الغول. إلّا أنّنا لا نجد الشاعر ينتهي عند هذا الحد ، فبالرغم من قتلها فهو لا يأمن جانبها فشدّ وثاقها ، لينظر في الصباح ما حصل وإذا به يفاجأ بكائن مشوّه . و نجده يصوّرها لمن لم يتمكن من رؤيتها بسبب

<sup>1</sup> . السهب : الفلاة ، الأرض ، الصحصحان: المستوية الواسعة و العارية من النباتات ، النضو : الدابة التي أهزلتها الأسفار ، الأين : التعب و الإعياء ، أخو سفر : كثير السفر والارتحال . خلي لي مكاني : أي اغربي عني و ابتعدي عن طريقي ، الشدّة : الهجمة ، أهوى : ارتفع و امتدّ ، الكفّ : يقصد الساعد أو الذراع ، مصقول يمانى : يعني السيّف .

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

تحقيها، إذ هي لا تظهر إلا إذا كان الشّخص منفردا . فالشّاعر استعان بلغة إيحائية تتمّ عن معاني عميقة في وصفه للتركيبية الفيزيولوجية للغول ، فلفظ مخدج يوحي بالتقرّز ونوع من التنفير ، نتيجة ذمامة في شكل هذا الكائن . وهذا القبح يصوّر لنا أيضا ذلك النقص في خلقه هذا المخلوق الخرافي. كما أنّ الحوار الذي تخلّل النموذج السردى أكسب القصة حركية و بعث فيها انفعالا و حيوية ودلّ على قدرة إبداعية لدى الشاعر . أمّا القصيدة الثانية للشّاعر الصعلوك تأبّط شرا ، فقد وصف فيها الصّراع الذي دار بينه و الغول و الذي انتهى بقتلها. حيث يبدأ الشّاعر بمقطع إخباري عن سليمان التي نعتته بالعاجز، ممّا دفعه إلى وصف قوته و شجاعته عند لقائه بالغول، وهو الكائن الذي يجمع كل صفات القبح و الرعب، في قوله:<sup>1</sup>

تَقُولُ سُلَيْمَى لِحَارَتِهَا      أَرَى ثَابِتًا يَفْنَا حَوْقَلَا

وَأَدْهَمَ قَدْ جُبْتُ جِلْبَابَهُ      كَمَا اجْتَابَتِ الْكَاعِبُ الْخَيْعَلَا<sup>2</sup>

عَلَى شَرِّهِمْ نَارٍ تَنَوَّرَتْهَا      فَبِتُّ لَهَا مُدْبِرًا مُفْبِلَا

فالشّاعر يلتمس قبسا من نور يستضيء به و يهديه للطريق<sup>3</sup> و إذا به يرى ضوء نار. و لم تكن هذه النّار إلا نار الغول التي تستخدمها لتضلّ النّاس ليلا . فالنّار هنا أمل خاد ع و مصيدة للمارة الذين ييغون أمكنة للراحة من عناء السّفَر. أمّا دلالة الحركة الدائبة بين

<sup>1</sup> . تأبّط شرا : الديوان ، ص107 . و ابن قتيبة : الشّعْر و الشعراء، ج 1، ص180 . المسعودي : مروج الذهب ، ج 2، ص290.

<sup>2</sup> . اليفن : الشيخ الكبير . حوقل: إذا أدبر عن النساء . الشيم : النظر إلى النار . ا.

<sup>3</sup> . كانت العرب توقد على قمم الجبال نارا تعتبر منارة يهتدي بها الناس بلعبتها معالم حياة.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

الإقبال و الإدبار تدلنا على قلق الشاعر وخوفه .

فَأَصْبَحْتُ وَالْغُولُ لِي جَارَةً      فَيَا جَارَتَا أَنْتِ مَا أَهْوَ لَا  
وَ طَأْبَتْهَا بُضْعَةً فَأَلْتَوْتُ      بَوَجْهِ تَهَوَّلَ فَلَسْتُ تَعُولَا  
فَقُلْتُ لَهَا يَا انْظُرِي كَيْ تَرِي      فَوَلَّتْ فَكُنْتُ لَهَا أَغُولَا  
فَطَارَ بِقَحْفِ ابْنَتِ الْجِنِّ دُو      سَفَاسِقَ قَدْ أَخْلَقَ الْمِحْمَلَا  
فَمَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَن جَارَتِي      فَإِنَّ لَهَا بِاللَّوَى مَنْزِلَا<sup>1</sup>

فقد ذهب الشاعر إلى أبعد من مجاورة الغول بل تعداه إلى الرغبة في معاشرتها و اتخاذها خلية ، رغم كل صفات القبح و البشاعة . قد يكون السبب في ذلك محاولة من الشاعر

للتعويض عن الرغبة المكبوتة في داخله ، لصدّ سليمي و تحولها عنه كتحوّل الغول

التي أظهرت حقيقتها بإظهار أصلها المرعب عند تقربه منها . فرغم أنه اتخذ الغول جارة إلا

أنه اكتشف تلونها و تقلبها مما دفعه إلى قتلها . و عليه فالصورة الواردة في هذه القصة

تخفي حالة الشاعر النفسية وما يعانیه من وحدة، لنبذ المجتمع له و صدّ سليمي له و تحقيرها

له. مما دفعه لنسج قصة المقاتلة بينه وبين الغول، الذي يعتبر في المخيال العربي رمزا

للرعب، و قاتله يعدّ من أشجع و أقوى الفرسان. لذلك يرى بعض الدارسين<sup>2</sup> أن الأسطورة

العربية ما هي إلا وسيلة وهمية لحلّ مشاكله فيما وراء الواقع ، أي هروب من مرارة الحقيقة

إلى حلاوة الخيال .

<sup>1</sup>. القحف: العظم الذي فوق الدماغ ، ابنة الجنّ: الغول ، ذو سفاسق: يقصد السيف و سفاسقه: طرائقه و السفسقة هي شطبة كالسيف كأنها عمود في متنه . أخلق محملا: أبلى حمائله لثقله و دوام حمله .

<sup>2</sup>. مصطفى علي الجوزو: من الأساطير العربية و الخرافات، دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت ، 1979، ص79.



و منه نخلص إلى أنّ الغول يعتبر من أقدم الخوارق رسوخا في الذّهنية العربية القديمة و الحديثة ، وهي ماثلة في وجداننا إلى اليوم نتيجة للتراكّات التي حصلت على مدى أزمنة طويلة. فالشّعراء لم يقصدوا ذكر قصص الغول لذاتها وإنما قصدوا غايات أخرى و الغالب هو تأكيد صفة الشجاعة في نفسه . حيث يشير فاروق خورشيد إلى أثر هذه الشخصية في الفكر العربي حيث أصبحت رمزا يعبر من خلاله عن بطولة ، إذ يخوض الفرد فيها المعارك التي تعجز الجماعة عن خوضها، وليحقّق لها من الانتصارات على القوى الخارقة، ما يحدث التكامل و التنفيس عن الجماعة كلّها .<sup>1</sup>

### المطلب الثاني: أساطير الهاتف ، الشقّ ، التابع و النسناس

#### 1 . الهاتف:

الهاتف عند اللغويين هو من تسمع صوته و لا تبصر شخصه.<sup>2</sup> فهو نوع من الجنّ يهتف بصوت مسموع ، و جسم غير مرئيّ يقدمّ النصح و الإرشاد للنّاس أو يحذّرهم من أضرار توشك أن تلحق بهم.<sup>3</sup> أو ينقل لهم الأخبار عبر الجبال و القفار بسرعة غريبة. و يحزن لما قد يحدث لشخصيات بارزة في المجتمع الجاهلي ، فنيأشدهم شعرا.

فالهواتف من أشهر الكائنات الخرافية بعد الغول في الخيال الشعبي ، و الواضح أنّ لغة هذا الكائن الأسطوري تتكيّف بتكيّف الأشخاص. فهو لا يخاطب النّاس إلاّ باللّغة التي يفهمون و الغالب كان شعرا أو قد يرميهم في حديثه بألغاز لا قبل لهم بحلّها. و قد يحدثهم من داخل

<sup>1</sup>.أنظر فاروق خورشيد : أديب الأسطورة ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، ط 1 ، 2004 ، ص216 .

<sup>2</sup> . ابن منظور : لسان العرب مادة هتف.

<sup>3</sup> . الجاحظ : الحيوان ج 6 ص 202.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

أوثانهم مثل ما جاء في قصة الصنم فراض ، حيث أجابهم مجيب من داخل الوثن فقال:

دُونَكَ كَلْبًا جَارِحًا مُبَارِكًا      أُعِدَّ لِلْوَحْشِ سِلَاحًا شَابِكًا<sup>1</sup>

و قد وردت قصص و روايات حول موضوع الهاتف و هي كثيرة منها حديث الأعشى

بن نباش بن زرارة الأسدي أنه سمع هاتفا يقول:<sup>2</sup>

لَقَدْ هَلَكَ الْفَيَّاضُ غَيْثُ بَنِي فِهْرِ      وَ ذُو الْبَاعِ وَ الْمَجْدِ الرَّفِيعِ وَ ذُو الْفَخْرِ

إلى آخر القصة ، حيث أخبره بموت ابن جدعان . و يأتي ضمن هذا الباب ما حدث مع

عبيد بن الأبرص و الشجاع<sup>3</sup> و الذي جاءه أولا على شكل حية ثم حدته ثانيا على شكل

هاتف من عدوة الوادي فقال:<sup>4</sup>

يَا صَاحِبَ الْبِكْرِ الْمُضِلِّ مَرْكَبُهُ      دُونَكَ هَذَا الْبِكْرُ مِنَّا فَارْكَبُهُ

و من أهم الأنباء التي وردت في كتب التراث على لسان الهاتف و هي كثيرة، ما يتعلق

بالتبشير بالبعثة النبوية.<sup>5</sup>

## 2 - الشَّقُّ:

و قد يبدو الجنّ حسب اعتقاد العرب قديما في صورة شق له نصف بدن و نصف رأس و يد

و رجل ، كأنه إنسان شقّ نصفين. يقفز على رجل واحدة قفزا سريعا. و كثيرا ما يعرض

<sup>1</sup> . أنظر النويري : نهاية الأرب ج 18 ص 18.

<sup>2</sup> . المصدر السابق . و في آكام المرجان في غرائب الأخبار و أحكام الجان ص 169.

<sup>3</sup> . يقصد بالشجاع : الجنّ الذي سقاه .

<sup>4</sup> . عبيد الأبرص : ديوانه ، ص 15.

<sup>5</sup> . أنظر المصدر السابق ج 18 ص 148 - 154 . و في السيرة النبوية لابن هشام.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

للرجل المسافر إذا كان وحده ، فربما أهلكه فزعا أو ضربا أو قتلا. <sup>1</sup> و من الأمثلة حول

الشقّ ما روي عن علقمة بن صفوان و الذي تعرّض له بموضع يقال له (رحا حرمان)

و كان معه سيف فأخذ يقول له الشقّ: <sup>2</sup>

عَلَقْمُ إِنِّي مَقْتُولٌ      وَ إِنِّ لَحَمِي مَأْكُولٌ

أَضْرِبُهُمْ بِالْهُدُولِ      ضَرَبَ غَلَامٍ شَمْلُولِ

رَحَبَ الدَّرَاعِ بَهْلُولِ

فقال له علقمة:

يَا شِقُّ مَالِي وَ لَكَ      اغْمِدْ عَنِّي مِنْضَاكَ

تَقْتُلُ مَنْ لَا يَقْتُلُكَ

و قال الشقّ:

عَبَيْتُ لَكَ، عَبِي لَكَ      كَيْمَا أُبِيحُ مَقْتَلَكَ

فأصبر لِمَا قَدَّ حَمَ لَكَ

فضرب كل واحد منهما الآخر، فخرّا ميّتين. لكن الغريب في القصة أنّه إذا الشقّ تعرّض

لعلقمة و هو وحده ثمّ اقتتلا فقتلا، فمن روى الأحداث و الح و ار الشعري الذي دار بينهما ؟

وهذا دليل على أنّ الشقّ شخصية خرافية من نسج الفكر العربي القديم ، تمكّنت من الذاكرة

الشعبية.

<sup>1</sup> . أنظر الجاحظ : الحيوان ج 6 ص 206.

<sup>2</sup> . المصدر نفسه ص 207. و ورد في مروج الذهب للمسعودي ج2 ص 140.

3 . الرئيّ أو التابع:

هو جنّي يتعرّض للرجل يكون في صورة إنسان. و هو نفسه التابع الذي يروون أنّه الجنّي الذي إذا ألف إنسانا و تعطف عليه خبره ببعض الأخبار ، وجد حسّه ، و رأى خياله ، قالوا معه رئيّي من الجنّ.<sup>1</sup> و المقصود بالتابع في المفهوم الجاهلي هو الذي يتبع الكاهن يعلمه كهانة أو سحرا و يتبع الشاعر يلقّنه شعرا .<sup>2</sup> فقد كان مسيلمة الكذاب يدّعي أنّ معه رئيا من الجنّ يخبره بما وقع و يقع من الأسرار.<sup>3</sup> و في وصف مسيلمة قال شاعر:<sup>4</sup>

ببَيْضَةِ قَارُورٍ وَرَايَةِ شَادِنٍ      وَ خُلَّةِ جِنْيٍ وَ تَوْصِيلِ طَائِرٍ

كذلك ما ذكر عن الغيطة كاهنة بني أسد أنّه كان لها تابع من الجنّ ، يفد إليها و يدخل غرفتها و يجلس معها.<sup>5</sup> فالجاهليون لما رأوا أنّ أشخاصا منهم يتنبّؤون بأحداث تتحقّق في المستقبل و شعراء ينبغون فيقولون شعرا موزونا، فلم يجدوا لذلك تفسيراً عقليا في مجتمع تشيع فيه الأميّة إلاّ اتّصال هؤلاء بالجنّ. و كان العرب يقولون: " من أراد أن تجيبه الجنّ، فليتبخّر باللّبان و يراعي سير المشتري ، و يغتسل بالماء القراح ، و يكثر من دخول الخرابات".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> . الجاحظ : الحيوان ج 6 ص 203.

<sup>2</sup> . جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ج 6 ص 759.

<sup>3</sup> . المصدر السابق ج 6 ص 203.

<sup>4</sup> . المصدر نفسه.

<sup>5</sup> . جواد علي: المفصل ج 6 ص 765.

<sup>6</sup> . المصدر السابق ج 6 ص 199.

### 4. أسطورة النسناس في الشعر الجاهلي :

تجمع المعاجم العربية على أنّ النسناس - فيما يقال - دابة في عداد الوحش تُصَاد و تُأْكَل و هي على شكل الإنسان بعين واحدة و رجل و يد تتكلم مثل الإنسان.<sup>1</sup> و قد بلغ الاعتقاد بوجود هذا الكائن الخرافي ببعضهم إلى نسبة حديث إلى أبي هريرة جاء في نصه " ذهب النَّاس و بقي النسناس".<sup>2</sup> فنصّ الحديث إن صحَّ هو يشبه أسلوب الخطاب في قول القائل " ذهب الكرام و بقي اللئام". و قد جعل العرب للنسناس موطناً<sup>3</sup> هو بلاد الشَّحر و هو شطّ ضيق على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن.<sup>4</sup> و لغة النسناس عربية ، حتّى أنّه يقول الشعر، و يرتجل الأراجيز. و ممّا ذكر من قول النسناس : " يا أبا بجير الصبح قد أسفر، و الليل قد أدبر، و القنّاص قد حضر، فالحذر الحذر". و قوله شعرا:

الْوَيْلُ لِي مِمَّا بِهِ دَهَانِي      دَهْرِي مِّنَ الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ  
قَفَا قَلِيلًا أَيُّهَا الْكَلْبَانِ      إِلَى مَتَى إِلَيَّ تَجْرِيَانِ<sup>5</sup>

<sup>1</sup> . ابن منظور: لسان العرب، مادة نسس.

<sup>2</sup> . المصدر السابق.

<sup>3</sup> . وصفه أبو الفتح الأبيشي في المستطرف في كل فن مستظرف شرحه د. مفيد محمد قميحة . دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ج1 ص 408. إذ ذكر قصصاً طريفة من صنع خيال الأعراب فقال : جزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين و ليس لها ماء يدخل فيها إلّا من مطر ، و طولها نحو ستة فراسخ و هي حصينة ذات كروم و نخيل و أشجار و غير ذلك و إذا أراد إنسان الدخول فيها حتّى وجهه التراب ، فإنّ أباي الدخول خنق أو صرع. و قيل : إنّها معمورة بالجان و قيل : بخلق من النسناس ، و يقال إنّهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم. و كل واحد منهم شقّ إنسان.

<sup>4</sup> . ياقوت الحموي: معجم البلدان ج 3 ص 327.

<sup>5</sup> . أبو الفتح الأبيشي: المستطرف في كل فن مستظرف ج 1 ص 408.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

و الروايات الأسطورية اتفقت على أن أهل اليمن هم الذين كانوا يصطادون النسناس فيذبونه و يشوونه و يأكلونه. أو يستعملون الكلاب لتفثيره و إبعاده عن مزارعهم لأنه كان يفسد زرعهم. حيث يعقب الحموي على ذكره لهذه الخرافة قائلاً : " و هو ما اشترطنا أنه خارج العادة و أنا بريء من العهدة ".<sup>1</sup> لعلّ أصل هذا المعتقد يرجع إلى الأساطير التي نشأت جراء هلاك قوم عاد، فحديث أبي هريرة<sup>2</sup> يدلّ على أن النسناس كائن ممسوخ. و لكنّ الغريب في هذا الأمر مع مجارة للاعتقاد الشعبي بوجود هذا الكائن الخرافي، أنه كيف لأهل تلك الأرض أن يأكلوا كائنا غريباً ما داموا يعلمون أنه أصل هبشري ممسوخ. إلا أننا نجدهم يعلّلون ذلك بأنه أصبح من المجترّات<sup>3</sup>. إذ أن له كرشاً و هو يجترّ لهذا يحلّ أكله.<sup>4</sup>

و مهما يكن من أمر هذه الخرافة فإنّ النسناس من الكائنات التي استبدّت بخيال الذهنية الشعبية العربية، فراحت تصوّره على هذه الصّورة العجيبة المشوّهة التي هي ليست شقاً خالصاً و إنّما هي تشبهه، و ليست غولا خالصة و لكنّها قد تكونها لخداعها.<sup>5</sup>

أمّا الميثولوجيا الفارسية فذكرت النسناس لكن في صورة مغايرة عمّا وصفه العرب به. حيث جاء فيها أنّ النسناس من الشياطين يعيش على ضفاف الأنهار، و يعرض للمسافرين بصورة شيخ هرم طالبا إليه إعانته على عبور مجرى النهر، فإذا حمله المسافر على كتفيه و بلغ به

<sup>1</sup>. أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 3 ص 327.

<sup>2</sup>. أورد ابن منظور في اللسان مادة نسس أنّ أبا هريرة قال : " أنّ حيّاً من قوم عاد عصوا رسولهم فمسخهم الله نسناسا ".

<sup>3</sup>. أنظر عبد المالك مرتاض : الميثولوجيا عند العرب ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1989 ، ص 62.

<sup>4</sup>. ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 3 ص 327.

<sup>5</sup>. أنظر المرجع السابق.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

---

وسط النَّهر شدَّ النَّسْأَس على عنقه و أهلكه.<sup>1</sup> فالنَّسْأَس في الفكر الفارسي يظهر في صورة الكائن الخائن الغدَّار و رمزا للموت. إلاَّ أنَّ مورفلوجيته تخالف ما جاء في الوصف العربي، فشكله إنساني عادي فاقد للقوَّة الجسدية ، مستعظفا المآرة ليتمكن من خداعهم. إلاَّ أنَّه يتغوَّل فيصبح على حالته الحقيقية المخيفة فيقتل هذا الشَّخص بكلِّ سهولة.

---

<sup>1</sup>. شفيق معلوف : عبقر، مطبعة مجلة الشرق ، 1936 ، ص 84.

المبحث الثاني : صورة الموت و ما بعد الموت في الشعر الجاهلي

المطلب الأول : الروح و القول بالدَّهر

لقد ظلّ الموت الشغل الشاغل للإنسان و هو الذي أثار في معتقداته و مواقفه من الكون و الحياة . و يبدو أنّ تلك الحيرة أمام الموت و ما بعد الموت و الفرار منه أمور مشتركة بين أبناء الإنسانية في أي نطاق زمني أو مكاني . و لأنّه يصعب على الإنسان قبول فنائه المطلق كما أنّه يخاف بطبعه من المجهول الذي يقوده الموت إليه جعله يبحث عن وسائل

تحقق له الخلود ، و قد انطبق ذلك في قصة آدم و أكله من شجرة الخلد.<sup>1</sup>

كما ظهرت تلك الرغبة في بعض أساطير الأمم القديمة و أبرزها ملحمة " جلجامش"<sup>2</sup> البابلية و أسطورة لقمان بن عاد و أنسره السبع<sup>3</sup> ، إلا أنّ فلسفته خلصت إلى حتمية الموت . و يبدو أنّ هذه الفكرة انبثقت لديه إثر تأمّله في الحياة و تفكيره في مصير الأحياء خاصة عند مفارقتها لأحباب أو أقرباء ، فيكون هذا الحدث المفجع بمثابة التنبيه له بلنّ الحياة فانية و أنّ أحدا لا يستطيع دفع المنية عنه . مثلا موت "انكيديو" جعل جلجامش يكتشف أنّه سيلقى المصير الرهيب نفسه.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> . لقوله تعالى الآية 120 من سورة طه : " فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى "

<sup>2</sup> . توصل إلى اكتشافهما عالم انجليزي في مكتبة آشور بانيبال (آخر ملوك آشور 688 – 626 ق م) منقوشة بكتابة مسمارية على ألواح طينية.

<sup>3</sup> . النصّ الأسطوري أورده ابن منظور – لسان العرب مادة نسر، و ابن كثير : الكامل في التاريخ ج1 ص 88

<sup>4</sup> . يقول جلجامش بلُسى على فراق صديقه الأقرب انكيديو: أيّ نوم هذا الذي غلبك و تمكّن منك ؟ لقد طواك ظلام الليل فلم تعد تسمعي ، إذا ما متّ ، أفلا يكون مصيري مثل مصير أنكيديو ؟ ملك الحزن و الأسى روحي. و ها أنا ذا أهيم في القفار و البراري خائفا من الموت. عن طه باقر: ملحمة جلجامش (أوديسة العراق الخالدة) وزارة الثقافة بغداد 1963 ،



## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

فالأحوال النفسية الناتجة عن الحيرة و القلق للمصير و الدّعر ممّا تخبّئه الأيام ، و الفرار من الموت و طلب الخلود طموح مشترك بين أبناء الإنسانية. و لما كان أكثر الشّعْر الجاهلي تعبيرا عن الطبيعة الإنسانية فإنّه عكس لنا ذلك الطموح . فالخلود في رأي الشّاعر العربي قبل الإسلام منوط بالبقاء وعدم الفناء . و قد ثبت لديه أنّ الأحياء عامّة صائرون إلى الموت ، وليس بمقدور أيّ كائن مهما كانت قوّته دفعه أو تجاهله أو الإفلات منه. انطلاقا من ذلك نجد المرقّش الأكبر يقول <sup>1</sup> :

فَأَذْهَبَ فِدَى لَكَ إِبْنُ عَمِّكَ لَا      يَخْلُدُ إِلَّا شَابِيَةً وَ أَدَمٌ <sup>2</sup>

لَوْ كَانَ حَيًّا نَاجِيًا لَنَجَا      مِنْ يَوْمِهِ الْمُرْلَمُ الْأَعْصَمُ <sup>3</sup>

فالشّاعر في رثائه لابن عمّه يعزّي نفسه بأنّه إذا كانت الجبال خالدة بعد مماته فإنّ الأحياء جميعا مآلهم إلى الفناء. و لعلنا نجد في رثاء عدي بن زيد <sup>4</sup> لبعض أهله أفضل تعبير عن تلك الحال التي كان يعانيتها الإنسان العربي اتّجاه الموت و الخلود ، إذ يقول <sup>5</sup> :

مِنْ أَنَاسٍ كُنْتُ أَرْجُو نَفْعَهُمْ      أَصْبَحُوا قَدْ خَمَدُوا تَحْتَ الْبَلَدِ

وَ أَرَانِي جَاهِدًا مِنْ بَعْدِهِمْ      مِنْ عِلَاجِ الْمَالِ تَأْمِيلَ الْبُعْدِ

كَادِحًا أَحْسَبُ أَنِّي مُخْلِدٌ      جَاهِلُ الْيَوْمِ وَ تَيْسِيرِي لِعَدُوِّ

لَا أَرَى حِصْنًا يُنَجِّي أَهْلَهُ      كُلُّ حَيٍّ لِفَنَاءٍ وَ نَفْسٌ

<sup>1</sup> . المفضل الضريبي : المفضليات ص 238 .

<sup>2</sup> . شابة و آدم : جبلان و قيل هضبتان.

<sup>3</sup> . المزلم : الوعل اللطيف الخلق ، و الأعصم : الذي في يديه بياض.

<sup>4</sup> . عن لويس شيخو : النصرانية و آدابها بين عرب الجاهلية ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ص 118.

<sup>5</sup> . عدي بن زيد : الديوان ، ص 43. البلد : المقبرة أو القبر نفسه.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

و الموت يدرك الإنسان و لو نأى عنه في حصن شاهق و هو عاجز عن دفعه و لو امتلك  
قوة عظيمة كما يئكده عنتره العبسي بقوله:

قَالَمُوتٌ لَا يُنْجِيكَ مِنْ آفَاتِهِ حِصْنٌ وَ لَوْ شَيْدَتْهُ بِالْجَنْدَلِ<sup>1</sup>

و كم من مملكة زالت و تهدمت حصونها ، و كان لهم في عاد و ثمود و ممالك اليمن  
و الحيرة وعنده أمثلة يذكرونها في إشعارهم تعبيرا عن سطوة الموت ، في ذلك يقول لبيد  
بن ربيعة و هو يرمي الى ضرورة التحلي بالعزاء و الصبر اتعاضا بأمم خلت من قبل:<sup>2</sup>

و لقد بليت ارم و عاد كيدَه و لقد بَلَتْهُ بَعْدَ ذَاكَ ثَمُودُ

خَلُّوا نِيَابَهُمْ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ فَهَمْ بِأَفْنِيَةِ الْبُيُوتِ هُمُودُ

و يقول أيضا في موضع آخر:<sup>3</sup>

فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِ

نَحُلُّ بِلَادًا كُلُّهَا حُلًّا قَبْلَنَا وَنَرْجُوا الْفَلَاحَ بَعْدَ عَادٍ وَ حَمِيرَ

وَ إِنَّا وَ إِخْوَانًا لَنَا قَدْ تَتَابَعُوا إِلَى لِمُعْتَدِي وَ الرَّائِحِ الْمُتَهَجِّرِ<sup>4</sup>

ينتهي التفكير بليد إلى حتمية الموت ، فالإنسان ضعيف ضعف العصفور الباحث عن  
الرزق ، طامع في الخلود ، بعد فناء أمم كحمير و عاد ، تتابعت متسارعة إلى الاندثار  
كالماشى في فترة الهجر مع ارتفاع درجة الحرارة . فالشاعر العربي اعتقد أن الموت أمر

<sup>1</sup> . عنتره بن شداد : الديوان ، ص 134. الجندل : الصخر العظيم.

<sup>2</sup> . لبيد بن ربيعة : الديوان ، ص 46.

<sup>3</sup> . نفسه ص 71 - 72.

<sup>4</sup> . عصافير: جمع عصفور أي ضعاف صغار . المسحر: المعلل بالطعام و الشراب . الفلاح : البقاء أو العمل الصالح.  
المتهجر: من التهجر و هو السير في الهاجرة و يكون أدعى للسرعة لشدة الحر.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

مقدّر على الإنسان و لا بد من أن يأتيه في موعد محدد له . و لعننا لا نجد خيرا من عمرو بن كلثوم في التعبير عن هذا الاعتقاد و ذلك في قوله:<sup>1</sup>

و أَنَا سَوْفَ تُدْرِكُنَا الْمَنَايَا مُقَدَّرَةً لَنَا و مُقَدَّرِينَا

يذهب جواد علي إلى أنّ القدر و المقدر و المقدور و الأقدار و القضاء من الألفاظ القديمة التي كانت تؤدّي معناها.<sup>2</sup> و هذا يعني أنّ تلك الكلمات ليست من الألفاظ التي نبعت في الإسلام ، حيث نجد إشارة إلى القدر في شعر زهير بن أبي سلمى:<sup>3</sup>

وَجَدْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءٍ مِّنْ تُصِيبُ ثَمَّتْهُ و مِّنْ تُخْطِئُ يُعَمَّرُ فِيهِمْ

ففي هذا البيت يبيّن لنا الشاعر أنّ كلّ ما يقع للإنسان هو مكتوب عليه و ليس باستطاعة أيّ فرد أن يعلم إذا ما كان سيموت شابا أو يطول عمره فيهم ، و ليس له قدرة على سلطان الحظّ. فالشاعر يبدو لنا مستسلما لقوى يعتقد أنّها تسيّر حياته، و هذه القوة الخارقة قدّرت عليه الموت. و من الشعراء الذين أوردوا القدر بهذا المعنى أنس بن مدرك الخثعمي بقوله:<sup>4</sup>

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي كَرِيمٍ قَدْ فُجِعْتُ بِهِ ثُمَّ بَقِيْتُ كَأَنَّـي بَعْدَهُ حَـجْرٌ

لَا أَسْتَكِينُ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ وَلَا أَغْضِي عَلَى الأَمْرِ يَأْتِي دُونَهُ القَدْرُ

<sup>1</sup> . التبريزي : شرح القصائد العشر ص 324 و الزوزني: شرح المعلمات السبع ص 146

<sup>2</sup> . أنظر جواد علي : المفصل في تاريخ العرب، ج 6 ص.

<sup>3</sup> . زهير بن أبي سلمى : الديوان ، ص 70.

<sup>4</sup> . نواذر المخطوطات أسماء المغتالين تحقيق عبد السلام هارون المجموعة السابعة ، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده مصر ، ط 2، 1973 ، ج 2 ص 277.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

فالشاعر هنا مرتجلاً اتجّاه ما قُدّر عليه من محن كانت قضاء مكتوباً. كما نجد أبا خراش

الذهلي في رثاءه لخالد بن زهير يعزّي نفسه بأنّ الموت مقدر على الناس و أنّ أحدا لا

يستطيع دفع المنية عنه، فهي حتمية مطلقة رغم صغر سنّه ، إذ يقول:<sup>1</sup>

أَتَتْهُ الْمَنِيَا وَهُوَ غَضُّ شَبَابُهُ      وَمَا لِلْمَنَائِي عَن حِمَى النَّفْسِ مِنْ عَرْمٍ

وَكُلُّ امْرِيٍّ يَوْمًا إِلَى الْمَوْتِ صَائِرٌ      قَضَاءً، إِذَا مَا حَانَ يُؤْخَذُ بِالْكَظْمِ

وَ مَا أَحَدٌ حَيٌّ تَأَخَّرَ يَوْمٌ — هُ      بِأَخْلَدَ مِمَّنْ صَارَ قَبْلُ إِلَى الرَّجْمِ<sup>2</sup>

و خلص فكر الجاهلي إلى أنّ الرقى و التعاويذ التي يصنعها الكاهن لا تمنع المنية عنه ،

رغم لجوءه إلى عقد التمام و وضع الخرز اتقاء أسباب الموت ، و مصداقا لذلك ما نجده

في البيت التالي:<sup>3</sup>

وَ إِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا      أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ<sup>4</sup>

فالشاعر يشبّه الموت بالوحش الذي غرس أظافره في فريسته لا يرغب في التخلي عنها ،

حيث لا ينفعه وضع التمام. وفي نفس المعنى يشير امرؤ القيس إلى طب تقليدي متمثل في

خرز كالمعاذة يُشدّ على يد الصبيّ أو رجله دفعا للعين التي يُعتقد أنّها من أسباب المنية،

<sup>1</sup>. أبو سعيد الحسن السكري: شرح أشعار الهذليين، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1995، ص 1225.

<sup>2</sup>. الكظم : مخرج النفس. الرجم : القبر

<sup>3</sup>. الأصفهاني : الأغاني ج 15 ص 79.

<sup>4</sup>. التميمية : توضع لدفع الضرر أو جلب الحظّ كقول المرقيش : لا يمنعك من بغاء الخير تعقاد التمام .

في قوله:<sup>1</sup>

مُرْسَعَةٌ بَيْنَ أَرْسَاغِهِ      به عَسَمٌ يَبْبَغِي أَرْزَبَا<sup>2</sup>

لِيَجْعَلَ فِي رِجْلِهِ كَعْبَهَا      حِذَارَ الْمَنِيَّةِ أَنْ يَعْطَبَا

و من معتقدات العرب أنهم كانوا يعلّقون على اللديغ نجاسة<sup>3</sup> اتقاء الموت ، و ذلك في قول

الشاعر:<sup>4</sup>

وَلَوْ كَانَ عِنْدِي حَازِيَانٌ وَ كَاهِنٌ      وَ عُلِقَ أَنْجَاسًا عَلَى الْمُجَسِّ<sup>5</sup>

إِذَا لَأْتَنِّي حَيْثُ كُنْتُ مَنِيَّتِي      يَخِبُ بِهَا هَادٍ إِلَى مَعْرَسِي

فالعربي كان يخشى الموت فهو يرى صورتها في تقلبات بيئته الطبيعية الصحراوية القاسية

بين الخصب و الجذب ، و في الحروب الدموية المستمرة بين قبيلته و القبائل الأخرى .

و هي صور كانت تحرمه من الشعور بالأمن و الاستقرار، و انعكس هذا التفكير على شعره

في أغراض شتى ليس فقط الرثاء . فهذه الصورة التي توارثها الشعر العربي عن عبثية الزمن

و مكره بالإنسان تعود أساسا إلى موقفه من الدهر .<sup>6</sup> فنتشاومه واستسلامه للقدر جعله يشتكى

<sup>1</sup> . امرؤ القيس : الديوان ، ص 79 .

<sup>2</sup> . يقال رسغ الصبي ترسيغا : شدّ في يده أو رجليه خرزا أو كعب أرنب ليدفع عنه العين الرسغ : المفصل بين الساعد و الكتف . العسم : اليبس في مفصل الرسغ .

<sup>3</sup> . كقول أبي ذؤيب الهذلي (عن شرح أشعار الهذليين ، ج 1 ص 218) :

لِسَانِيهِ طُولُ الصَّرَاعَةِ مِنْهُمْ      وَ دَاءٌ قَدْ أَعْيَا بِالْأُطْبِيَّةِ نَاجِسُ

<sup>4</sup> . أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني جزء 15 ص 79 .

<sup>5</sup> . النّاجس و المنجس: الداء الذي لا يبرأ ، و هو المرض الشديد و الخبيث ، الصرّاعة : الخضوع .

<sup>6</sup> . جاء ذلك في سورة الجاثية الآية 24: " وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤)

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

يشتكي من عبث الدهر . و أبرز صفة تعلّقت بالدهر هي المكر و الإساءة <sup>1</sup> ، فقد شخّصه الشعراء و بثّوا فيه الروح و الحركة و جعلوه كإنسان يتّصف بالخداع و تسديد السهام

الصائبة ، كتصوير عدي بن زيد للدهر المختال:<sup>2</sup>

فَوَقَّ الدَّهْرُ إِلَيْنَا نَبْلَهُ      عَلَا يُقْصِدُنَا بَعْدَ نَهْلٍ

كما عان الأعشى من الخداع نفسه في قوله:<sup>3</sup>

وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَاتِرٌ      إِذَا أَصْلَحَتْ كَفَّايَ عَادَ فَأُفْسَدَا

كما رأى عبد الله بن الزعري أنّ مصائب الدهر و حوادثه لا تدع إنسانا إلّا تلاعبت به ، و نزعت عنه متعة العيش لتودي به إلى الموت و الفناء ، في قوله:

كُلُّ بُؤْسٍ وَ نَعِيمٍ زَائِلٌ      وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلِّ

و ها هو ذا امرؤ القيس يعطي للدهر صورة مخيفة ن اعتا إياه بالتلون و عدم الوفاء بالعهد ، فهو وحش يلتهم الملوك ، في قوله:<sup>5</sup>

أَلَمْ يُخْبِرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غُولٌ      خَنُورُ الْعَهْدِ يَنْتَقِمُ الرَّجَالَا

أَزَالَ عَنِ الْمَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ      وَقَدْ مَلَكَ السَّهْوَلَةَ وَ الْجِبَالَا

<sup>1</sup> . وكان بعض الشعراء يسبّون الدهر حين يتذمرون من نوازله ، حيث أنّ أحد الشعراء المجهولين لقّب بشاتم الدهر العبدى . و لشيوع ظاهرة سبّ الدهر عمل الرسول(ص) على النهي عن ذلك فقد جاء في حديث صحيح قوله " لا تسبوا الدهر فإنّ الله هو الدهر " صحيح مسلم، و في حديث قدسي شريف : " يؤذيني ابن آدم بسبّه الدهر و أنا الدهر بيدي الأمر،أقلب الليل والنهار " . تفسير ابن كثير.

<sup>2</sup> . عدي بن زيد : الديوان ، ص 99 . فوق السهم : هياً للرمي و سدده . العلل : الشرب الثاني و النهل : أول الشرب . و معنى البيت أنّه رماه أو طعنه فلم يخطئه .

<sup>3</sup> . الأعشى : الديوان اللبيبي ، ص 135 . و القصيدة قيلت في مدح النبي محمد صلى الله عليه و سلم ، الخاتر : الغادر .

<sup>4</sup> . ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ج 1 ص 237 .

<sup>5</sup> . امرؤ القيس : الديوان ، ص 146 . المصانع : الحصون و ذو ريش : الرئش بن قيس من ملوك اليمن

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

فإذا كان الموت حدًّا فاصل بين تمتّع الفرد بعيشه، و الحياة مجال رحب لتحقيق المتع، جعل

هذا الشعراء يغتنمون العيش و يأخذون من متعه قبل أن يخدعهم الدهر فيفرونهم . من ذلك

ما ردّ به أوس بن حجر على عاذلته التي حاولت منعه عن الخمر:<sup>1</sup>

إِنْ أَشْرَبِ الْخَمْرَ أَوْ أَرْزَأْ لَهَا ثَمًّا      فَلَا مَحَالَةَ يَوْمًا أَنْتِي صَاحِي

وَ لَا مَحَالَةَ مِنْ قَبْرِ بِمَخْنِيَّةٍ      وَكَفَنِ كَسْرَةَ الثَّوْرِ وَضَّاحٍ<sup>2</sup>

فالشاعر مدرك لحتمية الموت فهذا شيء متوقّع حدوثه في أيّ وقت ، إلاّ أنّه يتمنى أن يكون

قد أخذ وترا من الحياة. و في نفس مجال يقول طرفة بن العبد أيضا:<sup>3</sup>

أَلَا أَيُّ هَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرِ الْوَعَى      وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ، هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي      فَدَعْنِي أَبَادِرَهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

فلسفة طرفة تتجلى في اقتناعه بلقّ الحياة فانية، و لما كان الأمر كذلك فعليه أن يتزوّد منها

و يعترف من لذاتها ما استطاع . و هو ينعي على الذين يnehونه أو يلومونه على تمتّعه

بالشرب ، كما أنّ عليه أن يكون شجاعا أمام الموت ما دام أحد لا يستطيع النجاة منه.

و الظاهر أنّ الشعراء الجاهليين لم يكفروا متدينين بحيث لم يذكر أحد الأصنام و الأوثان

التي كان يعبدها في شعره و الذي يتحدّث فيه عن الموت أو طلب عونها في دفع المنية عنه

باعتملوه -في معتقداتهم- قوى لها قدرات العون و الشفاعة.

<sup>1</sup> . أوس بن حجر : الديوان ، ص 14

<sup>2</sup> . المحنية : ما انعطف من الوادي . و سراة الثور : ظهره.

<sup>3</sup> . طرفة بن العبد : الديوان ، ص 25 .

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

و نخلص إلى أنّ العرب كانوا يعيشون فراغا روحيا راجع إلى افتقارهم إلى عقيدة دينية وعقيدة تجعل لحياته م معنى و هدفاً ، و تفسّر له م لغز الحياة و الموت و ما بعده. إذ كانت لهم نظرة إلى الرّوح حسب إيماناتهم ومعتقداتهم ، يلخصها المسعودي فيقول : " كانت للعرب مذاهب في الجاهلية في النفوس ، و آراء يتنازعون في كيفيتها ، فمنهم من زعم أنّ النّفس هي الدم لا غير ، و أنّ الروح الهواء الذي في باطن جسم المرء منه نفسه ، و لذلك سمّوا المرأة منه نفساء ، لما يخرج منها من الدم . و من أجل ذلك تنازع فقهاء الأمصار فيما له نفس سائلة إذا سقط في الماء : هل ينجسه أم لا ؟ قال تأبط شرا لخاله الشنفرى الأكبر و قد سأله عن قتيل قتله كيف كانت قصته؟ فقال: " أجمته غضبا فسالت نفسه سكباً .<sup>1</sup> و في ذلك يقول السموأل:<sup>2</sup>

تَسِيلُ عَلَيَّ حَدَّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنَا      وَ لَيْسَتْ عَلَيَّ غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسْرِيهُ

إنّما سمّي الدم نفسا لأنّ النّفس تخرج بخروجه .<sup>3</sup> و من الشعراء من أشار إلى فكرة التلاشي الكلّي للجسد و الروح بعد الموت عبيد بن الأبرص حيث قال:<sup>4</sup>

هَلْ نَحْنُ إِلَّا كَأَجْسَادٍ تَمُرُّ بِهَا      تَحْتَ التُّرَابِ وَ أَرْوَاحُ كَأَرْوَاحِ

و ما يقصده أنّ أرواح النّاس بعد الموت هي أشبه شيء بالرياح ، حيث ينتهي بها الأمر إلى التراب و هكذا الأجساد تقفوا أثرها ، و يصيبها من التغيير والتلاشي ما يصيب

<sup>1</sup> . المسعودي : مروج الذهب ج2 ص 153 .

<sup>2</sup> . ابن منظور : لسان العرب ج6 ص 233 مادة نفس .

<sup>3</sup> . نفسه مادة نفس .

<sup>4</sup> . عبيد بن الأبرص : الديوان ، ص 51 .



## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

الأجسام.<sup>1</sup> إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بأنّ الجاهليين كلّهم كانوا يرون أنّ الروح تموت بموت الجسد ، و خير دليل على ذلك ما ظهر في أشعارهم من تصوّرهم أنّ الروح تصبح في شكل طائر شبيه بالبوّة يطلق عليه اسم الصّدى<sup>2</sup>، ينبعث من رأس الميت أو من بقايا عظامه و ينادي اللّيل كلّه: اسقوني، اسقوني .حتّى يُقتل قاتله و يسمّونه أيضا الهامة.<sup>3</sup> فهاهو ذا عروة بن الورد مقتنع بأنّه سيصبح بعد موته هامة تصيح فوق قبره:<sup>4</sup>

أَحَادِيثُ تَبْقَى وَ الْفَتَى غَيْرُ خَالِدٍ إِذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً فَوْقَ صَيْرٍ

مثل ذلك ما اعتقد هقران الضبيّ من أنّه سيؤول إلى هامة تصيح ، فيجاوب صياحها هام كثيرة لموتى آخرين:<sup>5</sup>

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَـا يَقُولُ مُخَارِقٌ إِذَا جَاوَبَ الْهَامُ الْمُصِيحُ هَامَتِي  
وَ دُلَيْتُ فِي زَوْرَاءِ يُسْفَى تَرَابُهَا عَلَيَّ، طَوِيلًا فِي تَرَاهَا إِقَامَتِي

و يبدو أنّ الذي ساعد على هذا الاعتقاد وجود طيور كالبوم تآلف المقابر و الأماكن المقفرة إضافة إلى تشاؤمهم من أصواتها. كما اعتقد العرب قديما أنّ الهامة قادرة على إدراك الأفعال التي يقوم بها أهل الميت فتخبره بها .

<sup>1</sup> . غير أنّ امرؤ القيس تساءل عن مصير الروح بعد أن تفارق الجسد في ديوانه ص 217 فقال:

لَيْتَ شِعْرِي، وَ لَلَيْتِ نَبُوءَةٌ أَيْنَ صَارَ الرُّوحَ إِذْ بَانَ الْجَسَدُ؟

<sup>2</sup> . الزبيدي : تاج العروس مادة صدى.

<sup>3</sup> . كقول ذي الأصبغ العدوانى في ديوانه ص 62 و في لسان العرب م 12 ص 624

يَا عَمْرُو إِلا تَدْعُ شَتْمِي وَ مَنْقَصَتِي أَضْرُوكَ حَتَّى تَقُولُ الْهَامَةُ اسقوني.

<sup>4</sup> . عروة بن الورد : الديوان ،دراسة و شرح و تحقيق أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية بيروت ،1998، ص65 .

<sup>5</sup> . المرزباني : معجم الشعراء ص 135. الزوراء : البئر البعيدة القعر . الهام : جمع هامة

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

جاء مثل ذلك في بيت نسب لأمية بن أبي الصلت:<sup>1</sup>

هَامِي تُخْبِرُنِي بِمَا تَسْتَشْعِرُونَ      فَتَجَنَّبُوا الشَّنْعَاءَ وَ الْمَكْرُوهَا

هذا البيت الشعري يظهر لنا تخيل الشاعر بلقن الميِّت لا يفقد إحساسه بالعالم الآخر بعد موته، إذ يوصيهم بالخلق الحميدة، لأنه يعلم أخبارهم فهامته تزور أهله و تخبره بما فعلوا بعده. و صياح الهام جعل العرب ينسجون خرافة طلب السقي من دم القاتل . بحيث نلمس فيها دعوة لطلب الثأر ، و هذا كان أمراً شائعاً في الجاهلية إذ تصوّروا أنهم يرضون به الميِّت و يكفون شره من ناحية و يثبتون به قوتهم لخصومهم من ناحية أخرى.

كما كان للمرأة دوراً مهماً في التحريض على الأخذ بالثأر، فمثلاً نجد هند بنت حذيفة في رثاء أخيها تدفع الهمم و تثير النفوس للأخذ بثأره ، فإن لم يفعلوا فسيكونون كالإماء العواهر، و ذلك قمة التأثير لمساسها و إنقاصها لرجولتهم<sup>2</sup> ، حيث تقول :

فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَطُورُوا الْهَامَ غَارَةً      يُحَدِّثُ عَنْهَا وَارِدٌ بَعْدَ صَادِرِ

وَتَرْمُوا عُقَيْلاً بِالَّتِي لَيْسَ بَعْدَهُ .      بَقَاءً فَكُونُوا كَالْإِمَاءِ الْعَوَاهِرِ

و لكي ترقى المشاركة القومية في الحدث كانت النسوة تقوم بطقوس معروفة عند العرب و استمرت إلى مدة زمنية قبل أن يحرمها الإسلام ، و هي ارتداءهنّ للأسود من الثياب و ارتفاع الصراخ و العويل . كما يعمدن الى حلق الشعور<sup>3</sup> و لطم الخدود و شقّ الجيوب

<sup>1</sup> . أمية بن أبي الصلت : الديوان ، ص 35.

<sup>2</sup> . طيمور: بلاغات النساء ص 271 عن الصورة الفنية في شعر الرثاء الجاهلي . رسالة دكتوراه ص 81 للطالبة صلوح بنت مصلح بن سعيد 1998م بكلية التربية للبنات جدة قسم اللغة العربية.

<sup>3</sup> . في ذلك يقول ليبيد بن ربيعة في ديوانه ص 79:

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

و تعداد المحاسن خاصة من أهل الميِّت . و قد يمكَّننا ذلك من تصوّر شناعة و هول المنظر و تأثيره و دفعه للرجال للأخذ بنأر الميِّت . و نتذكر في السيرة النبوية ما قامت به هند بنت عتبة - حسب ما يرويه المؤرِّخون - بعد غزوة بدر من تكثيف للمنظر الدرامي بعد قتل أبيها و أخيها . إلّا أنّ الإسلام نهى عن الاعتقاد في الهام ، فعن أبي هريرة أنّ الرّسول صلّى الله عليه و سلّم قال : " لا عدوى و لا طيرة و لا هامة و لا صفر .<sup>1</sup>

### المطلب الثاني: البعث والحساب

و إذا كان الشعراء الجاهليون قد تحدثوا عن استسلامهم للموت و عن تحولهم إلى هام إلا أنهم لم يجتمعوا على حقيقة بعث الأجساد بعد الموت فأكثر الوثنيين أنكر البعث مع إقرارهم بالخالق، فقالوا: " أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَّابًا أُنَّا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾<sup>2</sup> و كقوله تعالى مخبراً عن استهزائهم بالرسول (ص) لتوكيده أمر البعث : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّنْكُمْ لَبِئْسَ خَلْقٍ كَذِبٍ ﴿٧﴾ " .<sup>3</sup> و ثمة

آيات كثيرة يعرض فيها القرآن الكريم لأقوال المشركين و جدالهم حول البعث و النشور و الثواب و العقاب<sup>4</sup> . و هذا دليل على أنّ العرب عرفوا البعث ، إلّا أنهم اعترفوا بأنّه من

فَقَوْمًا فَقَوْلًا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمْ—  
إِلَى الْحَوْلِ تَمَّ أَسْمُ السَّلَامَةِ عَلَيْكُمَا  
وَ لَا تَحْمِشْنَا وَجْهًا وَلَا تَخْلِقَا شَعْرَ  
وَ مَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ

<sup>1</sup> . صحيح البخاري ج 4 ص 456 فصل التطير .

<sup>2</sup> . سورة الصافات الآية 16 - 17

<sup>3</sup> . سورة سبأ الآية 7

<sup>4</sup> . سورة يس الآية 78 ، السجدة الآية 10 ، الأنعام الآية 29 ، الرعد الآية 5 ، النحل الآية 38.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

أساطير الأولين<sup>1</sup> . و لكنهم لا يابهن بها و يعدونها من قبل الخرافات التي لم تثبت صحتها ، لأن آباءهم قد وعدوا بذلك من قبل . و من أشعار الجاهليين الدالة على إنكار

البعث قول عبد الله بن الزبيري و الذي يبين فيه أن الحديث عنه ضرب من الوهم:

حَيَاةٌ ثُمَّ مَوْتُ ثُمَّ نَشْرٌ      حَدِيثُ خُرَافَةٍ يَا أُمَّ عَمْرُو<sup>2</sup>

و قال شداد بن الأسود الليثي يرثي قتلى بدر من المشركين و يتهم بما جاء به محمد صلى الله عليه و سلم<sup>3</sup>:

أَلَا مَنْ مَبْلَغِ الرَّحْمَنِ عَنِّي      بَأْنِي تَارِكُ شَهْرِ الصِّيَامِ  
إِذَا مَا الرَّأْسُ زَاغِي مُنْكَبِيهِ      فَقَدْ شَبَعَ الْأَرْحَمِ مِنَ الطَّعْمِ  
أَيُوعِدُنَا ابْنُ كَبْشَةَ أَنَّ سَنَحِي      وَ كَيْفَ حَظِيَّةُ أَصْدَاءٍ وَ هَامِ  
أَيَعْجُزُ أَنْ يَرُدَّ الْمَوْتَ عَنِّي      وَ يُنْشُرُنِي إِذَا بَلَيْتَ عِظَامِي<sup>4</sup>

فقضية البعث و الحساب كانت من أهم الموضوعات التي جادل فيها الجاهليون الرسول صلى الله عليه و سلم ، فمنهم من أنكرها و منهم من كان مؤمنا بها ، و ذلك يرجع إلى الموروث الديني الذي كان مترسّخا في أذهان العرب . فهذه المعتقدات لم تأت من اليهودية

<sup>1</sup> . لقوله تعالى: " بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (81) قَالُوا أُنَدَا مِثْنَا وَكُنَّا نُرَابَا وَعِظَامَا أَنِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (82) لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ " سورة المؤمنون 81-83

<sup>2</sup> . الألويسي : بلوغ الإرب ، ج 2 ص 198 . وخرافة رجل من بني عذرة استهوته الجن فلما خلت عنه رجع إلى قومه وجعل يحدثهم بالأعاجيب التي رآها فكذبوه ، فكانت العرب إذا سمعت حديثا لا أصل له قالت حديث خرافة . ثم كثر هذا في كلامهم حتى قيل للأباطيل و الترهات خرافات .

<sup>3</sup> . رويت بصور مختلفة في سيرة ابن هشام (13/1) و بلوغ الإرب (92/2)

<sup>4</sup> . يريد بابت كيشة النبي محمد صلى الله عليه وسلم نسبة لأحد أجداده و هو لقب أطلقه اليهود عليه . في موضع آخر ذكر البيت على هذا الشكل : أتترك أن ترد الموت عني و تحييني إذا بليت عظامي

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

أو المسيحية بل من عقيدة أخرى قديمة آمن بها أسلافهم و هي بوقية من الحنيفية. فعدد غير قليل من شعراء الجاهلية من ذكروا البعث و الحشر و الحساب ، إلا أنهم لم يتوسعوا في توضيح صورة ذلك العالم الآخر ، بل اقتصر بعضهم على ذكر أنهم سيبعثون و بالتالي سيكونون في حاجة إلى ناقة يرتح لون عليها. و من ذلك قول عمرو بن زيد المتمني يوصي ابنه عند موته<sup>1</sup> :

أَبْنِي زُوْدْنِي إِذَا فَارَقْتَنِي      فِي الْقَبْرِ رَاحِلَةً بِرَحْلِ فَاتِرِ  
لِلْبُعْثِ أَرْكَبُهَا إِذَا قِيلَ : اظْعُنُوا      مُسْتَوْتَقِينَ مَعَ لِحْشِرِ الْحَاشِرِ  
مَنْ لَا يُؤَافِيهِ عَلَى عَنَرَاتِهِ      فَالْخُلُقُ بَيْنَ مُدْفَعٍ وَ عَآثِرِ

و الحق أنّ الإنسان منذ ظهور الحضارات المدوّنة تاريخيا على عهد السومريين و قدماء المصريين و غيرهم، كان على شيء من اليقين بمواصلة الروح للحياة . و خير دليل ملموس يمكن الاستدلال به على ذلك هو تزويد الأحياء للميت لدى الدفن بما يحتاج إليه من طعام و ماء وأدوات<sup>2</sup>، و هي أفكار تختلف بحسب المعتقدات من حضارة إلى أخرى. و ربما رأى العربي أنّ الحياة الثانية هي شبيهة بالحياة الدنيا، فهو يحتاج إلى مستلزمات من راحلة تبعث معه لتساعده على النفير، و أطلق عليها اسم البليّة . فإذا مات الرّجل عمدوا إلى راحلته فوقفوها على قبره معكوسة رأسها على يدها ملفوفة الرأس في وليّتها<sup>3</sup>، فلا تعلف و لا تسقى

<sup>1</sup> . الألويسي: بلوغ الإرب ج2 ص 309.

<sup>2</sup> . أنظر وطي ديوارنت: قصة الحضارة ج2 ص 30 ترجمة محمد بدران. دار الجيل للطبع و النشر بيروت.

<sup>3</sup> . الوليّة : البردعة ، كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله ، فكانوا يتقبونها و يجعلونها في عنق البليّة.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

حتى تموت ليركبها إذا خرج من قبره ، و كانوا يقولون: إذ لم يفعل هذا حُشِر على رجليه <sup>1</sup>.

و لعلّ أبرز صورة قدّمت للحشر تلك التي وردت في شعر يُنسب إلى قسّ بن ساعدة

الإيادي، يبيّن فيها قيام الناس من قبورهم إثر صيحة عظيمة، و هم بين عار و بين مرتد

ثيابا جديدة أو مرتد ثيابا بالية ، ربّما إشارة إلى زمن موتهم:<sup>2</sup>

يَا بَالِييَ الْمَوْتِ وَالْأَمْوَاتُ فِي جَدَثٍ      عَلَيْهِمْ مِنْ بَقَايَا بَزَّهِمْ خِرَقُ

دَعُهُمْ، فَإِنَّ لَهُمْ يَوْمًا يُصَاحُ بِهِمْ      كَمَا يُنْبَهُ مِنْ نَوْمَاتِهِ الصَّعِقُ

حَتَّى يَجِيئُوا بِحَالٍ غَيْرِ حَالِهِمْ      خَلَقَ مَضَى ثُمَّ هَذَا بَعْدَ ذَا خَلَقُوا

مِنْهُمْ عُرَاةٌ وَ مِنْهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ      مِنْهَا الْجَدِيدُ وَمِنْهَا الْأَزْرَقُ الْخَلَقُ<sup>3</sup>

ثم إنّ الإيمان بالحشر يعني بالضرورة الإيمان بالحساب كقول أميّة بن أبي الصلت أو فيما

نسب إليه<sup>4</sup>:

و لَا يَوْمَ الْحِسَابِ وَ كَانَ يَوْمًا      عَبُوسًا فِي الشَّدَائِدِ قَمَطَرِيرًا\*

كما آمن زهير بن أبي سلمى ب أن الإنسان مبعوث يجازيه الله على أعماله إن خير فخير

و إن شرا فشر و قد يعاقب في الدنيا ،

في قوله:<sup>5</sup>

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ      لِيَخْفَى ، وَمَهْمَا يُكْتَمَ اللَّهُ يَعْلَمُ<sup>1</sup>

<sup>1</sup> . ابن حبيب : المحبر ص 324

<sup>2</sup> . ابن حزم : الملل و النحل ج 2 ص 242

<sup>3</sup> . البرّ: الحرير. الصعق: الذي يغشي عليه من صوت يسمعه. الديوان ص 109. قصيدة 1

<sup>4</sup> . ديوان أميّة بن أبي الصلت ط1، ص 68. \* القمطيرير : اليوم الشديد.

<sup>5</sup> . شرح القصائد العشر ص 179.

يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيَدَّخَرُ      لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلُ فَيُنْقَمَ

2 إلا أننا نجد إشارات إلى ما يأتي بعد الحساب من جنّة و نار في بيت لورقة بن نوفل

و آخر لعدي بن زيد<sup>3</sup>. و في بيت نسب إلى زيد بن عمرو بن نفيل يذكر الجمع " جنان":<sup>4</sup>

تَرَى الْأَبْرَارَ دَارُهُمْ جَنَّاتٌ      وَ لِلْكَفَّارِ حَامِيَةٌ سَعِيرٌ<sup>5</sup>

و يبدو في هذا البيت تأثيرا واضحا بالمصطلحات التي سادت في فترة ما بعد الإسلام كالكفار

و الأبرار و السعير ، و هذا ما يجعلنا نشكّ في هذا البيت . و قد نخلص إلى أنّ أغلب

الشعراء<sup>6</sup> من تحدّث عن البعث و الحساب أو الجنّة و النَّارِ إلاّ و هو مؤمن بالله و فيه بقية

من الأديان السماوية خاصة الحنيفية ، و مع قدم العهد بها رسخت هذه المعتقدات في الذاكرة

الشعبية و ظلت معروفة بصورة مشوشة ، و الدليل على ذلك اعتناءهم بالميت من غسل

و تكفين رغم وثنيّتهم.

### المطلب الثالث : طقوس الدفن في الشعر الجاهلي

<sup>1</sup>. في الديوان ص 68 نجد نفوسكم عوض صدوركم.

<sup>2</sup>. رَشِدَتْ وَ أَنْعَمَتْ ابْنُ عَمْرٍو وَ إِئْمَا      تَجَنَّبَتْ تَنْوَرًا مِنَ النَّارِ حَامِيَا

ورقة بن نوفل مبشر الرسول صلى الله عليه و سلم جمع و تحقيق و دراسة غسان عزيز حسين ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط1، 2002 ، ص 151. رشتت أي بالغت في الرشد. ابن عمرو : هو زيد بن عمرو بن نفيل . أراد بنتور من الله : نار جهنم حامية.

يقول ورقة رثائه لزيد بن عمرو: لقد اهتديت في عمك و فعلت و بذلك بعدت عن نار جهنم المحترقة ووفيت جسديك منها.

<sup>3</sup>. أَعَادَلُ مَنْ تُكْتَبُ لَهُ النَّارُ يَلْقَاهَا      كِفَاحًا وَ مَنْ يُكْتَبُ لَهُ الْفَوْزُ يَسْعُدُ .      عن ديوانه ص 103.

<sup>4</sup>. قال ابن إسحاق: أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسندا ظهره إلى الكعبة، و هو يقول: يا معشر قريش، و الذي نفس زيد بن عمرو و بيده، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري ثم يقول: اللهم لو أني أعلم أيّ الوجوه أحبّ إليك عبدتك به و لكني لا أعلمه يسجد على راحله.

<sup>5</sup>. ابن هشام السيرة النبوية ص 111 .

<sup>6</sup>. ورقة بن نوفل- أمية بن أبي الصلت- عدي بن زيد- الأعشى- قس بن ساعدة.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

ذكرت هذه الطقوس<sup>1</sup> الجنائزية في مواضع عدة خاصة في شعر الرثاء كقصيدة امرئ القيس و التي قالها في مقتلة أكل المرار على يد المنذر بن ماء السماء بالحيرة<sup>2</sup>:

فَلَوْ فِي يَوْمٍ مَعْرَكَةٍ أُصِيبُوا      وَ لَكِنْ فِي دِيَارِ بَنِي مَرِينَا  
وَ لَمْ تُغَسَّلْ جَمَاجِمُهُمْ بِغُسْلٍ\*      وَ لَكِنْ فِي الدَّمَاءِ مُرْمَلِينَا<sup>3</sup>

أما في قصيدة للأفوه الأودي فهو يصور لنا و يدقق لنا الصورة لما يقوم به أهله اتجاه جسده بعد الموت من تجهيز يجمع الغسل والتكفين وإنزاله إلى القبر و رصّ الحجارة فوقه و إهالة التراب ، إذ يقول و كأنه يعيش اللحظة التي يصفها<sup>4</sup>:

وَ مَا خِلْتُ يُجِدِينِي أُسَاتِي وَ قَدْ بَدَتْ      مَفَاصِلُ أَوْصَالِي وَ قَدْ شَخَّصَ الْبَصِيرَ  
وَ جَاءَ نِسَاءُ الْحَيِّ مِنْ غَيْرِ أَمْرَةٍ      زَفِيْفَا كَمَا زَفَّتْ إِلَى الْعَطْنِ الْبَقْرَ  
وَ جَـأَوْأُوا بِمَاءٍ بَـأَرِدٍ وَ بَغْسَلَةٍ      فَيَا لَكَ مِنْ غُسْلٍ سَيَتَّبَعُهُ غَبَزَ

إلى أن يقول:

<sup>1</sup>. يُعرّف فراس السواح الطقس في كتابه "الأسطورة و المعنى" ص 129 على: "أنه مجموعة من الإجراءات و الحركات التي تأتي استجابة للتجربة الدينية الداخلية و تهدف إلى عقد صلة مع العوالم القدسية ". فالطقس هو جسر بين المتعبد و قوى قدسية معينة تزداد فعالية و غنى كلما كان المعتقد أكثر وضوحا و تعقيدا و الدليل على ذلك ما يراه محمد أركون حيث يقول: " الأديان و المعتقدات هي أنماط لصياغة طقسية و شعائرية تساعد على دمج الحقائق الأساسية و صهرها في أجسادنا لتتحكم بوجودنا كله . فالطقس هو ناتج لمعتقد معين إلا أنه يعود ليأثر على المعتقد فيزيد في قوته من خلال الطابع الجمعي الذي يميزه بحيث يعطي للأفراد الإحساس بوحدة إيمانهم و معتقدتهم.

<sup>2</sup>. امرؤ القيس : الديوان، ص 162. أنظر جرجي زيدان : تاريخ العرب قبل الإسلام ص 245

<sup>3</sup>. مرملين: ملطخين بالدماء. بنو مرينا: قوم من أهل الحيرة.

\* و في أدیان العرب لمحمد نعمان الجار الجارم ص 67: وَ لَمْ تُغَسَّلْ رُؤُوسَهُمْ بِسَدْرِ.

<sup>4</sup>. الأفوه الأودي: الديوان(الطرائف الأدبية) ص 15. الأساة: جمع الآسي و هو الطبيب. زفّ: أسرع المشي. العطن: مريض البقر و الغنم. شخّص البصر: فتح عينيه وجعل لا يطرق . الغسلة: الحطمي : نبات يحلل بالماء و هي العظة. رمّ الثوب: أصلحه. ورنّ: صاح



## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

فَرَمُوا لَهُ أَثْوَابَهُ وَ تَفَجَّعُوا  
وَرَنَّ مَرِنَاتٌ وَ نَارَ بِهِ النَّفْسُ  
إِلَى حُفْرَةٍ يَأْوِي إِلَيْهِ — بِسَـعِيهِ  
فَذَلِكَ بَيْتُ الْحَقِّ لَا الصَّوْفُ وَالشَّعْرُ  
وَ هَالُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ رَطْبًا وَ يَابِسًا  
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَّا سِوَى ذَلِكَ يُخْتَبَرُ

فالشاعر هنا يسخر من فائدة الغسل إذا هو وضع في التراب. و كانوا يضعون في ماء الغسل ما يساعد على النظافة من سدر أو أشنان و يغسلون رؤوسهم و لحاهم<sup>1</sup> ، و استمر ذلك بعد الإسلام. فهذا الطقس ربما يكون من بقايا الحنيفية، و قد يكون دالا على غسلهم لذنوب الميت من رجس الحياة الدنيا، ليستقبل حياة أخرى مطهرا. و إن لم يفعلوا ذلك اعتبر معارة مثل ذلك ما حدث لأبي لهب<sup>2</sup> و الذي مات بالعدسة.<sup>3</sup> و من شعائر الدفن أنهم كانوا يكفنون الميت مع وضع الحنوط<sup>4</sup> ثم يحمل على سرير. جاء ذلك في قول عنترة العبسي:<sup>5</sup>

وَ أَحْمِي حِمِّي قَوْمِي عَلَى طُول مُدَّتِي      إِلَيَّ أَنْ أَرَانِي فِي اللَّفَائِفِ أُدْرَجُ<sup>6</sup>

فهو يفخر بدافعه عن حمى قبيلته إلى أن يكفن فيقبر. و قد جاء ذكر الحنوط و ترجيل<sup>7</sup>

الشعر و الكفن في شعر يزيد بن حذاق حيث قال:<sup>1</sup>

<sup>1</sup> . علي الجارم: أديان العرب ص 87

<sup>2</sup> . حيث تركه أبناءه ليلتين أو ثلاثا لا يدفنه حتى أنتن في بيته ، فقال لهما رجل من قريش : ويحكما ألا تستحيان... انطلقا فلنا معكما : فما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد لا يمسونه ، أنظر طبقات ابن سعد ص 74.

<sup>3</sup> . العدسة: مرض معد خافه العرب مثل الطاعون.

<sup>4</sup> . الحنوط: كتاب عطر مركب من أشياء طيبة الرائحة يخلط للميت.

<sup>5</sup> . الخطيب التبريزي : شرح ديوان عنترة ، دار الكتاب العربي لبنان، ط 1، 1993، ص 42.

<sup>6</sup> . اللفافة: ما يلف به على الرجل و غيرها ، جمعه لفائف يراد بها هنا الكفن.

<sup>7</sup> . الترجيل: تسريح الشعر و لم يقر الشرع الإسلامي ذلك.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

قَدْ رَجَلُونِي وَبِالشُّعْرِ مِنْ شَعَتِ      وَ أَلْبَسُونِي ثِيَابًا غَيْرَ أَخْلَاقِ  
وَ طَيَّبُونِي وَ قَالُوا أَيُّمَا رَجُلٍ      وَ أَدْرَجُونِي كَأَنِّي طِيٌّ مِخْرَاقِ  
وَأَرْسَلُوا فِتْنَةً مِنْ خَيْرِهِمْ حَسَبًا      لِيُسْنِدُوا فِي ضَرِيحِ الْقَبْرِ أَطْبَاقِي

و دفن العرب موتاهم بملابسهم وغطوا وجوههم إذا توفتھم المنية بالأماكن المقفرة. و كانوا يصلون على الميت بذكر محاسنه و آثاره خاصة إذا كان سيدا عظيما في قومه. والإعلان على موت الشخص يكون بالبكاء والعيول، سمي ذلك المناحة وهي تستمر مدة سبعة أيام، تندب فيها النساء وتتوح في الصباح والمساء، وفي أيديهن النعال تصفقن بها وجوههن و صدورهن. كما نجد مالك بن الربيع يسخر من قول مشيعي ه حسب التقاليد الاجتماعية العربية "لا تبعد"<sup>2</sup> :

يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَ هُمْ يَدْفِنُونِي      وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا<sup>3</sup>

أو كقول الخنساء في رثاء أخويها:<sup>4</sup>

فَلَا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ صَخْرًا وَ عَهْدَهُ      وَ لَا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ رَبِّي مُعَاوِيَا  
وَ لَا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ صَخْرًا فَإِنَّهُ      أَخُو الْجُودِ يَبْنِي لِلْفِعَالِ الْعَوَالِيَا

<sup>1</sup> . أنظر علي الجارم : أديان العرب ص 89 عن ابن قتيبة : الشعر والشعراء .

<sup>2</sup> . من عادات العرب دعائهم للميت بقولهم "لا تبعد" قد يكون دلالة على تأثرهم برحيل الميت، فهم لا يتمنون أن تبعد هامته أي روحه و أن يبقى ذكره ، فخصال الشخص قد لا تفنى مع فناء الجسد .

<sup>3</sup> . المرزباني: معجم الشعراء ، باب ما ذكر من اسمه مالك .

<sup>4</sup> . الخنساء: الديوان ، ص 424

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

فالخنساء كرّرت الدعاء " لا يبعدن " ، علّها تجد لنفسها سلوى متذرة بخصال أخويها. كما بالغ الشنفرى الشاعر الصعلوك في أقصى درجات السخرية من هذه الطقوس ، حيث طالب بأن لا يقبر و يترك للضبع تنهشه :<sup>1</sup>

فَلَا تَقْبُرُونِي إِنَّ قَبْرِي مُحَرَّمٌ عَلَيَّكُمْ وَ لَكِنُّ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ

ومن عادات العرب طلب السقيا للقبر كقول الهدم بن امرئ القيس بن الحارث في رثاء عمرو بن حممة الدوسي و كان من حكماء العرب :<sup>2</sup>

سَقَى الْأَرْضَ ذَاتَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ مُثَجَّمٌ أَحَمَّ الرَّحَى وَاهِي الْعَرَا دَائِمَ الْقَطْرِ<sup>3</sup>

وَ مَا بِي سَقِيَا الْأَرْضِ لَكِنِّ ثَرِيَّةٌ أَظْلَكَ فِي أَحْشَائِي هَا مُلْحَدًا الْقَبْرِ

فالشاعر يصف كرم المقبور في حياته فيدعو له بالسقيا ، ليس طلبا في القطر للأرض عامة بل لتربة حوت في داخلها شخص ا يذكر خصاله. و المهلهل يشفع دعاءه بما يبزره من مناقب أخيه كليب ، فتكون السقيا بمثابة الجزاء على ما كان من كرمه و جوده في حياته فيقول:<sup>4</sup>

سَقَاكَ الْغَيْثُ أَنْتَ كُنْتَ غَيْثًا وَ يُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ الْيَسَارُ

و قد اختلف العرب في سبب استسقاءهم للقبور فقال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي: تدعو العرب للقبور بالسقيا ليكثر الخصب حولها فيقصدوها كل من مرّ بها دعاء

<sup>1</sup> . ابن قتيبة: الشعر والشعراء ، ج 1 ص 80 . أم عامر: الضبع التي تنبش القبور .

<sup>2</sup> . أبو الفالي: الأمالي ، ج 2 ص 161

<sup>3</sup> . مثجم: أي سحاب سريع المطر . الأخم: الأسود

<sup>4</sup> . المهلهل : الديوان ، ص 32. و لويس شيخو: شعراء النصرانية ص 163

لها بالرحمة . أو القصد من هذا الدعاء أن تبقى هذه القبور غضة من الدروس طرية لا يتسلط عليها ما يزيل جدتها و نضارتها ، فالسقي رحمة و ضدّها عذاب.<sup>1</sup> و من عادات العرب أيضا نضح القبر بالخمير، فما هو حاتم الطائي ينصح امرأته بذلك:

أَمَاوِيٌّ إِمَامٌ مِتُّ فَأَسْعَى بِنُطْفَةٍ      مِنْ الْخَمْرِ رِيًّا فَلْفُضِحَنَّ بِهَا قَبْرِي<sup>2</sup>

و كأنّ الخمر سقيا من نوع آخر للقبور . و من طقوس البرّ بالموتى و محاولة لإبقاء ذكراهم، كانت العرب تعقر رواحلها و ينضحون القبور بدمها، إيمانا منهم أنّ صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته ،و بذلك هو اعتراف لصنيعه و تقليدا لكرمه.<sup>3</sup> و مثال عن ذلك ما جاء في رثاء زياد الأعجم للمغيرة:<sup>4</sup>

فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَلَعَقْرِ بِهِ      كَوْمَ الْجِلَادِ وَ كُلَّ طِرْفٍ سَابِحٍ  
وَ انْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا      فَلَقَدْ يَكُونُ أَحَادِمُ وَ ذَبَائِحُ<sup>5</sup>

و قد يكون هذا الطقس له علاقة مع العادة الجاهلية و هي الهدى للأصنام ، حيث كانوا ينحرون عندها الإبل ، ثم تترك لا يصدّ عنها إنسان و لا سبع. و الشواهد على عقر الإبل كثيرة فيما حكاه المبرد في الكامل و الأصفهاني في الأغاني.

**المبحث الثالث : أوابد\* العرب في الشعر الجاهلي**

**المطلب الأول : الكهانة و العرافة**

<sup>1</sup> . نعمان الجارم : أديان العرب ص 97

<sup>2</sup> . حاتم الطائي: الديوان، ص 45

<sup>3</sup> . أنظر لسان العرب، مادة عقر، و العقر: إذا ضرب بالسيف قوائم البعير.

<sup>4</sup> . ابن قتيبة: الشعر و الشعراء ج1، ص 431، و الأغاني ج15 ص 308

<sup>5</sup> . الكوم: لقطعة من الإبل.الجلاد جمع جلدة و هي أديم الإبل لبنا.الهجاء من الإبل البيض الكرام.الطرف:الكريم و الأصيل

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

ففي سياق حديثنا عن الجنّ و الشياطين ورد ذكر الكهّان و علاقتهم بهذه القوى الخفية التي منها يحصلون على علم غزير يتعلّق بالمستقبل و يعطيهم قدرات على صرف الخير إلى شخص و دفع الأذى عنه. فأصبح الكاهن المستشار و القاضي و الحكم و الطبيب و العراف لكل ما يعترض الحياة من مشكلات. و لفظة كاهن عربية، فقد وردت في القرآن الكريم ، لردّ هذه التهمة عن الرّسول (صلى) في قوله : " فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ " <sup>1</sup>. كما وردت هذه اللفظة في الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه و سلم: " من أتى عرّافا أو كاهنا، فقد كفر بما أنزل على محمّد " <sup>2</sup>. و تقابل كلمة كاهن لفظة كوهين kohen في العبرانية و kahna كهنا في لغة بني إرم ، و كلّها من الأصل السامي القديم. <sup>3</sup>

فالكهانة استطاع للغيب بمساعدة تابع من الجن و ضيفته استراق السمع و نقله للكاهن. يذكرها ابن خلدون في مقدمته فقال: "يحكمون على الخط كلّه بما اقتضته أشكاله من السعادة والنحوسة، بالذات و النظر و الحلول و الامتزاج و الدلالة على أصناف الموجودات" <sup>4</sup>.

أمّا ما ذكر في مفتاح السعادة أنّ "علم الكهانة هو مناسبة الأرواح البشرية مع الأرواح

\*. و قد استعرنا لفظ الأوابد الذي أورده جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب للدلالة على أمور كانت سائدة في المجتمع العربي و مهيمنة على فكرهم و على أفعالهم ، فجرت مجرى الديانات أو العادات.

<sup>1</sup>. سورة الطور ، الآية 29

<sup>2</sup>. ابن منظور: لسان العرب ج 13 ص 363.

<sup>3</sup>. جواد علي : المفصل ج 6 ص 756.

<sup>4</sup>. ابن خلدون: المقدمة ص 98.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

المجرّدة من الجنّ و الشياطين واستعلامها منها الأحوال الجزئية الجارية في عالم الكون و الفساد ، لكنّها مخصوصة بالأمور المستقبلية <sup>1</sup>.

فالكهّان قد لعبوا و لا يزالون يلعبون حتّى الآن في المجتمعات العربية أدوارا مهمّة ، فهم المفسرون للرؤى و المتنبئون بالمستقبل ، كما يعالجون المرضى بالرقى. و قد نشأت هذه الظاهرة نتيجة إيمان الآخرين بعلم هذا الكاهن ، وبدون إيمان كهذا تبطل ممارسة الكهانة. بالإضافة إلى أنّ فطرة الإنسان بما فيها من تساؤل لا يقطع و خوف و قلق و أمل و شعور بالعزلة أدّت إلى ظهور هذه الوظيفة الدينية.

و للكهانة طقوسها الخاصة من تسجيع الكلام المعقّد الغامض إلى التتمّات و اللغظ و الغيبوبة المفتعلة أو قد يدخل وسيط كمكالمة الأصنام أو تابع من الجنّ ، كما تستعمل الأقداح . يصف ابن خلدون عملية الكهانة على النحو التالي: " من هؤلاء الكهّان من يشغل الحسّ بالبخور فقط ، ثمّ بالعزائم للاستعداد ثمّ يخبر كما أدرك. يزعمون أنّهم يرون الصور متشخّصة في الهواء، تحكي لهم أحوال ما يتوجّهون إلى إدراكه بالمثل و الإشارة <sup>2</sup>.

مع استعمالهم للكلام المسجوع ذي المعاني الغامضة لإبهار السامع ، هذا ما حملهم إلى اعتقاد أنّهم كانوا يتلقونه وحيا من الشياطين. كما يشرف الكهّان على الاحتفالات الدينية و تقديم القرابين للآلهة الأصنام. هذا فضلا عن استشارة القوم لهم في بعض الأمور الخاصّة و العامّة. و من الكهان المذكورين سواد بن مقارب الدوسي و المأمون الحارثي كاهن بني

<sup>1</sup> . طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، حيدر آباد، 1328 ج 1 ص 301.

<sup>2</sup> . ابن خلدون: المقدمة ص 101.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

الحارث بن كعب و عزي بن سلمة و عوف بن ربيعة كاهن بني أسد و خنافر بن التوأم الحميري. و من الكاهنات زرقاء اليمامة و فاطمة الخثعمية بمكة و كاهنة ذي الخلفة و قطبة كاهنة الحجر في خيبر ، و هي التي جاءها عبد المطلب ليأخذ مشورتها في مس ألة النذر المتعلق بذبح ولده عبد الله<sup>1</sup>، و قد مرّ معنا ذكره سابقا. و من أشهر الكهنة " شقّ و سطيح " فقد وردت أخبارهما في كتب الرواة و الإخباريين ك ابن هشام و الطبري و المسعودي و القزويني و الدميري و غيرهم. و يبدو من الأخبار أنّ هذين الكاهنين كانا في اليمن، و هما اللذان فسّرا لملك اليمن رؤياه و اتّفقا بالتفسير على إنفراد وإن اختلفا في فقراتهما المسجّعة.<sup>2</sup> إلا أنّ وصفهما يحمل مجموعة من اللمسات الخرافية أخرجتهم ا من عالم الواقع. فشقّ سمّي كذلك لأثّه ولد شقا واحدا، و كان شقّ إنسان بيد و رجل و عين. أمّا سطيح فكان يُدرج كما يدرج الثوب، و لا عظم فيه إلاّ الجمجمة.<sup>3</sup> ربّما هذه الصفات تعليلية لتفسير اسمي هذين الكاهنين أو جيء بها لغرض إعطاءهما قدسية و روحانية أكبر.

أمّا العرافة فهي أخت الكهانة و إن كان للبعض يخصّها ب استرجاع الماضي إلاّ أنّ القاسم المشترك بينهما هو استطلاع الغيب و التنبؤ. و قد حدّدها طاش كبرى زادة بقوله: " و هي الاستدلال ببعض الحوادث الحالية على الحوادث الآتية بمناسبة بينهما أو مشابهة خفية. أو ارتباط بينهما إمّا لكونهما معلولي أمر واحد أو لكون ما في الحال علّة لما في الاستقبال

<sup>1</sup> ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج 2 ص 3.

<sup>2</sup> ابن هشام: السيرة النبوية ص 9. وهو ما يعرف بسجع الكهان كقول سطيح: "و الضياء و الشفق، و الظلام و الغسق ، ليطرفنكم ما طرق". عن مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 175.

<sup>3</sup> . أنظر الأسطورة كاملة في كتاب من الأساطير و الخرافات العربية لمصطفى علي الجوزو، دار الطليعة بيروت ط 2، 1980، ص 126 وما بعدها. و الأسطورة نقلت عن تاريخ الطبري ج 2، ص 166 - 168. يدرج : يطوى و يلف

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

بشرط أن يكون الارتباط بينهما خفياً لا يطلع عليه إلا الأفراد ، إمّا بتجارب شاهدها في أمثالها أو بحالة مودعة في نفوسهم عند الفطرة ، بحيث يغلب على طالعهم سهم الغيث".<sup>1</sup> وقد ذهب المسعودي إلى أنّ العرّاف دون الكاهن .<sup>2</sup> أي هو أقلّ منزلة لأنّه لم يكن له رأيّ أو تابع .و لم يكن للعرّافين اتّصال ببيوت العبادة و الأصنام.<sup>3</sup> وإمّا كانوا يستنبطون ما يقولونه بذكائهم من خلال الملاحظات و الاستنتاجات و يعتمدون على القياس لاستنتاج أمور منها ، فيخبرون بها السائلون على سبيل التنبؤ. ومن أشهر العرّافين عند العرب رباح بن عجلة و هو عرّاف اليمامة و الأبلق الأسدي عرّاف نجد و فيهما يقول عروة بن خزام:<sup>4</sup>

فَقُلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ حِكْمَةً      وَ عَرَّافُ نَجْدٍ إِنَّهُمَا شَفِيَانِي

فَقَالُوا شَفَاكَ اللهُ وَ اللهُ مَا لَنَا      بِمَا حَمَلَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ

ففي هذه الأبيات يعبر الشاعر عن حاجته لمن يطببه من آلام العشق و الفراق، فيصوّر لنا حالته من خلال لجوءه كعادة العرب إلى أشهر العرّافيين .إلا أنّهما يعتذران عن مداواته لأنّ مرضه صعب الشفاء ، والله هو الوحيد الذي بإمكانه أن يشفيه . أمّا الراقي فكلّ من يقوم بالرقية سواء كان كاهناً أو عرّافاً.والرقية العودة التي يرقّي بها صاحب الآفة كالحمي والصرع و الكلب.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> . طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة ج 1 ، ص 293.

<sup>2</sup> .المسعودي : مروج الذهب ج 2 ص 154.

<sup>3</sup> .الجاحظ : الحيوان ج 6 ص 204.

<sup>4</sup> .ابن خلدون : المقدمة ص 108.

<sup>5</sup> .و من معتقداتهم أنّ دم الملك يشفي من داء الكلب كقول أمية بن أبي الصلت (الديوان ص159):



كقول عروة بن الورد:

فَمَا تَرَكََا مِنْ عُوذَةٍ يَعْرِفَانِيهَا      وَلَا رُقِيَّةٍ إِلَّا بِهَا رَقِيَانِي<sup>1</sup>

والرقية في نظر العرب تستعمل لأغراض شتى منها الإصابة بالعين أو مسّ من الجنّ، كقول

حجاج بن علاط السلمي:<sup>2</sup>

أُعِيدُ نَفْسِي وَ أَعِيدُ صَحْبِي      مِنْ كُلِّ جِنِّي بِهَذَا النَّقْبِ

حَتَّى أُوْبَ سَالِمًا وَ رَكْبِي

و طرق التعاويذ عند العرب كثيرة منها تعليق سنّ الثعلب أو كعب الأرنب<sup>3</sup> أو تسمية الولد

بأسماء حقيرة لتفتير الجنّ و إبعاد العين. كما قاموا بتفقئة عين الفحل إذا بلغت الإبل ألفا ،

منه قول الشاعر:

وَهَبْتَهَا وَ أَنْتَ دُوْ إِمْتِنَانِ      تَفْقَأُ فِيهَا أَعْيْنَ البُعْرَانِ<sup>4</sup>

و من العادات الاعتقادية لطرد الأرواح الشريرة التدخين ببعض النباتات، ورد في المثل "ريحُ

حَزَاءٍ فَالنَّجَاءِ"<sup>5</sup> وهو نبات شديد الرائحة يشبه الكرفس، يزعمون أنّ الجنّ لا تقرب بيتا هو فيه.<sup>6</sup>

بُنَاءُ مَكَارِمٍ وَ أَسَاءَةُ كَلِمٍ      دِمَاؤُهُمْ مِنَ الكَلْبِ الشِّفَاءُ

<sup>1</sup>. الزبيدي: تاج العروس ج 10 ص 154 ، مادة رقى.

<sup>2</sup>. السهيلي: الروض الأنف ، ج 1 ص 136.

<sup>3</sup>. قال شاعر(عن نهاية الإرب في فنون الأدب للنويري ص 120) :

وَ لَا يَنْفَعُ التَّعْشِيرُ إِنْ حَمَّ وَاقِعٌ      وَ لَا زَعْرَعٌ يُغْنِي وَ لَا كَعْبُ أَرْنَبِ

<sup>4</sup>. النويري : نهاية الإرب ص120.

<sup>5</sup>. الميداني: مجمع الأمثال ، ج 1، ص289

<sup>6</sup>. المرجع نفسه .

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

كما كان للخرز دور مهمّ في تأدية الرقى ، ولعلّ مردّ ذلك إلى اعتقادهم بأنّ الخرز<sup>1</sup> يمتلك في تكوينه قدرات روحية، منها النُفرة و هي خرزة تعلّق على الأطفال لتنفير الأرواح. فالرقي كانت ولازالت ظاهرة منتشرة في المجتمع العربي ، إلّا أنّ الأساليب و الوسائل اختلفت بسبب الفارق الجوهرى في مفهوم المعبود بين الاعتقادين الجاهلي و الإسلامى.

### المطلب الثاني : التطير في الشعر الجاهلي

انتشر التطير عند جميع الشعوب ،فصار يشمل الحيوان والأسماء والكلمات والأعداد.و أصل التطير إنّما كان من الطير و من جهة الطّي ر إذا رُجرت<sup>2</sup> فإذا تيامنت دلّ على الفأل و إذا تياسرت دلّ على الشؤم فسّمى بارحاً و سانحاً، و منه قول أبي حية النميري:<sup>3</sup>

بَدَا يَوْمَ رُحْنَا عَامِدِينَ لِأَرْضِهَا  
سَنِحٌ فَقَالَ الْقَوْمُ مَرَّ سَنِحٌ

و قد يراد بالطيرة التشاؤم فيكون من سماع الكلام السيئ عند الصباح أو من رؤية ميت أو سماع نياحة أو مشاهدة مخلوق مشوّه حيث يقول الجاحظ: " حتّى صاروا إذا عاينوا الأعور من النّاس أو البهائم أو الأعضب أو الأبتّر زجروا عند ذلك و تطيّرُوا عندها. كما تطيّرُوا من الطّيّر إذا رأوها على تلك الحال.<sup>4</sup>

<sup>1</sup>. أنواع الخرز التي استعملها العرب للرقى كثيرة ذكرها الألويسي في بلوغ الإرب ج2 ص319، ج3 ص7 و ما بعدها.

<sup>2</sup>. كانت العرب في الجاهلية إذا خرج أحدهم لحاجة ، فإن رأى الطير طار عن يمينه تيمّن به و استمرّ، و إن طار عن يساره تشاءم به و رجع .و ربما كانوا يهيجون الطير، ليطير فيعيدون ذلك.

<sup>3</sup>. القالي : الأمالي ، ج 1، ص98

<sup>4</sup>. الجاحظ: الحيوان ج 3 ص 437.

حيث قال المرقش:<sup>1</sup>

و لَقَدْ عَدَوْتُ وَ كُنْتُ لَا      أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَ حَاتِمٍ  
فَإِذَا الْأَشَائِمُ كَالْأَيَا      مِنْ وَ الْإِيَامِنُ كَالْأَشَائِمِ  
وَكَذَلِكَ لَا حَيْزُ وَ لَا      شَرُّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمٍ<sup>2</sup>

و قد سخر شاعر من التطير فقال:<sup>3</sup>

تَعْلَمُ إِنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا      عَلَى مُنْطِيرٍ وَ هُوَ الشُّبُورُ  
بَلْ شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ      شَيْءٍ أَحَابِينَا وَ بَاطِلُهُ كَثِيرٌ

و في المثل قيل: "أشأم من الأخيل".<sup>4</sup> كان العرب يتشاءمون بالطيور و الحيوانات و من أهمها البوم و الغراب. فالغراب<sup>5</sup> كان رمزا للبين و الفراق و الموت أشدّ الفراق و آلمها للنفس، لذلك جاء ذكر الغراب في معرض ذكرهم لمراثيم، كقول عنتره:<sup>6</sup>

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ فِي الطَّيْرِ أَنْ      أَعْرَنِي جَنَاحًا قَدْ عَدِمْتَ بَنَانِي

<sup>1</sup>. ديوان المرقشين، تحقيق كارين صادر، دار صادر بيروت، ط1، 1998، ص 75-76. نسبت الأبيات للمرقش الأكبر في كتاب الحيوان للجاحظ، غير أن محققة ديوان المرقشين ذكرت أن الصواب أنها للأرقم السدوسي و صحفت إلى المرقش لشهرته.

<sup>2</sup>. الواقي: الصرد من طيور الماء كانت العرب تتشأم به. قال أبو الهيثم: قيل للصدرد واق لأنه لا ينبسط في مشيه، فشبهه بالواقي من الدواب إذا حفى. أنظر لسان العرب لابن منظور ج 10، ص 370.

الحاتم: الغراب الأسود أو غراب البين و هو أحمر المنقار و الرجلين. أنظر لسان العرب ج 12 ص 114.

<sup>3</sup>. نسب البيتين للنابعة الذبباني و ذكرا في تاج العروس للزبيدي فصل طير. الأخيل: هو طير الشوقراق و يكتونه بطير الأشائم، لفرط تشاؤمهم منه، ففي إعتقادهم أنه إذا وقع على عجز بغير أو ظهر قطعة، فإذا لقي مسافرا، أيقن أنه ملاق العقر أو الموت.

<sup>4</sup>. الميداني: مجمع الأمثال ج 1 ص 383.

<sup>5</sup>. يعلل الجاحظ سبب تسمية العرب له بهذا الاسم فيقول: "قالوا غراب لاغترابه و غرينه و غراب البين: لأنه عند

بينونتهم يوجد في دورهم". الحيوان ج 3 ص 439.

<sup>6</sup>. عنتره بن شداد: الديوان ص 69.

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

و أشدّ ما يتشائمون بالغراب إذ ولاهم ظهره أو شماله<sup>1</sup> أو أبصروه يتقلّى و ينتف. كما ربط الشعراء بين الغراب و ريح الشمال لما يحمله مل منهما من معاني البعد و الفراق. و هذا ما عبّر عنه عبيد بن الأبرص:<sup>2</sup>

وَ أَبُو الْفِرَاحِ عَلَى خِشَاشِ هَشِيمَةٍ      مُتَنَكِّبًا ابْطَ الشَّمَّ-إِنِّلِ يَنْعَبُ

أمّا اليوم فكان من أسباب التشاؤم بها منظرها الكئيب و صوتها المزعج و ظهورها في الليل، و قد وصفوها بألم الخرائب. و لأنّها سكنت المقابر و المناطق الخالية لذلك اعتقدوا أنّ روح الميت المرفوفة على القبر هي الهامة التي تخرج من رأسه و تصيح لطلب الثأر. و تطير العرب من الجراد لأنّ فيها من الجرد و هو من معاني القحط ، و في شعر الرثاء يزداد الإحساس بفكرة الجرد نتيجة الإحساس بفقد العزيز فتقل الحياة. ممّا دفع الخنساء إلى ذكر الجراد فقالت:<sup>3</sup>

وَكَانَ إِذَا مَا أَقْدَمَ الْخَيْلَ بَيْشَةً      إِلَى هَضْبِ أَشْرَاكِ أَنَاخَ فَأَلْجَمًا  
فَأَرْسَلَهَا تَهْوَى رِعَالًا كَأَنَّهَا      جَرَادٌ رَفَّتُهُ رِيحٌ نَجْدٍ فَاتَّهَمًا

<sup>1</sup> . ابن سيده : المخصّص ج 13 ص 24.

<sup>2</sup> . عبيد بن الأبرص: الديوان ص 31.

<sup>3</sup> . الخنساء: الديوان ص 415.

و من ناحية أخرى كان العرب يتفعلون بالهدد<sup>1</sup> فهو عندهم آية اليمن وسبيل الهداية . وكانوا

يعتقدون أنه كان يدلّ النبيّ سليمان عليه السلام على مواضع الماء في أعماق الأرض.<sup>2</sup>

كما تشاءم العرب بالعطاس في قول المرقش السدوسي<sup>3</sup>:

لَا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ بُغَاءِ      الْخَيْرِ تَعَقُّادُ التَّمَائِمِ

وَ لَا الشَّؤْمُ بِالْعُطَاسِ      وَ التَّيْمُنُ بِالْمَقَاسِمِ

لا شك أنّ البيئة الصحراوية القاسية هي المؤثر الحقيقي في تطيرهم لأنهم كانوا كثيرا ما

يتعرضون للكوارث و يبتلون بالمصائب ، ولأنهم آمنوا بعالم الأرواح و علاقتها بالكائنات

المتواجدة في بيئتهم فتشاءموا من إحداها و تفاعلوا بأخرى ، ممّا دفعهم إلى محاولة التجيم

لمعرفة المستقبل وإيجاد كيفية طلب مساعدتها أو اتقائها.

**المطلب الثالث : طقوس العرب في الاستمطار:**

### **1- صورة المطر في الشعر الجاهلي:**

من المعروف أنّ البيئة الطبيعية لجزيرة العرب هي بيئة صحراوية جافة، ذلك أنّه على الرغم

من كون البحر يحيط بها من ثلاث جهات، إلا أنّ هذه المساحات المائية لم تستطع التقليل

من حدّة ارتفاع الحرارة في تلك الأجزاء الواسعة النادرة الأمطار، فلم تنتفع بها الأرض و لا

الدواب و لا الإنسان. و بالتّالي أدت ندرة المياه إلى تميّز المجتمع الجاهلي بالنتقل و عدم

<sup>1</sup> . من معتقداتهم حول الهدد: إذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه. و عينه إذا علفت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه. و ريشه إذا حمله إنسان و خاصم غلب خصمه و قضيت حاجته فظفر بما يريد.

<sup>2</sup> . الجاحظ: الحيوان ج 1 ص 160.

<sup>3</sup> . ديوان المرقشين، ص 76.

الاستقرار بحثاً عن مواقع الغيث و منابت الكلاء، مما أدى في حالات كثيرة إلى نشوب صراعات و حروب بين القبائل العربية بسبب استحواذ إحداها على بقعة مائية. و كثر الغزو و الإغارة خاصّة في مواسم الجفاف الذي يصيب جزيرة العرب بصورة دائمة. لذلك أصبح المطر عندهم غيباً و وحياً و رحمة، و هي القلّة تحمل آثاراً من ملك الإحساس العميق بالفرحة و الرضا و الحياة، الذي كان يملأ عليهم نفوسهم أمام المطر. و لذلك لم يكن غريباً أن يكون وصف المطر موضوعاً جلاباً و من أبرز موضوعات الشعر الجاهلي. <sup>1</sup> فهاهو أبو ذؤيب الهذلي يصف ماء أتى به من الطبيعة النقيّة، من ماء غدير في أرض قفر تشكّل في سحاب تدفعه الرّياح إلى أن أصبح مطراً ينزل في بيئة الشاعر نقياً صافياً، إذ يقول:

و لا مُتَحَيِّرٌ بَاتَتْ عَلَيْهِ  
بِبِأَقَعَةٍ يَمَانِيَّةٍ تَقُوعُ  
خِلَافَ مُصَابٍ بَارِقَةٍ هَطُولٍ  
مُخَالِطٍ مَائِهَا خَصْرٌ وَ رِيحٌ <sup>2</sup>

حيث نجده يصف المراحل الطبيعية لتشكّل المطر، و يطيل في تفسيرها بهدف إظهار نقاء الماء الذي سوف تمزج خمرته بها. و يُعتبر ذلك من مظاهر التفاخر و الترفع. و قد تتكرّر هذه الصورة في شعر الجاهليين، بحيث نلمس تتبّع عدد من الشعراء لنزول المطر، فراقبوه

<sup>1</sup> د. يوسف خليف: مقدمة القصيدة الجاهلية، محاولة جديدة لتفسيرها، المجلة، القاهرة، السنة التاسعة ع 98، 1965، ص 16-17. عن عماد علي الخطيب: الصورة الفنية أسطوريا - ص 307.

<sup>2</sup> ديوان الهذليين ج 1 ص 69، 70. المتحير: الماء قد تحير من كثرته فليس له جهة يمضي فيها. البارقة: السحابة التي فيها برق. الخصر: البرد.

وصفوا سحبه و رياحه على تتوعها و برقه و رعه. <sup>1</sup> فما هو أبو ذؤيب الهذلي يعطي لنا صورة تفصيلية للطبيعة فيقول:<sup>2</sup>

إذا كان عامٌ مانعُ القطرِ ريحُه      صَبَا و شَمَالٌ قُرَّةٌ و دَبُورُ

و صُرَادٌ غيمٌ لا يَزَالُ كَأَنَّهُ      مُلَاءٌ بِأَشْرَافِ الْجِبَالِ مَكُورُ

طَخَاءٌ يُبَارِي الرِّيحَ مَعْتَقِدَاتٌ أُخْرَى **في الشعر: الجاهلي** بالبلاد طحورُ

فالشاعر يصور لنا مظهر الشتاء الجاف في بلاد العرب. فهو ينظر إلى موفد السحب التي تكون عادة مثقلة بالمطر، تبدو خاوية تلفّ الجبال كالعمائم على رؤوس الرجال. و يسمي الرياح التي تسوقها و هي رياح جذب و برد. و نجد امرئ القيس يصف لنا في معلقته مطرا تحوّل إلى سيل جارف حدث بالقرب من تيماء حيث كانت تقيم قبيلة بني أسد فيقول:<sup>3</sup>

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِي وَبِلِهِ      كَبِيرٌ أَنَسٍ فِي بَجَادٍ مُزَمَّلٍ

فالشاعر يشبه ثبيراً في أوائل المطر الغزير العظيم القطر كسيد أناس قد تلقّف بكساء مخطط. بحيث غطى الجبل الغناء، أي ما جاء به السيل من حشيش و شجر و تراب و غير ذلك كما تغطّى الرجل بالبجاد. بالإضافة إلى أنّ الشاعر استعار لفظ العرانيين لأوائل المطر، لأنّ الأنوف تتقدّم الوجوه. و قال أيضا في أثر السيل على الأرض في إحياؤها:

<sup>1</sup> . المصدر نفسه ج 1 ص 50 ← 56.

<sup>2</sup> . أنواع الرياح: رياح الجذب: الصلבו هي ریح شرقية باردة ، الدبور: ریح غربية، و ریح الشمال الباردة. أما الرياح التي تجلب الغيث فهي رياح الجنوب: و هي رياح ماطرة و يطلق عليها الثعامى.

<sup>3</sup> . امرؤ القيس: المعلقة من الديوان ص 67. ثبيراً: جبل من أعظم جبال مكة. العرنين: الأنف. البجاد: كساء مخطط. التزميل: التلغيف. الوايل: هم المطر الغزير العظيم القطر.

وَأَقَى بِصَحْرَاءِ الْغَيْطِ بَعَاةُ نُزُولَ الْيَمَانِيِّ ذِي الْعِيَابِ الْمُحَمَّلِ<sup>1</sup>

فالشاعر هنا شبه نزول المطر بقدم التاجر اليمني صاحب العباب المحمل من الثياب ،  
و شبه ضروب النبات الناشئة منه بصنوف الثياب التي نشرها التاجر عند عرضها للبيع.  
و يمكننا ذلك من تخيل الألوان الزاهية التي تلوّنت بها الأرض بعد نزول المطر.

كما تتكرّر في الشعر الجاهلي صورة الشاعر و هو ساهر يرقب البرق و غيره نيام ، كقول

### معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

عبيد بن الأبرص:

يَا مَنْ لِبَرْقِ أَيْبَتِ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ مِنْ عَارِضِ كَبْيَاضِ الصُّبْحِ لَمَّاحٍ<sup>2</sup>

فالشاعر رسم صورة رائعة لهذا المنظر الطبيعي الذي قد يكون مضيّفا للبعض. غير أننا نجد  
وصفا فيه رمزية لنفسية الشاعر الذي يسقط على هذا المنظر همومه و آلامه، خاصة إذا  
ارتبط في القصيدة وصف الليل بمطره و رعده و برقه و سهر الشاعر العاشق الحزين على  
فراق محبوبته.و كثيرا ما نجد هذا المنظر الدرامي يتكرّر في الشعر الجاهلي، حيث تقترن  
أيضا صورة المطر والطلل،حيث يركّز فيها الشاعر على الدعاء بالاستسقاء لديار المحبوبة،

<sup>1</sup> . المصدر نفسه ص 68. الغيظ: أكمة قد انخفض وسطها و ارتفع طرفها ، و سمّيت غبيظا تشبيها بغبيط البعير .

البعاع: النقل. العياب: جمع عيبة و العيبة وعاء من جلد توضع فيه الثياب.

<sup>2</sup> . عبيد بن الأبرص: الديوان ص 45. العارض: السحاب المعترض في السماء. لَمَّاح : لَمَّاح لشدة بياضه.

معنى البيت: يصف لمع البرق في الليل و السحاب الأبيض كيباض من الصبح.



كما فعل طرفة بن العبد لما دعا لديار خولة بالسقيا من مطر ربيعي و صيفي أدركته ريح الجنوب مع رعد صوته زجل، في قوله:<sup>1</sup>

لِخَوْلَةٍ بِالْأَجْزَاعِ مِنْ إِضْمٍ طَلَّلُ      وَ بِالسَّفْحِ مِنْ قَوِّ مُقَامٍ وَ مُحْتَمَلُ  
تَتَرَّعُهُ، مِرْبَاعُهَا وَ مَصِيفُهَا      مِيَاهُ مِنَ الْأَشْرَافِ يُرْمَى بِهَا الْحَجَلُ  
فَلَا زَالَ غَيْثٌ مِنْ رِبِيعٍ وَ صَيْفٍ      عَلَى دَارِهَا، حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ، لَهُ زَجَلُ  
مَرْتَهُ الْجَنُوبُ ثَمَّ هُبَّتْ لَهُ الصَّبَا      إِذَا مَسَّ، مِنْهَا مَسْكَنَا، عُدْمَلُ نَزَلُ

كَأَنَّ الْخَلَايَا فِيهِ ضَلَّتْ رِبَاعُهَا **معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي** وعوذها، إِذَا مَا هَدَّه رَعْدُهُ اِحْتَفَلُ<sup>2</sup>

كما ذكر الشعراء المطر في مواضع أخرى، منها راقترانه بصورة الثور الوحشي الذي غالبا ما نراه يرعى الكلاً منفردا وحيدا فيصبيه نوء الجوزاء، و يلجئه قطرها و بردها و ريحها شجرة أرطأة، فيلوذ بها مستضيفا، و يقضي في كنفها ليلة رجيبة شهباء حتى تنجلي الظلماء.<sup>3</sup> و قد تحلّ البقرة الوحشية أو الحمار الوحشي محلّ الثور. و تظلّ خطوط الصورة كما هي رغم تغيير بطل الملحمة التي يتصارع فيها هذا الحيوان مع الصياد أو مع الكلاب التي تطارده. و إذا استعرضنا شعر الهذليين و خاصة أبو ذؤيب الهذلي والنابغة الذبياني على سبيل المثال لوجدنا صورة الثور الوحشي تتكرّر بكل عناصرها و بخاصة وصف الطبيعة

<sup>1</sup> . طرفة بن العبد: الديوان ص 61.

<sup>2</sup> . الأجزاء: مفردها الجزع و هو المسافة التي تقطعها من الوادي. إضم : إسم واد. قو: واد أيضا. المقام: محلّ الإقامة. تريعه: تنزل به في الربيع. المرباع: المكان التي أقامت به في الربيع و المصيف. مرتّه: احتلبته في المعتقدات العربية أنّ السحاب ضرع السماء تحتلبه ريح الجنوب. العُدمل: السحاب الكثيف. الخلايا: النياق المسنّة. الرباع : الإبل التي وُلدت في الربيع. العوذ: النياق الحديثة السنّ. احتفل : هطل مطره بشدّة.

<sup>3</sup> . عماد علي خطيب : الصورة الفنية أسطوريا ص 198

المطرة في ليلة ظلماء و احتماؤه بالأرطاة ، ثم تصويره و هو خارج من تحت هذه الشجرة عند بزوغ الشمس متأهبا للقراع. و خير مثال اخترناه شعر للنابغة الذبياني:<sup>1</sup>

بَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ شَهَبَاءُ تَسْفَعُهُ      بِحَاصِبٍ، دَاتُ إِشْعَانٍ وَ أَمْطَارِ  
وَ بَاتَ ضَيْفًا لِأَرْطَاةٍ وَ أَلْجَاءُ      مَعَ الظَّلَامِ إِلَيْهَا وَابِلٌ سَارِي  
حَتَّى إِذَا مَا انْجَلَّتْ ظُلْمَاءَ لَيْلَتِهِ      وَ أَسْفَرَ الصُّبْحُ عَنْهُ، أَيَّ إِسْفَارِ  
أَهْوَى لَهُ قَانِصٌ يَسْعَى بِأَكْلِبِهِ      عَارِي الْأَشَاجِعِ مِنْ قَنَاصِ أَنْمَارِ

فالتبيعة في هذه الأبيات غاضبة بجوّها الغائم الماطر و برقها الذي يلمع و يخبو و ريح نائرة تسفع الثور بالحصى، لذلك يلجأ إلى شجرة الأرتي لضخامتها. فيقضي الليلة إلى جوارها محتما من البرد، حتى يسفر الصباح فتهاجمه الكلاب. و قد يرى بعض الدارسين أنّ لتكرار هذا المشهد بنفس تفاصيله دلالة على رمزية معينة و هي في الغالب "صورة يجسد عن طريقها الشاعر هذه المواجهة الدائمة بينه و بين ظروف الحياة من حوله. و ما الصراع الموجود بالصورة إلاّ صراع من أجل الطّعام و الماء. و هذه نزعة عقلية أو منطقية غالبية تظهر من خلال الصور الجزئية التي تتضام لتكوّن هذا البناء المتكامل أو الصورة الكلية".<sup>2</sup> إلاّ أنّ د. علي البطل<sup>3</sup> يرى أنّ لهذه الصورة دلالة ميثو دينية، فهي ترمز لعبادة قديمة عند الساميين و هي عبادة القمر و الذي يمثله الثور. و حسب رأيه أنّ هذا المعتقد قد ترسّخ

في اللاشعور الجمعي، ممّا جعل الشاعر يمثّل لهذا الصراع السماوي صراع الثور رمز

<sup>1</sup>. أبو زيد القرشي : جمهرة أشعار العرب ص 81.

<sup>2</sup>. المصدر السابق ص 195.

<sup>3</sup>. راجع الفكرة مفصلة في كتاب د. علي البطل: الصورة الفنية في الشعر العربي ص 130.

القمر و الطبيعة الغاضبة و الكلاب. والأصل في هذه النظرية أنّ القمر قد تحجبه السحب أو في حالة الكسوف، فدفعت الذهن البدائي إلى تصوّر عدوان على الإله القمر من هذه الظواهر الطبيعية الشريرة . فدفعت هذا المعتقد الشاعر إلى تخيل هذا المنظر الملحمي بين الثور والطبيعة. أمّا عن تحليلنا لهذه النظرية يجعلنا نذكر نقد وهب أحمد رومية الذي نرى أنّه عبّر عن رأينا أحسن تعبير ، حيث قال : " لقد أسرف د. البطل على نفسه و ألزمها ما ليس يلزمها ، فإذا هو يعلّل أمورا غائبة من النصوص الشعرية ليثبت بتعليه أمورا غائبة من الحياة الدينية".<sup>1</sup>

## معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي

### 2 – طقوس الاستمطار في الشعر الجاهلي:

إنّ اهتمام العرب بالمطر و تعلّقهم بالسماء جعلهم يعتقدون أنّ للنجوم دورا في نزول الغيث أو امتناعه. فجعلوه فعلا للكواكب و حادثا عنها، فقالوا : " أنّ لأبدي كوكب من مطر أو ريح أو برد أو حرّ، و إذا مضت مدّة النوء<sup>2</sup>، و لم يكن فيها مطر قيل أخوى نجم كذا".<sup>3</sup>

قال ابن سيدة : " و إنّما جاء حمدكم بعض الأنواء و ذمّم بعضا من قبل مواقع الأمطار التي تكون في أيامها، فأبى كوكب جاء وقت نوءه فصادف المطر الذي يكون فيه من الزمان و من البلد موافقة و نجع، فتبيّن خيره و نفعه حمدوا ذلك النوء، و أضافوا حمده إلى الكواكب

<sup>1</sup> . د. وهب أحمد رومية: شعرنا القديم و النقد الجديد، عالم المعرفة. الكويت 1996 . ص 62 .

<sup>2</sup> . النوء: نوء النجم هو أول سقوط يدركه بالغداة و يكون جهة المغرب و ذلك في بياض الفجر، و طلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق. و الأنواء ثمان و عشرون منزلة يذكرها مجد الدين الجزري : في كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر ج 5 ص 122 .

<sup>3</sup> . أنظر ابن قتيبة: كتاب الأنواء ص 7 .

و نَوَّهوا به، و إلاَّ يكن ذلك ذمّوه و سمّوا نوءه به، حتّى كان الفعل في ذلك فعل الكواكب.  
و لَمَّا جَرَّبوا هذه الأمور في القديم، و طال اختبارهم لها فوجودها ثابتة في مراتبها ، ألزموا  
الكواكب ذلك".<sup>1</sup>

قد يُرجع بعض الدارسين مورد هذا الاعتقاد إلى أصول دينية بابلية.حيث يعتبر البابليون من  
أشهر الشعوب التي آمنت بأنّ للكواكب الدّور الأوّل في تقرير مصير النّاس و التّحكّم في  
حياتهم و رزقهم و في إرسال الغيث. <sup>2</sup> غير أنّ الجاحظ يبيّن أنّ غرض العرب من علم  
الأنواء لم يكن في أوّل الأمر إلاّ لمعرفة أوقات المطر و الأهداء بسير النجوم في أسفارهم ،  
إذ يقول ضمن حديثه عن الأعراب: "عرفوا الأنواء و نجوم الأهداء ، لأنّ كلّ من كان  
بالصّاحح الأماليس، حيث لا أمانة و لا هادي مع حاجته إلى بُعد الشّقة، مضطرّاً إلى  
التماس ما ينجيه و يؤذيه.وحاجته إلى الغيث و فراره من الجذب و ضنّه بالحياة، اضطرّته  
الحاجة إلى تعرّف شأن الغيث، و لأنّه في كل حال يرى السماء و ما يجري فيها من  
الكواكب، و يرى التعاقب بينها و النجوم الثابت فيها، و ما يسير منها مجتمعا، و ما يسير  
منها فاردا و ما يكون منها راجعا و مستقيما". <sup>3</sup> و قد ربط الأسود بن يعفر بين يوم مولده  
و ما فيه من أنواء بقوله:<sup>4</sup>

وُلِدْتُ بِحَادِي النَّجْمِ يَتَلُو قَرِينَهُ  
وَ بِالْقَلْبِ قَلْبُ الْعَقْرَبِ الْمُتَوَقِّدِ

<sup>1</sup> . ابن سيّدة: المخصّص ( كتاب الأنواء ) ص 82.

<sup>2</sup> . ففي سبأ القديمة كانوا يقدّمون لكوكب الزهرة (عثر) كثيرا من القرابين من أجل الاستسقاء .

<sup>3</sup> . الجاحظ: الحيوان ج 6 ص 30.

<sup>4</sup> .الأسود بن يعفر النهشلي:الديوان، جمعه د.نوري حمودي القيسي، طبعة وزارة الثقافة والإعلام العراق، د ت، ط، ص34

و لاعتقاد العرب أن النجوم مقترنة بنزول المطر أو انقباضه قسّموها إلى نوعين النحوس  
و السعود، كقول عبيد بن الأبرص:<sup>1</sup>

وَ لَتَأْتِيَنَّ بَعْدِي فُرُونٌ جَمَّةٌ      تَرَعَى مَخَارِمَ أَيْكَةٍ وَلَدُودًا  
وَ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ وَ لَيْلٌ كَاسِفٌ      وَالنَّجْمُ تَجْرِي أَنْحُسًا وَ سَعُودًا

و ضمن هذا البيت الحكمي الذي يعبر فيه الشاعر عن تجربته و معاشته لأحداث كثيرة  
يذكر فكرة نحوس النجوم و سعودها. فالأنواء المذمومة **معتقدات أخوي في الشعر الجاهلي** حمدت لغزارة أمطارها و طيب  
هواءها و كثرة خيراتها. أمّا الأنواء المذمومة <sup>3</sup> فعُدّت منحوسة لعقمها و شدة بردها و قلّة  
مطرها. و من بين النجوم التي تفاعل بها العرب لأنّ نوعها كان دليلا على نزول المطر هي  
الثريا، يذكرها عدي بن زيد في قوله:<sup>4</sup>

يَجِيءُ بِمَا أَمَدَّتْهُ الثُّرَيَّا      مُعِيرًا أَمْرَهُ دَرَرَ الْجُؤِبِ

فالشاعر ينهج منهج الجاهلية في تعليل المطر و اقتترانه بنوء الثريا. و لأنّها كانت مصدر  
الخير و الثراء و الجمال\* دفع هذا الشعراء إلى ذكر الثريا في مجال التشبيب بالحببية،

<sup>1</sup> . حادي النجم: هو الدبران و نوءه مذموم قالوا فيه: " إذا طلعت الدبران يبست الغدران و توقّدت الحران و كرهت النيران".

<sup>2</sup> . كالسرطان ، الثريا ، الشعريان ، المرزمان ، السمك ، نوء الزباني. و السعود الأربعة : الذابح و بلع و الأخبية  
و السعود ، و نوء الحوت و الحبة .

<sup>3</sup> . الأنواء المذمومة : البطين، الهقعة، الهتعة أو الجوزاء، و الدبران أو الحادي، و الرُباني و الإكليل و القلب و الشّولة  
و هي في برج العقرب. أنظر ابن قتيبة: الأنواء في مواسم العرب، طبع حيدر آباد، الدكن الند 1956 ص 32.

<sup>4</sup> . عدي بن زيد العبادي: الديوان ق 3، ص 38.

\* يعتقد اللغويون أن لصفات الكواكب عند العرب أثر في اشتقاق الاسم فمثلا الثريا في نوعها الثروة فلشنتقت من الثراء.  
و اسم الدبران لأنّه استدبر الثريا. و العيوق لأنّها أعافت و وصول الدبران إلى الثريا و غيرها.

كقول قيس بن الخطيم و الذي أنزل الثريا من فوقيتها و صاغها عقدا على نحر حبيبته  
ليستمتع بالضوء في الليلة الظلماء:<sup>1</sup>

وَ كَأَنَّ الثُّرَيَّا فَوْقَ نَعْرَةٍ نَحْرِهَا      تُوقَدُ فِي الظُّلْمَاءِ أَيَّ تَوْقُدِ

فاستعار الشاعر ضياء و نور الثريا ليصف جمال و بياض بشرة حبيبته. و لشدة تعلق العرب  
بجمال الثريا نجدهم نسجوا حولها أسطورة خطبة الدبران لها<sup>2</sup>. و الدبران يعتبر من الأنواء

**معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي** التي تجرّ الشؤم و النحس لأنهم لا يمتطرون بؤسه، فيشدد الحر و يتهبّ السائم (الرياح

الحارة)، حيث ضرب به المثل فقالوا: "أشأم من حادي النجم".<sup>3</sup> و مع مجيء الإسلام الذي

نهى عن الاعتقاد في الأنواء<sup>4</sup>، أدى ذلك إلى ضياع مخزون كبير من الشعر الجاهلي الذي

يعرفنا على جوانب عديدة من المعتقدات التي لها علاقة بالنجوم. فمثلا الأصمعي كان لا  
ينشد و لا يفسر الشعر الذي فيه ذكر الأنواء.

و من الطقوس التي كانت العرب تقوم بها عند انحباس المطر نار الاستسقاء. يقول في

تعريفها النويري: "كانوا في الجاهلية الأولى إذا تتابعت عليهم الأزمان و اشتدّ الجذب

<sup>1</sup> قيس بن الخطيم : الديوان، ص 125.

<sup>2</sup> . جاء في الأسطورة : أنّ القمر خطب الثريا للدبران ، إلاّ أنّها أبّت و ولّت و قالت للقمر: ما أصنع بهذا السبوت الذي لا مال له. فجمع الدبران قلاصة (مجموعة من النوق دلالة على كواكب صغيرة يتجول بها) و يتبع الثريا حيثما توجهت كأنّه يسوق صداقها قدامه و لهذا سمّي بحادي النجم.

<sup>3</sup> . الميداني : مجمع الأمثال ، ج 2، ص 354. و قيل "أنكد من تالي النجم".

<sup>4</sup> . جاء في الحديث النبوي الشريف: أربعة في أمّتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن الفخر في الأحساب و الطعن في الأنساب و الاستسقاء بالنجوم و النياحة " عن صحيح مسلم ( كتاب الجنائز) ج 2 ص 644.

و احتاجوا إلى الأمطار، يجمعون لها بقرا معلقة في أذنانها و عراقبيها السلع و العشر<sup>1</sup>،  
و يصعدون بها إلى جبل وعر و يشعلون فيها النيران قبل المغرب و يضجون بالدعاء  
و التضرع، و كانوا يرون ذلك من الأسباب المتوصل بها إلى نزول الغيث".<sup>2</sup>

وصف أمية بن أبي الصلت هذا الطقس في قوله:<sup>3</sup>

سَنَّةٌ أُرْمَةُ تُخَيَّلُ بَالِنَا      سِ تَرَى لِلْعِضَاهِ فِيهَا صَرِيرًا  
لَا عَلَى كَوَكَبٍ يَنْوُءُ وَلَا رِي      حِ جَبُوبٍ وَلَا تَرَى طُخْرُورًا  
وَّ يَسُوقُونَ بَاقِرَ السَّهْلِ لِلطُّورِ      **معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي** تَبُورًا  
عَاقِدِينَ النَّيْرَانَ فِي شُكْرِ الْأَذَى      نَابٍ عَمْدًا كَيْمَا تَهِيحَ الْبُحُورًا  
سَلَعٌ وَّ مَا مِثْلُهُ عَشْرٌ مَا      عَائِلٌ مَا وَعَالَتْ الْبَيْقُورًا<sup>4</sup>

و القصيدة طويلة يصف فيها الشاعر حالة الأبقار و هي تشتوي بالنار التي تلتفها، فنزلت  
عليها الرحمة من الله فأغاثها بالمطر كي ينقص ألمها. وهذه الأبيات جاءت في ذم هذا  
الطقس الذي يفتقد إلى الرأفة و الإنسانية. و قد علل جواد علي السبب في إضرار النيران في  
أذنان البقر، بأن ذلك إنما فعلوه على سبيل التفاؤل ، فالنار إشارة إلى البرق و البرق مجلبة

<sup>1</sup> . السلع: نبات و قيل شجر مرّ . و العُشر: من كبار شجر العضاء و هو ذو صمغ حلو و حراق مثل القطن يقتدح به  
و هو عريض الورق يخرج من شعبه و مواضع زهره سكر فيه شيء من المرارة، و يستعمل حطبه للنار. أنظر لسان العرب  
لابن منظور مادة سلع و عشر

<sup>2</sup> . شهاب الدين النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب. دار الكتب المصرية القاهرة 1932، ج1، ص 110.

<sup>3</sup> . أمية بن أبي الصلت: الديوان ص 73، 74.

<sup>4</sup> . تبرح بالناس : تجهدهم . الطحور بالحاء و الخاء: اللطخ من السحاب القليل . النكن: جمع ثكنة و هي القلادة  
و الجماعة. الطود: الجبل. تبور: تهلك. شكر الأذنان: شعر الأذنان. باقر و البيقور: جماعة البقر و منه  
البيقرة: مشية يطأ الرجل فيها رأسه.

للمطر.<sup>1</sup> أي أنّ هذا الطقس يعتبر تمثيلاً أو محاكاة للظواهر الطبيعية<sup>2</sup> بكلّ تفاصيلها، بحيث

يمثّل الدخان تراكم السحب و ألسنة النّار تمثّل البرق. إضافة إلى ذلك - حسب ما ذكره

الدميري - أنّهم كانوا يسوقون الأبقار باتجاه المغرب من دون الجهات الأخرى.<sup>3</sup> قد يؤولنا هذا

التحديد للاتجاه إلى وجود علاقة رمزية لاعتقاد العرب بنوء النجوم نحو المغرب. ممّا جعلهم

يدفعون الأبقار بنفس الاتجاه آمليّن أن يكون لذلك أثر بإنزال الأمطار. و قد يكون هذا

الطقس من مظاهر الفداء في المجتمع الجاهلي، حيث يرى علي البطل أنّ هذا الطقس

وسيلة سحرية دينية للاستمطار و ما نزول المطر إلا استجابة للصلاة و البقر و الثيران

الوحشية هي واسطة إلهية تتأدّى في هذا الطقس. <sup>4</sup> إلا أنّنا نجد عددا من الشعراء سخروا

من هذه الظاهرة و عابوا على العرب فعلهم ، حيث قال وداك الطائي:<sup>5</sup>

لَا دَرَّ دَرٌّ أَنَسٍ خَابَ سَعِيهِمْ      يَسْتَمْطِرُونَ لَدَى الْإِعْسَارِ بِالْعُشْرِ<sup>6</sup>

أَجَاعِلُ أَنْتَ بِيْفُورًا مُسَلَّعَةً      دَرِيْعَةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَ الْمَطْرِ

و قال أعرابي:<sup>1</sup>

<sup>1</sup> . جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج 5 ص 341.

<sup>2</sup> . يسمي فريزر هذه المحاكاة بالسحر التشاكلي، أي أنّهم إذا أرادوا مثلاً أن يسقط المطر قاموا بمحاكاة سقوطه برش الماء أو محاكاة تجمع الغيوم و السحب. أمّا إذا أرادوا إيقافه و إحداث الجذب فإنهم يتفادون الاقتراب من الماء و يعمدون إلى الدّفء و إلى النّار. أنظر جيمس فريزر: الغصن الذهبي ترجمة أحمد أبوزيد و صاحبيه، مطبعة الثقافة مصر 1971، ج 1 ص 250.

<sup>3</sup> . أنظر كمال الدين الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص 8.

<sup>4</sup> . علي البطل: الصورة الفنية في الشعر العربي، ص 131.

<sup>5</sup> . الألويسي: بلوغ الأرب ، ج 2 ص 302.

<sup>6</sup> . و في الحيوان للجاحظ : يستبدل لفظتي أناس برجال و الإعسار بالأزمات

لَا دَرَّ دَرٌّ رِجَالِ خَابَ سَعِيهِمْ      يَسْتَمْطِرُونَ لَدَى الْأَزْمَاتِ بِالْعُشْرِ.



شَفَعْنَا بِبَيْفُورٍ إِلَى هَاطِلِ الْحَيَا      فَلَمْ يُغْنِ عَنَّا ذَاكَ بَلْ زَادَنَا جَدْبًا  
فَعُدْنَا إِلَى رَبِّ الْحَيَا فَأَجَارَنَا      وَ صَيِّدُ جَدْبِ الْأَرْضِ مِنْ عِنْدِهِ خَصْبًا

ففي هذه الأبيات نجد ما يدلنا على أنّ العرب اعتقدوا في إله أكبر هو الله الذي ينزل عليهم الأمطار أو يدفعها عنهم فتجذب الأرض، وما قيام بعضهم (الأعراب) بطقوس الاستمطار إلا محاكاة لما تقوم به الطبيعة و الدليل على ذلك وجود طقس سحري آخر يذكره المقرئ في لمنع سقوط المطر، حيث كان شائعا في بعض قبائل البدو في حضرموت و هي قبيلة القمر، فقد كان الناس هناك يقطعون غصن شجرة معينة في الصحراء، و يشعلون فيه النار ثم يرشون الماء بعد ذلك على الخشب المشتعل ، فيقل هبوط المطر حتى يتوقف تماما مثلما تختفي المياه التي تُرَشَّ على الخشب المتوهج. <sup>2</sup> و يبدو أنّ النار لها مكانة مرموقة في المعتقدات الجاهلية بحيث أنّ الطقوس التي استعملت فيها كثيرة. ربّما لأنّهم اعتقدوا أنّ فيها قوّة سحرية ممّا دفعهم إلى تقديسها. فالنار تستعمل في تحليل د. محمد عجينة إمّا علامة من العلامات يقصدون بها إلى معنى مباشر متواضع عليه فتكون بمثابة الإشارة أو تكون ضمن الشعائر و الطقوس رمزا متقلا بالمعاني و الدلالات. <sup>3</sup> نذكر منها نار المزدلفة التي توقد في موسم الحجّ و نار الأهبة للحرب و نار الحلف منها نار يوقدون خلف المسافرين

<sup>1</sup>. الألويسي: بلوغ الأرب ج 2 ص 301.

<sup>2</sup>. تقي الدين المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، عن المطر في الشعر الجاهلي لأنور أبو سويلم، دار الجيل بيروت، ط 1، 1987، ص 94.

<sup>3</sup>. محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب ص 206.

ربّما أوقدوها إن لم يرجوا عودته ،جاء في المثل أبعد "دار فلان و أوقد ناره إثره " <sup>1</sup>.

و العكس ما يفعلونه عندما يريدون عودته فيريقون خلفه الماء. <sup>2</sup>

ومن طقوس الاستمطار عند العرب اللجوء إلى بيت الله الحرام لقدسيته. حيث كانوا إذا أجهدهم القحط يفزعون إلى بيت الله يدعون الله أن يغيثهم. و من القصص التي رواها وهب بن منبه قصّة قوم عاد الذين ابتلاهم الله بالقحط ثلاث سنين، فأجمعوا أمرهم على المسير إلى بيت الله الحرام يستسقون الغيث. فجهزوا من عظمائهم و أشرفهم سبعين رجلا و منهم لقمان بن عاد الذي لاذ بالكعبة يدعو و يتضرّع فأرسل الله تعالى على قومه سحابة سوداء عُقمت من الرحمة و لقحت بالعذاب بريح صرصر عاتية. <sup>3</sup> رغم أنّ قصة قوم عاد قد ذكرت في القرآن الكريم في الآية 24 من سورة الأحقاف <sup>4</sup>، و الغاية منها الاعتبار بقصص الماضين إلاّ أنّ مخيلة القصاص - وهب بن منبه - قد فعلت فعلها فأضافت أحداثا منها ما تعلق برغبة لقمان بن عاد في الخلود و قصة الأنسر. ممّا جعل هذه الحقيقة تتحوّل إلى أسطورة خرافية. هذا لا ينفي أنّ البدو و الأعراب كانوا إذا أمسكت السماء ماءها و جفت الوديان لجؤوا إلى المدن الكبرى و بخاصّة مكّة يتضرعون إلى ربّ البيت رغم و ثنيتهم لأنّهم ما اتّخذوا

الأصنام إلاّ شفعاء لهم عند الله. و تحدّث الجاحظ عن وسيلة سحرية لنزول المطر كانت

<sup>1</sup>. ابن منظور : لسان العرب ، مادة وقد.

<sup>2</sup>. و نيران العرب هي ثلاثة عشر نارا أغلبها لها علاقة بمعتقد معين كنار السعالي و نار السليم. و لمعرفة نيران العرب أنظر نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ص 425 وما بعدها.

<sup>3</sup>. الرجوع إلى القصة بتفصيل أكثر في كتاب التيجان في ملوك حمير لوهب بن منبه ، مطبعة المعارف العثمانية الهند 1347. ص 325.

<sup>4</sup>. قال تعالى: " فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24) تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ".

موجودة عند العرب و هي غسل الثياب و دلّ على ذلك ما جاء في أبيات رواها عن "سعد  
المطر" قال فيها:<sup>1</sup>

دَعِ الْمَوَاعِيدَ لَا تَعْرِضْ لَوُجْهِهَا      إِنَّ الْمَوَاعِيدَ مَقْرُونٌ بِهَا الْمَطْرُ  
إِنَّ الْمَوَاعِيدَ وَالْأَعْيَادَ قَدْ مُنِبْنَا      مِنْهُ بِأَنْكَرِ مَا يُمْنَى بِهِ بَشَرُ  
أَمَّا الثِّيَابُ فَلَا يَغْرُزُكَ إِنْ غُسِلَتْ      صَحْوٌ قَدِيمٌ وَ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ

فالشاعر يذكر طقس غسل الثياب من أجل الاستسقاء في مجال التهكم و السخرية، فهو ينفى  
أن يكون له أثر في نزول المطر مثله مثل الاعتقاد في الأنواء. فالمواعيد يقصد بها مواقيت  
نوء النجوم إلاّ أنّه بنظرة تشاؤمية يرى أهمّ البنوء بالنوواء النحوس **الجاهلي** فائدة ترجى من غسل  
الثياب. كما انتشر في الشعر الجاهلي ظاهرة الاستسقاء بالأفراد حيث يعتقد أنّ لهم قوى  
روحية و قدرات سحرية على استنزال المطر، و يظهر ذلك خاصّة في مدح الملوك والكهّان،  
ومنه قول النابغة يمدح أحد ملوك آل جفنة:<sup>2</sup>

جَرَيْتُ أَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِهِ      مِنْ آلِ جَفْنَةَ فِي عِزٍّ وَ فِي كَرَمٍ

و قال الأعشى في هودة بن علي الحنفي:<sup>3</sup>

أَعْرُ أَبْلَجَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِهِ      لَوْ صَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْلَامِهِمْ صَرَعًا

و كان يستسقى بالرّضيع ، مثلما فعل أبو طالب حينما أصاب مكة جذب عظيم و أمسك  
السحاب عنهم سنتين. حيث وضعه على يديه و استقبل الكعبة و رماه إلى السماء، و قال:

<sup>1</sup>. الجاحظ: البرصان و العرجان، تحقيق محمد مرسي الخولي ، مطبعة الاعتصام القاهرة 1976، ص 85.

<sup>2</sup>. النابغة الذبياني: الديوان ص 201.

<sup>3</sup>. الأعشى: الديوان ص 143.

يا ربّ بحقّ هذا الغلام و رماه ثانيا و ثالثا و كان يقول: بحقّ هذا الغلام اسقنا غيثا مغيثا

دائما هاطلا ، فلم يلبث ساعة أن طبق السحاب وجه السماء و أمطر، حتّى خافوا على

المسجد.<sup>1</sup> و في قصة لجوء العرب إلى ربّ البيت للاستسقاء و اتّخاذ الرضيع وسيلة

للاستعطف و طلب الرحمة دلالة على إيمانهم العميق بأنّ الله هو الرازق المغيث رغم

اعتقادهم في الأوثان. **معتقدات أخرى في الشعر الجاهلي**

و من المعتقدات التي لها علاقة بالاستمطار و تكرّرت في الشعر الجاهلي الدّعاء بسقيا

القبور. و يرجعها أحد الدارسين إلى بقايا تراث ديني قديم كان أصلا طقسا سحريا يمارس

على عظام الموتى التي استخدمها العرب في استدعاء المطر.<sup>2</sup> غير أنّ هذا التعليل يبدو لنا

ضعيفا و الأرجح أنّهم كانوا يعتقدون أنّ الموتى يمارسون حياة عادية في القبر فيعطشون

و يشربون. و مثل ذلك ظاهرة نضح القبر بالخمر علّها تمسّ الميت جزء من نشوتها أو هي

وسيلة لإرضاء الهامة و الصدى فتهدأ الروح الهائمة ، كقول حاتم الطائي:<sup>3</sup>

أَمَاوِيٌّ إِنْ يُصْبِحُ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ      مِنْ الْأَرْضِ لَا مَاءَ لَدَيَّ وَ لَا حَمْرُ

تَرَى أَنَّ مَا أَهْلَكَتُ لَمْ يَكُ ضَرَّتْنِي      وَ أَنَّ يَدَيَّ مَمَّا بَخَلْتُ بِهِ صِفْرُ

<sup>1</sup> . يقول أبو طالب عم الرسول (صلع) في قصيدته اللامية:

وَ أْبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ      تَمَالَ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ  
يَطِيفُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَ فَوَاضِلِ

عن نعمان الجارم: أديان العرب في الجاهلية ص 78.

<sup>2</sup> . ذكره أنور أبو سويلم في بحثه الإستسقاء في الشعر الجاهلي . مجلة مؤتة للبحوث و الدراسات العدد الأول، جامعة

مؤتة 1986. عن عماد علي الخطيب: الصورة الفنية أسطوريا، ص 322.

<sup>3</sup> . حاتم الطائي: الديوان، تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني القاهرة، 1975.

و كقول الخنساء ترثى صخرا<sup>1</sup>:

سَقَى الْإِلَهَ ضَرِيحًا جَنَّ أَعْظَمَهُ      وَ رُوحَهُ بِعَزِيرِ الْمُزْنِ هَطَّالٍ

و قالت أيضا<sup>2</sup>:

أَسْقَى بِلَادًا ضُمَّنْتُ قَبْرَهُ      صَوَّبَ مَرَابِيعِ الْغُيُوثِ السَّوَّازِ

و مَا سُؤَالِي ذَلِكَ إِلَّا لِكَيْ **مَعْتَقِدَاتٍ أُخْرَى فِي الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ فِي الْقِفَازِ** يسفاهام بالرومي في القفاز

فالخنساء تدعو الغيث أن يتوجّه للبلاد التي تضمّ قبر أخيها ، عسى أن يلحقه جانب من هذا الماء فيروي هامه. و الدعاء بالسقيا في المراثية العربية رمز من رموز تهدئة الروح التي تطالب بالنّار، فحسب اعتقاداتهم أنّ الهام تصيح اللّيل: إسقوني...

و من ذلك نخلص إلى أنّ المطر في الفكر الجاهلي حدث مهمّ، بواسطته تعود الحياة إلى الأرض و انعدامه يعرّضهم للقحط و المجاعات. ممّا دفعهم و هم في حالة من الأمل و الدعاء إلى نسج طقوس للاستسقاء معتقدين في النجوم و نوءها. كما استعملوا النّار و البقر الوحشي في محاكاة نزول الغيث ، و غسل الثياب و الاستسقاء بالأفراد ملوكا أو كهنة أو رضعًا. فالاستسقاء فيهم من زمن قديم و هو من بقايا الشرائع السماوية ، خاصة لجوؤهم إلى الأماكن المقدّسة طمعا بالله في إجابة الدعاء.

<sup>1</sup> . الخنساء: الديوان ص 109.

<sup>2</sup> . نفسه ص 68.

# الخاتمة

## خاتمة

يمكن القول بعد استقراءنا لأهم أفكار بحثنا من خلال المدونات التي وصلتنا في كتب التفسير و المغازي أو في كتب الأخبار والأنساب والتواريخ و كتب العقائد و الملل و النحل و في الموسوعات الأدبية والمعاجم اللغوية و الدواوين الشعرية ، أنها تشتمل على مادة دينية متفرقة أشتاتا في مختلف الخطابات التي وصلتنا عن طريق الرواية الشفهية التي دوت في مرحلة متأخرة عنها.مما دفع عددا من المستشرقين والباحثين العرب ( طه حسين ) إلى الشك في صحة الشعر الجاهلي بسبب ما تعرض إليه من تغيير أو تحويل نظرا للتباعد الزمني بين المصدر و المدون.فالذاكرة الجماعية تختزل الأحداث التاريخية و قد تغير من صياغة المادة الكلامية فتزيد و تنقص أو تنسبه لغير قائله .و من المأكد أنّ هذا الأمر حدث في بعض الأحيان لكن ينبغي علينا أن لا نبالغ في تقدير هذه التغيرات ، فالشعر الجاهلي هو سجل العرب الوحيد و ديوان أخبارهم ، فيه عاداتهم و تقاليدهم ، و قضاياهم الاجتماعية و فيه عقائدهم و خلاصة ثقافتهم لذا اعتمدنا عليه في دراستنا.و من بين النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة مايلي :

- . و لغرض التوطئة لموضوع الدراسة تطرّفنا إلى المفاهيم الأساسية للمصطلحات التالية :
- المعتقد ، الدين، الأسطورة ،الشعر.و توصلنا إلى إيجاد النقاط الرابطة بينها.و خلصنا إلى أنّ الشعر العربي الذي وصلنا من مرحلة ما قبل الإسلام يحمل في طياته بعض الآثار الدينية و الأسطورية و ما صاحبته من طقوس وشعائر مارسها العربي، قد تتشابه مع ما جاء في معتقدات الشعوب الأخرى و قد تتميز في أخرى .
- . كما يتجلى من ثنايا الدراسة التعريف بالأمة العربية التي تعدّ من أقدم الأجناس السامية .

فالعرب شعب قديم قدم الأجناس البشرية الأولى ، فقد وجد اسم العرب على أقدم النقوش

المصرية القديمة و الفارسية أيضا. يطلق العرب على بلادهم إسم "جزيرة العرب" تنقسم جغرافية الجزيرة بحسب طبيعتها إلى خمسة أقسام هي : تهامة ، نجد و الحجاز ، العروض و اليمن كما تتصف الطبيعة الصحراوية لجزيرة العرب باختلافات متباينة . ففي أقصى الشمال تتميز المنطقة الصحراوية برمالها البيضاء و الحمراء و يليها منطقة النفوذ و هي منطقة واسعة أرضها حمراء تسمى الدهناء و القسم الغربي منها تسمى الأحقاف وهي منطقة تخلوا من الكائنات الحية و تشتهر بوجود الربع الخالي . كما تتميز صحراء جزيرة العرب بوجود الأراضي البركانية ذات الأحجار السوداء و هي الحارر ، تعتبر جزيرة العرب من أشدّ البلاد جفافا و حرارة كما امتازت بالأمطار الموسمية .

فالموقع الجغرافي كان له دور كبير في تقسيم العرب إلى عدنانيين و قحطانيين فقامت على أرضها عدة ممالك و دويلات ففي الجنوب أشهرها قنبان ومعين و سبأ و حمير و شمالا مملكة الحيرة و الغساسنة و كندة . حيث كانت قبائل العرب في صراع دائم مع الآشوريين و اليونانيين ثم مع الفرس و الروم و الأحباش. كما قسم الباحثون المراحل التي مرّ بها الجنس العربي في شكل طبقات :

بائدة و عاربة و مستعربة حيث تمكنا من اكتشاف الديانات التي كانت سائدة و ذلك من خلال الحفريات و المكتشفات الأثرية في اليمن و بلاد الهلال الخصيب و التي ألقت الضوء على طقوسها و مراسيمها . و لعلّ ذلك يرجع لما مرّ على عرب الجنوب من مراحل سياسية ممّا جعلهم يلعبون دورا واسعا في تاريخ الحضارة العربية القديمة . فاشتهروا بعمارة القصور



و الهياكل و تشييد السدود ، فكانوا يألّهون السيارات الفلكية و النجوم، خاصة الثالث  
(القمر) و اسمه عند المعينيين " ودّ " وكان إلههم الأكبر و تليه الشمس التي اعتبروها  
زوجته و منهم ولد عثو أي الزهرة ثم تحوّلت هذه العبادة إلى وثنية .  
. توصلنا إلى فهم أنّ الدين هو عملية استرضاء و طلب عون قوى أعلى من الإنسان ، يعتقد  
أنها تتحكّم بالطبيعة و الحياة الإنسانية و هذه العملية تتطوي على عنصرين واحد نظري  
و الآخر تطبيقي . فالمعتقد يرسم صورا ذهنية واضحة لعالم المقدسات أمّا الطقس فيضعنا  
في موقف عملي من حيث هو مجموعة إجراءات و حركات تأتي استجابة للتجربة الدينية  
الداخلية و تهدف إلى عقد صلة مع العوالم القدسية .  
. ترجع أهمية دراسة الحياة الدينية عند العرب قبل الإسلام على محاولة فهم عقلية وطرق  
تفكير و معتقدات جنس وُصف بمحدودية الخيال و بالسفه و بنقص الفكر الديني و انغماسه  
في الماديات و الملذات .  
. والواقع أن أديان العرب كان بينها صلوات و مؤثرات ، فلم يكن هناك استقلال و انفصال  
بين الأديان التي اعتنقها عرب الشمال عن تلك التي آمن بها أولئك الذين استقرّوا في  
الجهات الجنوبية من بلاد العرب .  
. كانت العرب في الجاهلية على أديان و مذاهب مختلفة أولها الحنيفية فعقيدة الوجدانية هي  
الأصل و ما الوثنية إلا خروج عنها

. فأول من دعى إلى عبادة الله الواحد كان إبراهيم عليه السلام في جزيرة العرب ببناؤه للكعبة  
أول بيت يعبد فيه الله ، و سنّ شعائر الحجّ و العمرة ، فاتخذت طائفة من العرب من عقيدة  
إبراهيم الخليل عليه السلام ديناً لها . و قد عرف هؤلاء بالحنفاء لقوله . فاستبدلوا عبادة  
الأوثان بالتوحيد و حرّموا الأشهر الحرام و حجّوا واعتمروا واجتنبوا فعل المنكرات التي اعتاد  
العرب عليها و تفشّت في مجتمعهم منها شرب الخمر ولعب الميسر و وأد البنات، و نصحوا  
النّاس بالابتعاد عن الوثنية و التقرب إلى الله وامتنعوا عن أكل ما يذبح على النصب .  
. انتشرت ديانة اليهودية في جهات متفرّقة من بلاد العرب و منها خيبر و يثرب و وادي القرى  
وفدك و تيماء و اليمن. و يرجع ظهور اليهودية في جزيرة العرب إلى هجرة الجماعات  
اليهودية من أرض كنعان لأسباب كثيرة منها الاضطهاد البابلي و الآشوري و الروماني أو  
للتجارة. واستقروا في أخصب المناطق العربية و اشتغلوا في الزراعة و الصناعة التي كان  
يأنف منها العرب كما عرفوا السحر و التعاويذ لانتقائها.  
. بلغ من تأثير اليهود في بلاد العرب إلى اعتناق قبائل و ملوك - الحميريين - لليهودية رغم  
أنّ اليهود عزفوا عن التبشير بدينهم . فتأثروا بالعرب في لباسهم و أساليب حياتهم و لغتهم،  
حيث قرض بعضهم الشّعر على طريقة العرب و منهم السموأل و سمّاك اليهودي.  
. ولمجاورة العرب اليهود لفترة طويلة من الزمن لم تمرّ قبل أن تترك آثارها في الشّعر  
الجاهلي، و من هذه الآثار المعارف الدينية و قصص أنبياء بني إسرائيل وأعيادهم وطقوسهم.

. دخلت النصرانية بلاد العرب وانتشرت فيها بالتبشير الذي تمّ بدخول بعض النساك والرهبان و إقامتهم مع العرب سواء في الخيام أو في الأديرة التي أعدّوها للقوافل ليجد فيها التجار كلّ وسائل الراحة ومن ثمّ تكون وسيلة من وسائل التبشير ونشر ديانتهم . كما كان للرقيق المستورد الذي انتشر في جزيرة العرب دور كبير في ذلك .

. وجدت النصرانية هي أيضا طريقا لبعض القبائل العربية كإياد و طيء والغساسنة وفي الحيرة مع اختلاف مذاهب النصرانية ( صراع المذهبين اليعقوبي والنسطوري) . و أهمّ مواطنها في بلاد العرب كان نجران و اشتهرت بكنيستها التي لقّبت بكعبة نجران والقليس . و من أسباب عزوف أغلبية العرب عن الدّخول في النصرانية تعاليمها ( إيمانهم بالصليب و عيسى ابن الله ) بالإضافة إلى صعوبة لغة الإنجيل الذي كُتب بالعبرانية و السريانية . . شمل الشّعْر الجاهلي بعض الألفاظ التي لها علاقة بالمسيحية ممّا يدلّ على أنّ العرب كانوا على دراية و معرفة بتعاليم هذه الديانة ، من طرق عبادة ورُتّب رجال الدين .حيث وظّف الشعراء غير المنتصرين هذه المعارف في تشبيهاتهم أو استعاراتهم . أما العرب المنتصرون فقد مارسوا الصلاة فرادى و جماعات ورتّلوا المزامير بأنغام في الكنائس و احتفلوا بأعياد النصراني كيوم السباسب و عيد الفصح . غير أنّه ظهرت فئة دخلت النصرانية إلا أنّ فيها بقية من دين العرب فحجّت و طافت بالكعبة و آمنت بالمسيح و الصليب (العباد) منهم عدي بن زيد العبادي.

. من أهم الديانات التي انتشرت في بلاد العرب عبادة الأصنام و يرجع البعض أصلها لوحيدانية تبدلت و تغيرت الى وثنية . فأغلب الديانات الوضعية هي اختراع بشري و كان للكهنة دور في إعطائها شعائر و طقوس مثلما فعل عمر و بن لحي والذي يعتبره الإخباريون أول من غير دين إسماعيل (عليه السلام) و جلب الأصنام ووضعها في مكة ليعبدها الناس زلفى وتقربلله الواحد المعبود و رب البيت العتيق. ثم تطورت هذه العبادة فأصبحت الأصنام تمثل في معتقد عابديها قوى عليا يجب تقديسها، و يحرصون على تقديم الهدايا و الذبائح لها كطقوس فداء .

. تعلق العرب بأصنامهم من حجارة أو خشب على اختلاف أشكالها رغم أنهم لم يشتهروا بالثحت الفني، و ربّما عبدوا حجرا استحسّنوا شكله فإن رؤوا حجرا أحسن و أعجبهم تركوا الحجارة القديمة و عبدوا الجديدة . و من القرابين التي قدّمت للأوثان البحيرة و السائبة و الوصيلة و الحام .

. للوثنية دور في تغيير بعض شعائر الحجّ و العمرة التي جاء بها دين إبراهيم (عليه السلام) منها التلبية و الذبح عند النصب و الحلق عند الأوثان .

. أما عبادة الكواكب و النجوم و كما سميت أيضا بالصائبة فهي ديانة انتشرت خاصة في بلاد العرب الجنوبية و في مناطق شمالية منها بتأثير من الحضارات المجاورة كالبابلية و الآشورية . و أساس هذه الديانة التقرب إلى ملائكة السماء التي نجم عنها وضع أصنام على أشكال الكواكب السبعة الشمس، القمر، الزهرة، المشتري، عطارد، المريخ، و زحل .

وقاموا بتعظيم البروج الإثني عشر، و اعتبر الأبراج بيوتا للكواكب. كما عظمت العرب و تشاءمت من أخرى لعلاقتها بالمطر و حالة القحط و الخصب ، فمثلا عظمت الثريا لكثرة نوءه أو مطره و اعتبرت نوء الدبران شؤما عليهم لقلّة مطره .

. تصوّر العرب العالم مليئا بالأرواح و نسب إليها كل ما يلحق به الضرر أو الأذى و اعتقد أنّ بقدرتها دفع هذا الأذى عنه فراح يتوسّل إليها بإقامة الطقوس لاسترضائها. فهذا الخوف و الفرع قاد العرب إلى تخيل هذه الكائنات على شكل مخلوقات عجيبة تسكن الأماكن المظلمة و المهجورة و الخرائب و المقابر .

. على الرّغم من كون الجنّ أرواحا غير منظورة إلا أنّهم اعتقدوا بإمكانية رؤيتها و مخاطبتها و الزواج بها. و هي تتمثّل عندهم في الغالب في أشكال حيوانات خاصة الحيّات التي تعتبر بنات الجن . كما ذهبت مخيلتهم إلى أن جعلوا بين الجنّ و الله نسا ، للأعمال الخارقة التي نسبت إليهم. فاستعاذوا بعظيم الجنّ لاتقاء شرّهم و تخيلت أنّها تخبرهم بالأنباء و يرجع هذا الاعتقاد إلى الأوهام الفكرية و التصورات الخيالية التي هيمنت على عقلية البدوي. حيث رسم شخصيات خرافية لا تزال أصدائها في الثقافة الشعبية كالشقّ و التابع و النسناس .

. يعتبر الغول من أهمّ الشخصيات الخرافية التي انتشرت في المجتمع العربي، حيث نسجت حوله أساطير تعلّقت بالذاكرة الشعبية و استمرّت إلى يومنا هذا. و ذلك ما يؤكد الحسّ الفني و الخيالي عند العرب.

. حفظ لنا الشّعْر الجاهلي الملامح الخرافية التي وضعت للغول .فذكر بعض الشعراء صراعهم مع الغول و تغلبهم عليها لإظهار شجاعتهم ، كما ذكر غيرهم زواجه و إنجابه من السعلاة .

. اشتهر عند العرب و غيرهم من الشعوب شخصيات موهوبة لها قدرات الاتصال بالآلهة أو بالأرواح لمعرفة المستقبل و التنبؤ بما سيحدث و هم الكهنة الذين يُعتقد أنّ لكل واحد منهم تابع من الجنّ يخبره بعلم غزير يتعلّق بالمستقبل. و لم تقتصر الكهانة على معرفة الغيب عن طريق التابع بل استخدموا وسائل أخرى منها العرافة و الزجر لتشاؤمهم أو تفاؤلهم . كما قاموا بلاستقسام بالأزلام و طرق الحصى و الخط على الرمال بغرض اكتشاف الغيب لخوفهم مما تخبئه لهم الأقدار .

. أما الظاهرة التي شكّلت أساس التفكير العربي قديما كانت حالة الموت فالأحوال النفسية الناتجة عن الحيرة و القلق للمصير الذي سيؤول إليه جعلته ينسج خرافات حول تحوّل الرّوح إلى هامة تسكن الأماكن الخالية و المقابر و تطالب أهله بالأخذ بثأره .و لما كان أكثر الشّعْر الجاهلي يعبر عن الطبيعة الانسانية فإنّ شعر المراثي يعتبر الجزء الأعظم الذي يعكس الفكر الإعتقادي لدى أفراد المجتمع الجاهلي .

. فكرة البعث و الحساب كانت من أهمّ المواضيع التي جادل فيها الجاهليون الرّسول (صلى) فمنهم من أنكرها وعدّها من أساطير الأولين و منهم من آمن بها بسبب الموروث الديني

الذي كان مترسّخا في ذهنه ممّا بقي من الحنيفة، فذكروا بعثهم و حاجتهم إلى ناقة يرتحلون  
عليها و هي التي سميت البلية .

. اهتمّ العرب بموتاهم حيث كانت لهم طقوس جنازية خاصة بغسل الجسد و تكفينه  
و تعطيره و حسن دفنه ، ثمّ البكاء عليه و الدعاء له. و من عاداتهم نضح القبر بالخمير أو  
عقر نوقهم على قبره تعظيما للميت و اعترافا لخصاله . و قد حفظ لنا شعر الرثاء كلّ مراحل  
الترتيب للدفن و الطقوس التي تصاحبها و الشواهد كثيرة .

# الملحق



### الملحق الأول

#### الأوثان المذكورة في القرآن الكريم:

لقد اعتمدنا في ترتيبنا لهذه الأصنام حسب ما جاء في الآية 23 من سورة نوح " وَقَالُوا لَا تَنْزُرُنَا إِلَهِتَكُمُ وَلَا تَنْزُرْنَا وَلَا سِوَاءَ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا " .

أ. ود :

و كان الصنم ود من الأصنام التي ذكرت في القرآن الكريم على أنها تعود لقوم نوح و انتقلت إلى عمرو بن لحي و الذي دفعه إلى عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة... فحملة إلى وادي القرى و أقره بدومة الجندل و سمى ابنه عبد ود<sup>1</sup>، و هو أول من سمي عبد ود ، ثم سمّت العرب به بعده .<sup>2</sup> و كان لقريش أيضا صنم اسمه ودّ و يقولون أدّ أيضا. روى ياقوت الحموي عن ابن حبيب قال: " ود كان لبني وبرة و كان بدومة الجندل وكانت سدائته لبني الفرافصة بن الأحوص الكلبيين "<sup>3</sup> و يبدو من الشعر الجاهلي الذي رواه المؤرخون أنّه كان معبودا عند كثير من القبائل كقول النابغة الذبياني :<sup>4</sup>

حَبَّاءُكَ وَدٌّ فَإِنَّا لَا يَحِلُّ لَنَا      لَهْؤُ النِّسَاءِ وَ إِنِ الدِّينَ قَدْ عَزَمَا

<sup>1</sup>. قال فيهم حاتم الطائي : من الديوان ص 60

إِنَّ بَنِي عَبْدِ وَدٍّ كُلَّمَا وَقَعَتْ      إِحْدَى الْهَيْتَاتِ أَتَوْهَا غَيْرَ أَعْمَارِ

<sup>2</sup>. ابن الكلبي : الأصنام ص 34. و ابن المظور : اللسان ج 4 ص 468,

<sup>3</sup>. ياقوت الحموي : معجم البلدان ج      ص 366 مادة ود

<sup>4</sup>. النابغة الذبياني :الديوان ، ص 106. يشير الشاعر صراحة إلى أنّ ودّ كانت له علاقة بلهو النساء قبلما يعزم الدين.

و قال الحطيئة العبسي <sup>1</sup> :

فَحْيَاكَ وَدُّ مَا هَدَاكَ لَفْتِيَةً      وَ خُوصٍ بِأَعْلَى ذِي طُؤَالَةٍ هُجِدَّ <sup>2</sup>

و اشتقاق "ود" في اللغة العربيّة هو من ودد بمعنى أحب ، و مثل ود دور الحب عند العرب. كان أول من دعا إلى عبادته عوف بن عذرة الذي تُعدّ قبيلته المثل الأعلى للحب . <sup>3</sup> و قد عرفه المعينيون من أهل اليمن قديما رمزا للقمر، و هو الذي يشير إليه الأعشى مادحا الأسود بن المنذر اللخمي <sup>4</sup> :

أَرْيَحِي صَلْتٌ يَظَلُّ لَهُ الْقَوُّ      مُ رُكُوعًا قِبَامَهُمْ لِلْهَلَالِ

و ودّ <sup>5</sup> على وصف ابن الكلبي : قلت لمالك بن حارثة <sup>6</sup> : صف لي ودّ حتى كأني أنظر إليه. قال: كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، قد ذُبر عليه حُلَّتَان ، متّزر بحلّة، مرتد بأخرى. عليه سيف قد تقلّده و قد تتكّب قوسا ، وبين يديه حربة فيها لواء و وفظة فيها نبل <sup>7</sup>. و هذا الوصف يوحي بأنّه كان إله الحرب بدليل وجود السيف و الحربة ، فعبادة ودّ أعمّ و أقدم في تاريخ الشّرق، بحيث كانت من أصنام قوم نوح عليه السلام كما ذكرني القرآن.

<sup>1</sup> . الحطيئة : الديوان ص 148 .

<sup>2</sup> . الخوص : الإبل العائرة العبرين . و ذو طؤالة : مكان .

<sup>3</sup> . عبد المعين خان : الأساطير العربية ص 134 .

<sup>4</sup> . الأعشى : الديوان ص 26 . استشهد به أحمد كمال زكي : الأساطير دراسة حضارية مقارنة ص 82 .

<sup>5</sup> . و قد عرف ودّ في العربية الجنوبية بكهّان أي كهل أو كاهل . فكتابة المسند تثبت التثوين نون و تحذف حرف المد. وورد الاسمان في النقوش التي اكتشفت حديثا في قرية الفاو في المملكة العربية السعودية . حيث نقش على إناء من المرمر ودّ أب و نقش على مبخرة من الحجر الجيري كهل رب . عن كتاب الدكتور نصرت عبد الرّحمان الواقع و الأسطورة في شعر أبي نؤيب الهذلي ص 130- 131 .

<sup>6</sup> . مالك بن حارثة الأجداري هو من بني عامر الأجدار و هم سدنة ودّ .

<sup>7</sup> . ابن الكلبي : الأصنام ، ص 56 . و فضة : أي جعبة .

ب - سواع :

أمّا سواع فقد قصر الشهرستاني عبادته على هذيل<sup>1</sup>، فقال: " و سواع لهذيل و كانوا يحجّون إليه و ينحرون له".<sup>2</sup> و جعل ابن حبيب عبادته في بني كنانة و هذيل و مزينة و عمرو بن قيس عيلان، و ذكر أنّ سدنته بنو صاهلة من هذيل<sup>3</sup> و ذكر ابن الكلبي أنّ عمرو بن لحي لحي و هو الذي يُنسب إليه إدخال الأصنام في جزيرة العرب، إذ أنّه دفع سواعا إلى رجل من هذيل ، فكان بأرض يقال لها رهاط \* من بطن نخلة ، يعبد من يليه من مضر .<sup>4</sup> و كان الصنم سواع على صورة أنثى<sup>5</sup>. و قد ذكر ابن الكلبي بيتين لشاعر مجهول:<sup>6</sup>

تَرَاهُمْ حَوْلَ قَيْطِهِمْ عُكُوفًا      لَمَّا عَكَفَتْ هُدَيْيُ عَلَى سُوَاعِ

تَظَلُّ جِنَابَهُ صَرَعى لَدَيْهِ      عَتَائِرُ مِنْ دَخَائِلِ كُلِّ رَاعِ

ج - يغوث :

أمّا يغوث فإنّ اسمه مشتق من الغوث أو النجدة. و اسمه يشبه اسم الإله العبري يعوش، ممّا حمل روبرتسن سميث على اعتبارهما إلها واحدا<sup>7</sup>. و كان يغوث من جملة الأصنام التي فرّقها عمرو بن لحي على من استجاب إلى دعوته من القبائل، دفعه الى أنعم بن عمرو

<sup>1</sup> . و المعروف أنّ هذيلاً في جاهليتها كانت من القبائل الوثنية التي ناصبت الإسلام العداء امعانا في وثنيها . و قد عبدت سواعا و ودًا و مناة و سعدا .

<sup>2</sup> . الشهرستاني : الملل والنحل ، ج 3 ص 265.

<sup>3</sup> . ابن حبيب : المحبر ص 316.

<sup>4</sup> . الأصنام ص 57

\* يقال أنّ رهاط جبل بقرب مكة على طريق المدينة قرب قرية صغيرة تسمى الحديبية (معجم البلدان ج 3 ص 107)

<sup>5</sup> . حسب رواية الواقدي : مجمع البيان ص 26- 74 . و المستطرف من كل فن مستطرف ج 2 ص 79

<sup>6</sup> . الأصنام ص 57 . معجم البلدان مادة سواع ج 3 ص 276.

<sup>7</sup> . صالح أحمد علي : تاريخ العرب القديم ص 223

المرادي فوضعه بأكمة مَدْحَج باليمن ، فعبدته مذحج و من والاهها و أهل جرش.<sup>1</sup> و قد بقي في أنعم إلى أن قاتلتهم عليه بنو غطيف من مراد ، فهربوا به إلى نجران ، فأقروه عند بني النار من الضباب، من بني الحارث بن كعب. و اجتمعوا عليه جميعا<sup>2</sup>. و يبدو أن بني أنعم و سائر عبدة هذا الصنم كانوا يحملون صنمهم معهم في غالب الأحوال عند قتالهم القبائل الأخرى، و في ذلك يقول الشاعر :

وَ سَارَ بِنَا يَعُوْتُ إِلَى مُرَادٍ      فَنَاجَوْنَاهُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ<sup>3</sup>

د - يعوق :

قال أبوالمندر: "و أجابت عمرو بن لحي همذان فدفعها إلى مالك بن مرثد بن جشم بن همذان يعوق فاتخذته خيوان<sup>4</sup> ، أي كان بقرية كان يقال لها خيوان تعبده همذان و من والاهها من أرض اليمن.<sup>5</sup> ولم أسمع همذان سمت به و لا غيرها من العرب، و لم أسمع لها و لغيرها فيه فيه شعرا. و أظن ذلك لأنهم قَرَبُوا من صنعاء و اختلطوا بحمير ، فدانوا معهم باليهودية أيام تَهَوَّد ذو نواس ، فتَهَوَّدوا معه".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> . ابن الكلبي : الأصنام ص 10-57 . و لسان العرب ج 2 ص 480

<sup>2</sup> . ابن الحبيب : المحبر ص 317 .

<sup>3</sup> . ياقوت الحموي : مجمع البلدان ج 8 ص 511.

<sup>4</sup> . خيوان أيضا هي بطن من همذان كما ذكر في سيرة ابن هشام ص 44.

<sup>5</sup> . ابن الكلبي : الأصنام ص 57.

<sup>6</sup> . نفسه ص 10.

## أوثان العرب

و قيل نقلا عن الزجاج أنه صنم كان لكنانة.<sup>1</sup> و أورد ابن هشام بيتا من الشعر فيه ذكر لهذا الصنم لمالك بن نمط\* الهمذاني ، إذ قال :<sup>2</sup>

يَرِيشُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَ يَبْرِي      وَ لَا يَبْرِي يَعُوقُ وَ لَا يَرِيشُ

ففي هذا البيت ينفي الشاعر قدرة الصنم "يعوق" على العون و المنفعة و دفع الضرر أو الشر. و معنى إسم يعوق يدلّ على الإعاقة و المنع، و لعلّ المقصود من التسمية منع الشر، فهو الحارس من الشرور، و هو على صورة فرس .

### هـ . النسر :

أحد الأصنام الخمسة التي ذكرت في القرآن الكريم ، والتي كان يعبدها قوم نوح عليه السلام. و كانت من نصيب رجل من ذي رعين يقال له مَعْدُ يَكْرَبُ بعد أن قسم عمرو بن لحي الأصنام التي جلبها و دعا إلى عبادتها. و كان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع ، تعبده حمير و من والاهما. و أنّه كان على هيئة الطائر فعلا .<sup>3</sup> و لقد ورد ذكره في النقوش القتبانية<sup>4</sup> و السبئية<sup>5</sup> و عبده الكلدانيون. كما عبده الآراميون في سوريا ممّا يدلّ على أنّ نسرا له عربي. و نسر هو neshar في العبرانية و هو صنم من أصنام اللحيانيين. و قد أشير في التلمود إلى صنم ذكر أنّ العرب كانوا يعبدونه إسمه نثررا و هو نسر .

<sup>1</sup> . ابن منظور : لسان العرب مادة عوق.

\* ابن هشام يسميه ابن نمط و جواد علي يسميه نبط الملقب بذي المعشار ج 6 ص 263.

<sup>2</sup> . ابن هشام : السيرة النبوية ص 44. يريش و يبرى من رشت السهم و بريته ثم استعير في النفع و الضر.

<sup>3</sup> . ابن الكلبي : الأصنام ص 58.

<sup>4</sup> . النقوش التي نشرها رودوكا راكيس،

<sup>5</sup> . النقوش التي ذكرها فلهوزن في شكل النسر الشرقي و الغربي . ممّا قد يشير إلى مجموعة الكواكب القريبة من المجرة.

### الملحق الثاني

#### أوثان العرب الأخرى :

إعتمدنا في ترتيب أوثان العرب الأخرى حسب شهرتها في المجتمع العربي قبل الإسلام.

#### 1. اللات:

و أصل الكلمة من لاته يليته إذا صرفه عن الشيء ك أنهم يريدون أن يصرف عنهم الشرّ، ويجوز أن يكون من لات يليت و ألت بمعنى النقص ، وقد ذكر ياقوت الحموي احتمالات أخرى لأصل الكلمة <sup>1</sup> . وقيل: "كانت صخرة مربعة ، وكان يهودي يلت عندها السوق" <sup>2</sup> . وذكر ابن الكلبي أنها كانت صخرة مربعة بيضاء، بنت ثقيف عليها بيتا صاروا يسيرون اليه يضاھون به الكعبة، و له حجة وكسوة و يحرمون واديه. و كانت سدانته لآل أبي العاص بن أبي يسار بن مالك من ثقيف أو لبني عتاب بن مالك . وكانت قريش و جميع العرب يعظّمونه أيضا، ويقرّبون إليه ، حتّى أن ثقيف كانوا إذا ما قدموا من سفر ، توجّهوا إلى بيت اللات أولا للقرّب إليه، وشكره على السلامة ثم يذهبون بعد ذلك الى بيوتهم. <sup>3</sup> ولم تكن صخرة اللات صخرة ملساء، بل كانت الى ذلك منقوشة، وكانت في داخل بيت فيه أستار على شاكلة الكعبة و الفناء هو حرم معظم عند أهل الطائف، تعظيم قريش لحرم البيت. حُرّم على الناس

<sup>1</sup> . معجم البلدان ج 5 ص 4.

<sup>2</sup> . أنظر الأصنام (ص 16 و ما بعدها )، البلدان ج 5 (مادة اللات ص 4-5) ، تاج العروس (1/580 وما بعدها) ، اللسان (2/388) ، الأزرقى : أخبار مكة (79 و ما بعدها).

<sup>3</sup> . الأصنام ص 16.

## أوثان العرب

قطع شجرة وصيد حيوانه , و من دخله صار آمنا<sup>1</sup>. وهي التي ذكرها الله تعالى فقال :

" أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا

قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣)".<sup>2</sup> واللات قرينة العزى

في قسم الجاهليين وقرينة مناة الثالثة الأخرى بنات الله -حسب زعمهم- و تسمى الربة. وقال

أوس بن حجر يحلف باللات و العزى ولكنه يقر بتفوق الله عليها :<sup>3</sup>

وَبِاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا وَبِاللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ مِنْهُنَّ أَكْبَرُ

و بناء على إعتقاد العرب أنّ الإله يحلّ بالحجر، حيث أخبرهم عمرو بن لحي فقال: "إن ربكم

يتصيف باللات لبرد الطائف ويشتو بالعزى لحرّ تهامة".<sup>4</sup>

وعلى الرغم من أنّنا نستطيع وصف اللات\* بأنها إلهة العرب الكبرى , إلا أنّ أصولها البعيدة

ليست عربية وإنما سامية<sup>5</sup>. فالإسم في شكله الأصلي هو إيلة أو إيلات. و عندما تبنى

العرب هذه الإلهة أدخلوا على الاسم سابقة التعريف "ه" أو "آل" فدعيت ها إلات أو

الإلات , ومنها جاء الإسم اللات بعد إدغام اللامين.<sup>6</sup> وفي هذا يقول المؤرخ الإغريقي

<sup>1</sup> . العرب في سوريا قبل الاسلام ،ص111 و ما بعدها.

<sup>2</sup> . سورة النجم :الاية 19-23.

<sup>3</sup> . ابن الكلبي:الأصنام ص17.

<sup>4</sup> . الأزرقى :أخبار مكة ص 125.

\* ذكر الطبري في تاريخه أن أصل الاسم "اللات" هو مؤنث اسم جلالة الله.

<sup>5</sup> . فراس السواح: موسوعة تاريخ الاديان .الجزء الثاني ص284.

<sup>6</sup> . نفسه ص 285.

## أوثان العرب

هيرو دوتس أنه من آلهة العرب الشهيرة .<sup>1</sup> فهذا الصنم هو أول صنم عربي يرد إسمه في

نص مؤرخ يوناني ، وهو يقابل الإله menerva أي أثينة Athene عند اليونان.<sup>2</sup>

ويذكر الباحثون أنّ النبط عدّوا اللات أمّا للإلهة وك إلهة للخصب و الحياة النباتية .

لم تصوّر في عصور ما قبل الميلاد في هيئة بشرية ، بل عبدت صخرة مربعة ترمز إليها .

ومن هنا جاء لقبها "كعبو" المستمد من شكل صخرتها . و خلال الفترة الرومانية تحوّل إسم

اللات الى "أترغان" أو "أترعتا" وهي الإلهة السورية الكبرى في العصر الروماني.و أخذ

الأنباط ينحنون لها التماثيل على الطريقة الرومانية .تُصوّرُها المنحوتات جالسة على العرش

يحفّ بها أسدان،وفي منحوتات أخرى نجد أوراق الشجر المثمر تغطي كثيرا من أجزاء

جسمها ،أو نجد سويقات القمح تنبعث من ر أسها ومن كتفها . أو نجدها تعتمر تاجا محاطا

بدائرة البروج.أو نجد دلفينين متقابلين على قمة الشال الذي يغطي ر أسها . فهي ربّة الشجر

و ربّة الحبوب وربة الدلفين الذي يرمز إلى الماء و ربّة الحظّ و البروج و ربّة الزمن

والفصول و الأجرام.<sup>3</sup> وهي في نظر روبرتسن سمث الإلهة الأم لمدينة بطرا و تقابل الإلهة

Artemis عند أهل قرطاجة.<sup>4</sup> وقد عبدت اللات في تدمر و في أرض مدين عند اللحيانيين.

اللحيانيين . نجد أفيانيوس Epiphanius يصف معبد الإلهة اللات في مدينة بطرا ، فذكر

أنّه معبد الأم العذراء Vergin Mother،و يظهر أن عبادتها كانت قد إنتقلت من النبط ومن

<sup>1</sup> . عن المفصل لجواد علي ج 6 ص 233.

<sup>2</sup> .المرجع نفسه.

<sup>3</sup> . أنظر فراس السواح : موسوعة تاريخ الاديان ص285.

<sup>4</sup> . عن المفصل لجواد علي ص 233



القبائل العربية الشمالية إلى أهل الحجاز.<sup>1</sup> وقد يكون العكس أي أنّ الأنباط القادمين من شبه الجزيرة العربية استقروا في المدينة لمملكة أدوم التي امتدّت فيما بين البحر الميت وخليج العقبة . إذ وفدوا و وفدت معهم آلهتهم التي عبدها في مواطنهم الأصلية وعلى رأسها اللات وذو الشرى.و الراجح أنّ اللات هي من آلهة العرب الكبرى ورأس الثالوث الإلهي المؤنث الذي يتألف من اللات و العزى ومناة. ومهما يكن فليق اللات التي كانت في الطائف هدمت<sup>2</sup> بعد الاسلام و أخذ المغيرة مالها و حلّيها من الذهب و أعطاهها أبا سفيان ،فأخذه منه ليقضي من مال اللات دين عروة و الأسود بن مسعود.<sup>3</sup>

### 2 . العزى:

والعزى مثل اللات و مناة ذكر عدد من المستشرقين<sup>4</sup> أنّها من الآلهة المعبودة عند عرب العراق و عرب بلاد الشام وعند النبط و الصفويين ، وأوجدوا لها علاقة مع أفروديتي ،مما حمل على الاعتقاد بأنّ العزى كانت نجمة الصباح أو الزهرة أو عششروت أو القمر.لكن لا يوجد دليل يشير إلى أنّ العزى التي عبدها عرب الشمال هي نفسها العزى التي عظمتها قريش. والراجح أنّها إلهة أنثى عرفت عند عرب الحجاز و إسمها مشتق من العزّة أي القوّة والرفعة.وتختلف الروايات في ماهية العزى ، فالرواية الأولى هي ثلاث سمرات في بطن نخلة

<sup>1</sup> . نفسه ص نفسها .

<sup>2</sup> . ولهدم اللات خبر مفصل في أديان العرب لعلي الجارم ص145-150.

<sup>3</sup> . ابن هشام:السيرة ج 2 ص326.

<sup>4</sup> . لكيسحاق الأنطاكي في القرن الخامس -بروكو بيوس.

كما يقول ياقوت الحموي<sup>1</sup> و ابن الكلبي<sup>2</sup>. أما الرواية الثانية كما ذكرها ابن حبيب في المحبر أنّ العزى شجرة بنخلة عندها وثن بني عليه بيت تعبده غطفان. بينما أورد الطبري في تفسيره أنّها كانت على هيئة حجر أبيض. ولكننا نعتقد أنّ هذه الإلهة قد مثّلت بحجر ش أنها شرّان اللات. وأنّ الشجيرات في بيتها كانت شجيرات مقدّسة ترمز إلى وظيفة الإلهة الإخصابية. ويقول ابن الكلبي: " ولم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظّمون شيئاً من الأصنام إعظامهم العزى. وكانت قريش تخصّها دون غيرها بالزيا رة والهدية وثقيف تخصّ اللات".<sup>3</sup> و بلغ فخرهم بها أنّ أبا سفيان ردّ على أصحاب الرّسول (ص) حين قال : " لنا العزى ولا عزى لكم".<sup>4</sup> و ذهب الأزرقى إلى أنّ العزى كانت ثلاث شجرات سمرا ت في وادي نخلة ، و أنّ أوّل من دعى إلى عبادتها عمرو بن ربيعة و الحارث بن كعب وأنّ قريشا و بني كنانة كانت كلّها تعظّم العزى مع خزاعة وجميع مضر ، وسندتها بنو شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم.<sup>5</sup> يقول درهم بن زيد الأوسى في العزى:<sup>6</sup>

إِنِّي وَ رَبُّ الْعَزَى السَّعِيدَةَ وَ اللَّهَ الَّذِي دُونَ بَيْتِهِ شَرَفُ

وكان في من يتقدّم إلى العزى بالندور و الهدايا والد خالد بن الوليد ، فقد ذكر خالد أنّ والده كان يأتي العزى بخير ماله من الإبل و الغنم ، فيذبحها للعزى و يقيم عندها ثلاث ة أيام .

<sup>1</sup> . معجم البلدان مادة العزى ص116 -الطبقات لابن سعد ج 2 ص 135.

<sup>2</sup> . الاصنام ص25.

<sup>3</sup> . نفسه ، ص 18.

<sup>4</sup> . ابن هشام :السيرة النبوية ، ص.

<sup>5</sup> . الأزرقى :أخبار مكة ج1 ص 74-75.

<sup>6</sup> . ياقوت الحموي :معجم البلدان ج4 ص116.

## أوثان العرب

وقد وُضع لها حمى بسعب من وادي حُرّاض يقال له سُقام<sup>1</sup> يضاهاون به حرم الكعبة. و كانت قريش تطوف بالكعبة وتقول: و اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فإنهن الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لثرتجى. وكانوا يقولون بنات الله عزوجل و هنّ يشفعن إليه.<sup>2</sup> وقد جاء في الأصنام أنّ العزى هي أحدث من اللات ومناة عبادة. و كانت العرب و قريش تسمي بها عبد العزى. وكان لها منحر ينحرون فيه هداياهم يقال له الغبغب<sup>3</sup>. فله يقول الهذلي وهو يهجو رجلا تزوج امرأة جميلة يقال لها أسماء:<sup>4</sup>

لَقَدْ أَنْكِحْتُ أَسْمَاءَ لَحِي بُقَيْرَةَ      مِنْ الْأُذْمِ أَهْدَاهَا إِمْرُؤُ مِنْ بَنِي عَنَمِ  
رَأَى قَدْعًا فِي عَيْنِهَا إِذْ يَسُوقُهَا      إِلَى غَبْغَبِ الْعُزَّى، فَوَضَعَ فِي الْقِسْمِ

فلم تنزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيّه (ص) فعابها و نهاهم عن عبادتها . و هدمها خالد بن الوليد في عام الفتح.

### 3 . مناة :

وكان على ساحل البحر بين المدينة و مكة ، في موضع قُدَيْدٍ من ناحية المُشَلَّلِ على بعد أميال من المدينة. وهو أقدم أصنام العرب كلّها كما يقول ابن الكلبي<sup>5</sup> وهو ثالث ثلاثة من أصنام الحجاز التي كان لها التفوق على غيرها من الآلهة. و مناة كما نقل عن ابن الكلبي

<sup>1</sup>. في ذلك قول أبي جُنْدُبِ الهذلي في امرأة كان يهواها فذكر حلفها بها :

لَقَدْ حَلَقْتُ يَمِينًا غَلِيظَةً      بَفِرْعِ التِّي أَحْمَتُ فُرُوعَ سُقَامِ

<sup>2</sup>. ابن الكلبي: الأصنام ص19.

<sup>3</sup>. الغبغب بتكرير الغين المعجمة و الباء الموحدة وهو لغة في الغبغب المتدلي في عنق البقر وغيره. و الغبغب المنحر

بمنى وهو جبيل. وقيل هو بيت كان لمناف عن معجم البلدان ج4 ص 186.

<sup>4</sup>. المصدر نفسه ص21.

<sup>5</sup>. نفسه ص 13.

كانت صخرة لهذيل وخزاعة وكانت تشاركهما الأوس و الخزرج و غسان في عبادتها .فكانوا يحجّون ويقفون مع النَّاسِ المواقف كلّها ، ولا يحلقون رؤوسهم ، فإذا نفرُوا أتوا مناة<sup>1</sup> و حلقوا رؤوسهم عندها . وأقاموا عندها يذبحون لها ، و لا يرون لحجّهم تماما إلاّ بذلك<sup>1</sup> . وكان أهل يثرب يطوفون حولها.<sup>2</sup> سمّيت مناة نسبة لدماء النسائك (الذبائح ) التي كانت تمنى عندها أي تراق.<sup>3</sup> ولإحتمال آخر أنّهم كانوا يستمطرون<sup>4</sup> عندها الأنواء تبركاً بها.و يتبيّن من ذلك أنّ هذا الموضع كان مكانا مقدّسا . و قد خصص بإله ينشر السحب و يرسل الرياح فتأتي الأمطار لتغيث النَّاسِ، و إنّ لهذا الإله صلة بالبحر و بالماء .ولذلك أُقيم معبده على ساحل البحر.<sup>5</sup> ولعلّ معنى مناة أيضا من المنا و هو القدر و يجوز أن يكون من المنا وهو الموت أو من مناه الله أي إبتلاه.<sup>6</sup> ويذكر موسكاتي Moscati أنّ "مناة كانت من آلهة النبط أيضا و يسمونها (منوتو) كما في نقش رقاش النبطي... وكانت معروفة لدى أهل تدمر يسمونها (منوت)...و نجد إسمها أيضا في بعض الأعلام ال نشودية مثل عبد منت (عبد مناة ) في نقش رقاش النبطي... وأس منت (أوس مناة...)<sup>7</sup> . و بعض الباحثين يرون يرون أنّ للإسم صلة ب (مناتا) Menata في لهجة بني إرم. و ( منا ) Mana في العبرانية

<sup>1</sup> . أنظر الأصنام ص14 و معجم البلدان مادة مناة ج5 ص204-205.

<sup>2</sup> . جواد علي :المفصل ج6 ص354.

<sup>3</sup> . تفسير الطبري ج 27 ص32.

<sup>4</sup> . في قصة الإستمطار بالأوثان ما ورد ذكره عن عمرو بن لحي لما أتى أرض الشام، فوجد أهلها يعبدون الأصنام فقال: ما هذه؟ فقالوا: نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو.فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة.

<sup>5</sup> . جواد علي :المفصل في تاريخ العرب ج6 ص247.

<sup>6</sup> . ياقوت الحموي :معجم البلدان ج5 ص205.

<sup>7</sup> . موسكاتي :الحضارات السامية القديمة ص369

## أوثان العرب

و جمعها ( منوت ) Manot لإسم الإله ( مني ) Meni.<sup>1</sup> و في إعظام الأوس و الخزرج لهذا الصنم إذ يقول عبد العزى بن وديعة المُنزي:<sup>2</sup>

إِنِّي حَلَفْتُ يَمِينَ صِدْقِ بَرَّةٍ      بِمِنَاةٍ عِنْدَ مَحَلِّ آلِ الْخَزْرَجِ

قد كانت القبائل تتجنب أن تجعل ظهورها على مناة إعظاما للصنم، و في ذلك يقول الكميت بن زيد الشاعر أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة :

وَ قَدْ آلَتْ قَبَائِلُ لَا تُؤَلِّي      مَنَاةَ ظُهُورَهَا مُتَحَرِّفِينَ<sup>3</sup>

وظلت مناة معظمة من قريش و سائر العرب إلى سنة ثمان للهجرة الموافق 630 م ، وهو عام الفتح ، حينما هدمها علي بن أبي طالب بلمر من الرسول ( ص ) وفي رواية للواقدي أنّ الذي هدم الصنم هو سعد بن زيد الأشهلي.<sup>4</sup>

### 4 . هبل :

وهو أعظم أصنام قريش<sup>5</sup> . وكان على بئر<sup>6</sup> في جوف الكعبة تجمع فيه الهدايا . وكان من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش فجعلوا له يدا من ذهب . وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر . وكان يقال له هبل

<sup>1</sup> . جواد علي : المفصل ج 6 ، ص 250 .

<sup>2</sup> . ابن الكلبي : الأصنام ص 14 . ومعجم البلدان ( مناة ) ج 5 ص 205 .

<sup>3</sup> . الفيروز بادى : تاج العروس ج 10 ص 351 .

<sup>4</sup> . ابن هشام : السيرة ج 1 ص 87 . وفي طبقات ابن سعد ج 2 ص 136 .

<sup>5</sup> . نفسه ص 86 . الأصنام ص 27 .

<sup>6</sup> . كان عمقها ثلاث أذرع حفرها إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام ليحفظ فيها ما يهدى إلى الكعبة وكانت تسمى الأخصف . عن ابن إسحاق في تاريخ الطبري ج 2 ص 211 .

خزيمة.<sup>1</sup> وهناك روايات تُنسب هبل إلى عمرو بن لحي، تقول أنه جاء به إلى مكة من موضع هيت من العراق.<sup>2</sup> ويقول المسعودي و ابن إسحاق أنه جيء به من البلقاء (منطقة مآب).<sup>3</sup> و كان على هيئة إنسان رجل. شرح ياقوت الحموي معناه فقال: "أظنه من الهابل أي كثير اللحم و الشحم أو من الـنكل أو من الهبل و هو الغنيمة".<sup>4</sup> وقد ذهب بعضهم إلى أنه من "الهبلّة" و معناها القبلة. و ذكر بعض آخر أنه من الهبيلي بمعنى الراهب.<sup>5</sup> و يرجع سبب إضطراب العلماء في معنى تسميته إلى أنه من الأصنام المستوردة من الخارج و التي حافظت على تسميتها الأصلية.<sup>6</sup> و يؤكد جورجى زيدان هذه الفكرة فيقول: "أنّ لفظ هبل لا اشتقاق له في العربية من معناه فهو غير مشتق من لفظ عربي.<sup>7</sup> وعندنا أنه عبراني أو فينيقي أصله "هبعل" ومعنى بعل السيد. والهاء في العبرية أداة تعريف مثل "أل" العربية. فبإضافة هذه الأداة إلى بعل يريدون الإله الأكبر. وأمّا العين الزائدة فسهل إهمالها بالتخفيف، ثمّ ضياعها بالاستعمال و خصوصا في لفظ بعل، لأن الكلدانيين كانوا يلفظونه ( بل ) بإهمال العين، وهو اسم هذا الإله عندهم. و ربما كانوا المؤابيون يلفظونها "هبل" فإذا صحّ التعليل اللغوي فلا يبقى شكّ في أنّ هبل هو بعل. و ذهب أورت (Oart) و دوزي (Dozy)

1. ابن الكلبي : الأصنام ص28.

2. الأزرقى : أخبار مكة ج1 ص27-68.

3. ابن هشام : السيرة ج1ص62. وابن منظور، اللسان ج11 ص686.

4. معجم البلدان ج3 ص391 مادة هبل .

5. ابن منظور : اللسان ج11 ص686. و الفيروزبادي: تاج العروس ج8 ص168 مادة هبل.

6. أنظر جواد علي المفصل ج6 ص252.

7. أنساب العرب القدماء لجورجى زيدان عن الاساطير العربية قبل الإسلام لعبد المعيد خان ص131.

## أوثان العرب

" إلى أنّ بعل الإسرائيلي هو هبل القرشي".<sup>1</sup>

و خلاصة ما قاله نولدكه أنّ بعل ليس عربيا بل أخذه العرب من جزيرة سيناء و عرفوه لفظا ومعنى.<sup>2</sup> ولتقديس العرب لمواطن الماء أَوْجِي هبل على بئر و يشير ذلك إلى أنّه كان له علاقة بالرزق و الخصب<sup>3</sup> في عقيدة العرب .و وضعه داخل الكعبة إعطاء له صفة القدسية القدسية .

وهبل هو الذي يقول له أبو سفيان بن حرب حين ظفر يوم أحد: أعل هبل، أي أعل دينك. فقال الرسول (ص): الله أعلى وأجلّ.<sup>4</sup> و حُطّم يوم الفتح ، كبقية الأصنام التي كانت حول الكعبة. وكان عند هبل سبعة أقدح ، أتوه العرب فلستقسما عندهمبالقداح ، فما خرج عملوا به و انتهوا إليه.<sup>5</sup> إذ قالوا:

إِنَّا إِخْتَلَفْنَا فَهَبِ السَّرَاحَا

ثَلَاثَةً، يَا هُبَلُ، فَصَاحَا

الْمَيْتَةَ وَ الْعُدْرَةَ وَ النَّكَاحَا

وَالْبِرَّ فِي الْمَرْضِ وَ الصَّحَا

<sup>1</sup>. عن الأساطير العربية لعبد المعيد خان ص 132

BY OART :the worships of belam in israel

<sup>2</sup>. نفسه ص نفسها.

<sup>3</sup>. أنظر المرجع السابق ص 134 . حيث يربط عبد المعيد خان بين معبودات بابل و آشور بإعتبارهما أقدم مصدر حضاري في المنطقة وبين العقائد العربية.

<sup>4</sup>. ياقوت الحموي : معجم البلدان ج3 ص 391 مادة هبل .

<sup>5</sup>. وقد ناقشنا هذه الفكرة سابقا ضمن عنصر النذور . أنظر ابن هشام السيرة ص 77 .و الأصنام ص 28.

إِذَا لَمْ تَقْلُهُ فَمُرِ الْقِدَاحَا<sup>1</sup>

وفيما روي أنّ عبد المطلب ضرب بالقداح بعد حفر زمزم بعد ما وجد الغزالين من ذهب و الأسياف القلعية والأدراع. ونازعته قريش عليها. فضرب صاحب القداح ، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة وخرج الأسودان على الأسياف و الأدراع لعبد المطلب وتخّف قدحا قريش. فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب. فكان أوّل ذهب حُلَيْته الكعبة، فيما يزعمون".<sup>2</sup> ونلمس من روايتين ضرب عبد المطلب للقداح أمام هبل أنّها عادة العرب في تمجيد صنمهم و إستشارته فيها دلالة على اعتقادهم أنّه الوسيط الإلهي الذي يدلّهم على الإجابة لكلّ تساؤلاتهم عن الغيب و يساعدهم في اتّخاذ قراراتهم . و في التراث إذا تردّد عربي أمام قرار عليه أن يتّخذه فكان يختار ثلاثة سهام فيكتب على الأوّل "سيدي يأمرني" و على الثاني "سيدي يمنعني" و على الثالث "لا شيء" ، ثمّ يضع السهام في جعبة ويسحب سهما وينقذ الأمر . وإذا سحب السهم الثالث يعيد السحب بالفرعة من جديد.<sup>3</sup> و من ذلك أنّ الاستقسام بالأزلام كان لغرضين: الأوّل إستشارة الإله الصنم بأمر من الأمور، و الثاني يختلف عن الأوّل كل الإختلاف وهو نوع من القمار ليس إلّا. يمارسونه عند الشدّة و الضيق.<sup>4</sup>

<sup>1</sup>. الأزرقى: أخبار مكة ص 74 ، و معجم البلدان ج3 ص 391 مادة هبل.

<sup>2</sup>. أنظر القصّة مطوّلة في السيرة لابن هشام ص75.

<sup>3</sup>. محمود سليم الحوت: في طريق الميثولوجيا عند العرب ص97. وفي معجم الأعداد-رموز ودلالات- جان م صدقه ، مكتبة لبنان ناشرون ط1 1994 ص91.

<sup>4</sup>. أنظر تفصيل الفكرة في الميثولوجيا عند العرب لسليم الحوت ص142-143 الذي أخذ أفكاره من رسالة الميسر و القداح لابن قتيبة.



### 5. إساف ونائلة:

صنمان كان بمكة عبدتهما العرب وكانوا ينحرون و يذبحون عندهما. قال ابن أسحاق: وهما إساف بن بغاء ونائلة بنت ذئب\*<sup>1</sup>. ففي الرواية العربية أنّهما في الأصل رجل وامرأة فسقا فمسخا حجّرين، فأخرجا من الكعبة و نصب أحدهما على الصفا و الآخر على المروة. وإثما نصبا هناك ليعتبر بهما الناس ويزدجروا عن مثل ما ارتكباه، ويرون الحال التي صارا إليه<sup>2</sup>. فلم يزل الأمر يُدرس و يتقادم حتّى صار يتمسّح بهما من وقف على الصفا والمروة. إلى عهد قصي بن كلاب فحوّلها فجعل أحدهما يلصق بالكعبة و جعل الآخر في موضع زمزم وكان يطرح بينهما ما يهدى للكعبة، وكان يسمى ذلك الموضع الحطيم، و كان ينحر عندهما<sup>3</sup>. وذكر اليعقوبي أنّ إساف و نائلة وضعوا كلّ واحد منهما على ركن من أركان البيت ، فكان الطائف إذا طاف بدأ بإساف فقبّله و ختم به ، و نصبوا على الصفا صنما يقال له "مجاور الريح " وعلى المروة صنما يقال له "مطعم الطير"<sup>4</sup>. و نلمس من هذا القول أنّ هذه الأصنام وُضعت في أماكن خاصّة لتحديد مواضع شعيرتي الحجّ والعمرة فتحوّلت وظيفتها إلى العبادة و الذبح عليها.

\*. وقد اختلفت في أسماءهما أغلب رواة الحادثة. ففي السيرة قيل إساف بن بغي و نائلة بنت ديك. و في الملل للشهرستاني إساف بن عمرو و نائلة بنت سهيل. و في الأغاني أساف بن سهيل و نائلة بنت عمرو بن ذئب.

<sup>1</sup>. ياقوت الحموي: معجم البلدان ص170.

<sup>2</sup>. فقصة الفسق في الكعبة فهي -في رأينا- قصة موضوعة فكيف لشخصين أقبلا للحجّ أن يفجرا بمكان مقدّس. وهل ضاقت بهما البلاد و ما وجدا إلا الكعبة. و الراجح أنّ هذه الحكاية من نسج القبائل العربية خاصة أن الصنمين يشبهان في شكلهما رجلا و امرأة. كما ينسبهما الرواة إلى قبيلة جرهم و ما تداول عن فسقهم في الحرم و إخراجهم من مكة.

<sup>3</sup>. الأزرقى : أخبار مكة ج1 ص44 و ج2 ص18.

<sup>4</sup>. تاريخ اليعقوبي ج1 ص224.

## أوثان العرب

ونجد أبا طالب وهو يحلف برب البيت عند الموضعين إساف و نائلة . حين تحالفت قريش على بني هاشم في أمر النبي (ص) فقال:

أَحْضَرْتُ عَنَّا الْبَيْتَ رَهْطِي وَمَعَشْرِي وَ أَمْسَكْتُ مِنْ أَنْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ

وَ حَيْثُ يُنِيخُ الْأَشْعُرُونَ رِكَابَهُمْ بِمَفْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَ نَائِلٍ<sup>1</sup>

وقد ورد ذكر إساف و نائلة في قصة حفر زمزم. بعد الرؤيا التي رآها عبد المطلب وهي كما يرويها ابن هشام: "فعاد عبد المطلب و معه ابن هارث ، وليس له يومئذ غيره، فوجد قرية النمل، و وجد الغراب ينقر عندها بين الوثنيين إساف و نائلة اللذين كانت قريش تتحر عندهما ذبائحها.<sup>2</sup> و يرى سميث أن التضحية و إراقة الدماء على الصنمين هو تكفير عن الذنب. و مع مرور الزمن يصبح مرتكبه شفيعا أو وليا. <sup>3</sup> و الأرجح أن الصنمين وُضِعَا خصيصا لتحديد موضع شعيرة الطواف أو لذبح الهدى، و جاء زمان على العرب وجدوا أن هذين الصنمين يشبهان شكلي رجل وامرأة. خاصة أن العرب آمنوا بالمسخ وهي حالة عقابية للأشخاص إذا خالفوا القوانين التي وضعها المجتمع و دين الحنفية ومنها قدسية البيت و تحريم الاتصال الجنسي في الحجّ.

<sup>1</sup>. الأصنام ص29. الوصائل: البرود.

<sup>2</sup>. السيرة ص 75.

<sup>3</sup>. أنظر سميث:ديانات الساميين ص481-454-455.

### 6 . مناف:

وكان من أصنام العرب. و به كانت قريش تُسمي عبد مناف<sup>1</sup>. يذكره ابن الكلبي دون أن يحدّد مكانه أو من نصبه ، فيقول: ولم تكن الحِيضُ من النساء تدنو من أصنامهم ولا تمسّح بها ، إنّما كانت تقف ناحية منها.<sup>2</sup> و فيه يقول بلعاءُ بن قيس وهو الشدّاخ اللبثي :

وَقَرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ الطَّيْرُ مِنْهُ كَمُعْتَبِرِ العَوَارِكِ مِنْ مَنَافٍ<sup>3</sup>

يقول الطبري إنّّه كان أعظم أصنام مكة<sup>4</sup>. و قد كان معبودا بين عرب الشام ،حيث عثر على اسمه في كتابة دوّنها شخص اسمه (أبو معن) على حجر، توجّه به إلى الإله مناف ليؤمنّ عليه بالسعد والبركة. كما حفرت على الحجر صورة الإله مناف على هيئة رجل<sup>5</sup>. و قد عثر على كتابة وجدت في حوران ، ورد فيها إسم مناف مع إله آخر و ورد إسم مناف فيها على هذا الشكل (MN , PHA).وقد عثرعلى كتابة أخرى وجد فيها الإسم على هذه الصورة Manaphius. ممّا يدلّ على أنّ المراد بالإسمين شيء واحد هو الإله مناف.<sup>6</sup>

<sup>1</sup>. قال السهيلي في الروض الأنف ما نصه: عبد مناف (من أجداد الرّسول ص) كان يلقب "قمر البطحاء" فيما ذكره الطبري . وكانت أمه (حبيّ) قد أخدمته "مناة" وكان يسمى به عبد مناة ثمّ نظر "قصي" أبوهفراه يوافق عبد مناة بن كنانة فحوّله "عبد مناف". و في تاج العروس ج6 ص263: أن مناف إسم صنم أضيف إليه "عبد" كما يقولون عبد يغوث .  
<sup>2</sup>. الأصنام ص32.

<sup>3</sup>. نفسه ص نفسها و في معجم البلدان ج5 ص203.

<sup>4</sup>. الطبري في تاريخه. ج1 ص245.

<sup>5</sup>. في صورة رجل لا لحية له ينحدر على عارضيه شعر رأسه الصناعي المرموز به إلى الإلهة الشمس و حول جفنيه و حدقتيه خطّان ناعمان و يزيّن جيدهقلادة، كما ترى غالبا في تصاوير الآلهة السوريين و على صدره طيات رداءه.انظر

المفصل ج6 ص270 عن المشرق السنة24 العدد3 آذار 1933 م .ency :religi.1.p662.

<sup>6</sup>-جواد علي: المفصل:ج5 ص270.

### 7. ذو الخَلْصَة:

الخلصة في اللغة: نبت طيب الريح يتعلّق بالشجر ، له حب كعنب الثعلب و جمع الخلصة خَلَصٌ.<sup>1</sup> و ذو الخلصة بيت أصنام كان لدوس و خثعم و بجيلة و من كان ببلادهم من العرب بتبالة.<sup>2</sup> وقيل إسم البيت الخلصة و إسم الصنم ذو الخلصة. بحيث قال أبو القاسم الزمخشري في قول من زعم أنّ ذا الخلصة بيت كان فيه صنم نظرا لأنّ ذو لا يضاف إلّا إلى الأسماء.<sup>3</sup> و يذكر عبد المعيد خان أنّ بيت ذي الخلصة يشتمل على نصيين أحدهما مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج و ثانيهما شجرة الخلصة .<sup>4</sup> وكان سدنتها بنو أمامة من باهلة بن أعصر. وهناك روايات جعلت ذا الخلصة الكعبة اليمانية لختعم و منهم من سمّاها كعبة اليمامة، و البيت الحرام الكعبة الشامية .<sup>5</sup> فكانوا يعظّمونه ويهدون إليه و يلبسونه القلائد و يهدون إليه الشعير و الحنطة و يصبّون عليه اللبن و يذبحون له. وفيه يقول خدّاش بن زهير العامري لعثعث بن وحشي الخثعمي في عهد كان بينها فغدر به:

وَ ذَكَرْتُهُ بِاللّهِ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ      وَ مَا بَيْنَنَا مِنْ مُدَّةٍ تَذَكَّرَا

وَ بِالْمَرْوَةِ الْبَيْضَاءِ يَوْمَ تُبَالَةٌ      وَ مُحْبَسَةِ النُّعْمَانِ حَيْثُ تَنْصَرَا<sup>6</sup>

<sup>1</sup>. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج4 ص383، مادة الخلصة.

<sup>2</sup>. ابن الكلبي : الأصنام ص35-47.

<sup>3</sup>. المرجع السابق ج4 ص383.

<sup>4</sup>. الأساطير العربية ص121.

<sup>5</sup>. علي الجارم: أديان العرب ص136، و السيرة لابن هشام ج(1+2) ص86.

<sup>6</sup>. ابن الكلبي : الأصنام ص35. في معجم البلدان مادة الخلصة نجد لفظة مجلسة و الصحيح هو محبسة.

وفيه يقول امرؤ القيس لما استنقسم عند الصنم بالقداح ثلاث مرات ، فخرج الناهي:

لَوْ كُنْتُ يَا ذَا الْخَلْصَةِ الْمُؤْتُورًا      مِثْلِي ، وَكَانَ شَيْخُكَ الْمَقْبُورًا

لَ      مِ تَنْهَ عَن قَتْلِ الْعُدَاةِ زُورًا <sup>1</sup>

و قد هدم الصنم جرير البجلي و أحرق البيت، بعد أن اشتبك مع سدنتها و عبّادها بمعركة

عنيفة و أنشء مكانها مسجد العبالات بتبالة. <sup>2</sup> و قد بلغنا أنّ رسول الله(ص) قال : لا تذهب

الدنيا حتّى تصطكّ أليات \* نساء دوس على ذي الخلصة ، يعبدونه كما كانوا يعبدونه <sup>3</sup>.

و في هذه الرواية دلالة على عودة الوثنية في أواخر الزمان.

### 8 . ذو الشرى:

صنم بني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد. <sup>4</sup> وفي لسان العرب أنّ الشرى ما كان حول

الحرم وهو أشراء الحرم : نواحيه و جوانبه. <sup>5</sup> و حمى ذو الشرى هو شلّ من ماء مقدّس يهبط

يهبط من جبل. <sup>6</sup> و كان هذا الصنم عبارة عن حجر أسود غير مصقول يبلغ ارتفاعه أربعة

أقدام و عرضه قدمين و يستند الصنم إلى قاعدة مكسوّة بالذهب و بالرسوم التي توضّح

تقديم القرابين إليه. <sup>7</sup>

<sup>1</sup> . نفسه ص29. و قد سبق أن ذكرنا القصة في عنصر الشك في الآلهة.

<sup>2</sup> . نفسه ص35.

\* . الألية في لسان العرب : العجيزة أو ما ركب العجز من شحم و لحم ، جمعها أليات وألایا.

<sup>3</sup> . الأصنام ص36.

<sup>4</sup> . معجم البلدان ج3 ص330 مادة الشرى.

<sup>5</sup> . ابن منظور : لسان العرب ج14 ص428.

<sup>6</sup> . المصدر السابق ، ص نفسها.

<sup>7</sup> . الألويسي:بلوغ الإرب ج2 ص209.

و لهذا الصنم يقول أحد الغطاريف:

إِذَا لَحَلْنَا حَوْلَ مَا دُونَ ذِي الشَّرَى      وَ شَجَّ العِدَى مِنَّا خَمِيسُ عَرْمَرُمُ<sup>1</sup>

و اشتهرت عبادة "ذو الشرى" عند النبط ، حيث أقامت له معبدا ضخما في جرش. و كانت تقدم له القرابين في احتفالات في الخامس و العشرين من شهر ديسمبر من كل عام.<sup>2</sup> و قد ذكر الصنم في بعض الكتابات اليونانية التي عثر عليها في الأردن و التي يعود عهدها إلى سنة (116-117) أو (126-127) للميلاد.<sup>3</sup> يدلّ هذا على أنّه من الآلهة المعروفة بين العرب خاصة الشماليين. و ورد إسم (دشر) و (ذو شرا) في عدد من النصوص الصفوية "فهلّت و هدشر ثار لمن حولت" بمعنى "فيا اللات و ذو الشرى إثّارا ممّن يحوّل". ويقصد بـ (يحوّل) يحوّل شاهد القبر الذي كتبت عليه هذه الكتابة. كما ورد في عدد من الكتابات يرجو فيها أصحابها من هذا الإله أن ينعم عليهم بالسلامة و أن يتقبّل منهم أعمالهم.<sup>4</sup> وهذا ما يدلّ يدلّ على أنّ الصفويين و النبط اعتقدوا في عدد من الآلهة كاللات و ذي الشرى و مناة و رضى و شريع القوم (حامي القوم و إله القوافل).

### 9 . الفلّس:

و كان الفلّس صنم قبائل طيء و موضعه وسط جبل أجأ ، وهو تمثال على هيئة إنسان لونه أسود وله أنف أحمر ، وكانوا يعبدونه ويهدون إليه. ولا يأتيه خائف إلاّ أمن عنده ولا

<sup>1</sup>. ابن الكلبي: الأصنام ص38.

<sup>2</sup>. أنظر بلوغ الإرب ج2 ص209. و جواد علي:المفصل ج6 ص327.

<sup>3</sup> - عن المفصل ج6 ص327. R.vaux une nouvelle inscription au dieu arabique I .1951

<sup>4</sup>. جواد علي: المفصل ج 6 ص 328.

يُطرد أحد طريدة فيلجأ بها إليه إلا تركت له.<sup>1</sup> إلا مخفر الفليس.<sup>2</sup> ولعلّ هذه السمات المتمثلة في التشابه بين شكل الجبل و شكل الإنسان منبع ما حيك حوله من أساطير<sup>3</sup>، عن أصله و أنّه رجل في الأصل مسخ جبلا. فأجأ عند بعضهم رجل جُرهمي و كانت لجرهم السيادة في مكة قبل خزاعة.<sup>4</sup> و الفليس هو هفلس (ها-فلس) عند لحيان و قد تعبدوا له مع أصنام أخرى وردت أسماؤها في نصوصهم.<sup>5</sup> "كاليعوب" و "باجر" عبدها من دون الله . و يروي ابن دريد في هدم الفليس أنّه بعث رسول الله (ص) عليا رضي الله عنه ليهدمه سنة تسع للهجرة.

### 10 . الأقيصر:

هو تصغير أقصر. و هو صنم كان في الشام تعبده قضاة و لخم و جذام و عاملة و غطفان.<sup>6</sup> و بقية عرب الشام الذين لم يتنصروا. كانوا يحجّون إليه و يحلقون رؤوسهم

<sup>1</sup> ابن الكلبي : الأصنام ص59. و قد ذكر انه كان بنجد وسدنته بنويولان.

<sup>2</sup> هو مالك بن كلثوم بن ربيعة الشمجي المذكور في كتاب الأصنام بمخفر الفليس لأنّه أخفر ذمته و أعاد ناقة جارته التي دخلت حرم الفليس. وقد دعى عليه سادن الصنم رافعا يده إليه و هو يقول :

يا ربّ إن مالك بن كلثوم

و كنت قبل اليوم غير مغشوم

أنظر الأصنام ص61 القصة كاملة.

<sup>3</sup> وهو في بعض الروايات الأخرى رجل من العماليق. و يروي ياقوت الحموي أسطورة طريفة عن هذا الجبل الذي ينسب إليه (معجم البلدان ج1 ص123-127). فأجأ هو أصلا شيخ عظيم مديد القامة على خلق العاديين (بني عاد) و معه امرأة على خلقه يقال لها سلمى و هو أيضا جبل يقابله. و نلمس من هذه الأسطورة تشابها مع حكاية إساف و نائلة حيث مسخا حجرين. و الخلاصة أنها أساطير رمزية حكيت لتفسير مظاهر طبيعية لكي تكون لها وظيفة إعتقادية دينية.

<sup>4</sup> الأزرقى: أخبار مكة ص244-245.

<sup>5</sup> أنظر جواد علي : المفضل ج2 ص279.

<sup>6</sup> ابن الكلبي : الأصنام ص48.

عنده. فكان كلما حلق رجل رأسه ألقى مع كل شعرة قبضة من دقيق<sup>1</sup>. وهي عادة عند بعض

قبائل اليمن كذلك. إذ كانوا يحلقون رؤوسهم بمنى حيث يضع كل رجل على رأسه قبضة

دقيق و يجعلون ذلك صدقة<sup>2</sup>. و الدليل على ذلك ما جاء في بيت لزهير بن أبي سلمى<sup>3</sup> :

حَلَفْتُ بِأَنْصَابِ الْأَقْيَصِرِ جَاهِدًا      وَ سَحِقَتِ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَ الْقَمْلُ

وكانت عليه أنثاب و الناس حوله يلبون و يهللون. ولكننا لا نعرف ما إذا كان مجسداً أو

صنما لا شكل له كأغلب أوثان العرب. إلا أنه يبدو للصنم أنصاباً ينحر الناس عليه ذباحهم

التي يتقربون بها إليه ، و منه بيت شعر رواه ابن الأعرابي:

وَ أَنْصَابُ الْأَقْيَصِرِ حَيْثُ أَضَحَّتْ      تَسِيلُ عَلَى مَنَاكِبِهَا الدِّمَاءُ<sup>4</sup>

### 11. رضى :

و كتب في بعض الأحيان رضاء. ذكر بعض الرواة أنه صنم و بيت لبني ربيعة من تميم<sup>5</sup>.

و هو من بين الأصنام التي انتشرت بين العرب الشماليين بعد أن توارثوا عبادتها عن قوم

ثمود<sup>6</sup>. و ورد إسم هذا الصنم على هذا الشكل : رضى ، رضى ، هررضو ، ها- رضى ،

<sup>1</sup>. يذكر ابن الكلبي أنّ هوازن كانت تتناب حجاج الأقيصر فإن أدركت الموسم، قيل أن يلقي القرّة أي قبضات من دقيق ، قال أحدهم لمن يلقي: أعطني! فإني من هوازن ضارغ! و إن فاتته، أخذ ذلك الشعر بما فيه من قمل و الدقيق فخبزه وأكله و بذلك عيّرت هوازن و بنو أسد بأكل القرّة . عن الأصنام ص48.

<sup>2</sup>. الزبيدي: تاج العروس مادة قرر .

<sup>3</sup>. البيت من القصيدة الميمية و التي يسميها علماء الأدب المختارة . عن لسان العرب ج6 ص416 .

<sup>4</sup>. جواد علي : المفصل ج6 ص276.

<sup>5</sup>. ابن الكلبي : الأصنام ص30. ومعجم البلدان ج3 ص50.

<sup>6</sup>. ذكر ولفنسون في كتاب تاريخ اللغة السامية ص182 أنه ورد في الكتابات الثمودية إسم صنم يسمّى رضى أو رضى كما يتضح في الكتابات الآتية: ه ررض و . س ع . د . ل ه م . و ترجمتها يا رضى ساعد لهم أو ساعد شخصاً عرف بإسم لهم أو لهيم ( والهاء في صدر كلمة رضى جاءت مكان ياء النداء).



و يظنُّ أنه يرمز إلى كوكب .<sup>1</sup> و اختصت كلُّ من قبائل تميم و طيء بعبادته و ظلَّ الحال على ذلك حتى هدمه عمرو بن ربيعة بن كعب من تميم بعد إسلامه، و قال في ذلك :

لَقَدْ شَدَدْتُ عَلَى رُضَاءِ شَدَّةٍ      فَتَرَكْتُهَا تَلًا تُنَازِعُ أُسْحَمًا<sup>2</sup>

### 12 . الجلسد :

إسم صنم كان بحضر موت، لم أجد ذكره في كتاب الأصنام، لكنَّ ياقوت الحموي تكلم عنه في معجم البلدان.<sup>3</sup> وكانت سدنته بني سُكامة بن شبيب بن السكون من كندة . و كان للصنم حمى إذا دخلته الغنم، حرمت على أربابها وصارت ملكا للصنم.و كانوا يكلمون منه، و كان كجثة الرّجل العظيم وهو في صخرة بيضاء لها كراس أسود. و إذا تأمله الناظر رأى فيه كصورة وجه إنسان .<sup>4</sup> وهو من الآلهة التي ورد إسمها في الكتابات العربية الجنوبية.<sup>5</sup>

ذكره شاعر مجهول ضمن صورة تشبيهية:

فَبَاتَ يَجْتَابُ شَقَارَى كَمَا      بَيَّرَ مَنْ يَمْشِي إِلَى الْجَلْسَدِ<sup>6</sup>

و كان عبّاد هذا الصنم يتقربون إليه بذبح الذبائح و تلطّيخه بدمائها. وقد سقط هذا الصنم و كسرت عنقه يوم بعث النبيّ محمد (ص).

<sup>1</sup> . العرب في سوريا قبل الإسلام، ص135 عن جواد علي : المفصل ج6 ص269.

<sup>2</sup> . ابن الكلبي : الأصنام ص30.

<sup>3</sup> . أنظر معجم البلدان ج2 ص151 .

<sup>4</sup> . معجم البلدان ج2 ص151.

<sup>5</sup> . جواد علي : المفصل ج6 ص305.

<sup>6</sup> . الشقارَى : شقائق النعمان . و بيّز : أسر مطأطأ رأسه.

13 . نُهْمٌ :

صنم لمزينة و به كانت تُسمى "عَبْدَ نُهْمٍ" . كسره سادنه خزاعي بن عبد نهم و هو من مزينة من بني عداء وأعلن إسلامه و أنشأ يقول:

ذَهَبْتُ إِلَى نُهْمٍ لِأَذْبَحَ عِنْدَهُ      عَتِيرَةُ نُسُكٍ كَالَّذِي لُكِرْتُ أَفْعَلُ  
فَقُلْتُ لِنَفْسِي حِينَ رَاجَعْتُ عَقْلَهَا      أَهَذَا إِلَهٌ أَيْكُمْ لَيْسَ يَعْقِلُ؟<sup>1</sup>

14 . فَرَاضٌ :

صنم كان لسعد العشيرة وقيل أنّ اسمه فَرَاضٌ .<sup>2</sup> و قد حَطَّمه رجل منهم إسمه (دُبَاب) و هو من ( بني أنس الله بن سعد العشيرة). ثم وفد إلى النبي فأسلم و قال شعرا في ذلك، أشار فيه إلى هدمه ذلك الصنم:

تَبِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى      وَ خَلَفْتُ فَرَاضَ بِيَدَارِ هَوَانٍ  
شَدَّدْتُ عَلَيْهِ وَ شِدَّةً فَتَرَكْتُهُ      كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَالِدَهُرُ دُو حَدَثَانٍ<sup>3</sup>

و كانوا يذبحون له و يلطّخونه بالدم<sup>4</sup> حال جميع الأصنام المعبودة عند العرب في الجاهلية. الجاهلية.

15 . سَعْدُ :

قال ابن الكلبي: و كان لِمَالِكٍ و مِلْكَانَ ابني كنانة بساحل جدّة و في تلك الناحية صنم يقال

<sup>1</sup> . في معجم البلدان ج5 ص327: أبكم و نفسه في نهاية الإرب للألوسي. ومعنى البيت: الشاعر يتساءل عن من ليس يعقل حتى يرضى عقله بأن يكون الصنم إلهها .  
<sup>2</sup> . ياقوت الحموي : معجم البلدان مادة فَرَاضٌ . ج4 ص243.  
<sup>3</sup> . الألوسي : نهاية الإرب ج18 ص18.  
<sup>4</sup> . المصدر نفسه ج18 ص151.

له سَعْدٌ و كان صخرة طويلة<sup>1</sup>. و ذكر اليعقوبي " أنه كان لبني بكر بن كنانة ".<sup>2</sup> و ردّها في

الجمهرة إلى هذيل و من يليها فقال: " و كان في الجاهلية صنم يقال له سعد بساحل تهامة،

تعبده هذيل و من يليها و له حديث و به تسموا عبد سعد ".<sup>3</sup>

و ممّا يدلّ على أنّ النَّاس كانوا يتبرّكون به تسميت أبنائهم بإسمه، و كان هذا الصنم معبودا

في العربية الجنوبية. و ورد إسمه في كتابات النبط فدعي ب " سعدو"، كما ورد في كتابات

الصفويين.<sup>4</sup> و قد أورد ابن الكلبي عن هذا الصنم قصّة حيث يقول: " أقبل رجل منهم بإبل له

ليقفها عليه يتبرّك بذلك فيها. فلما أدناه منه نفرت منه، و كان يهراق عليه الدماء، فذهبت

في كلّ وجه و تفرّقت عليه. و أسف فنتاول حجرا فرماه به، وقال: لا بارك الله فيك إلها !

أنفرت عليّ إبلي! ثمّ خرج في طلبها حتّى جمعها و انصرف عنه و هو يقول :

أَتَيْنَا إِلَى سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا فَشَتَّتْنَا سَعْدُ، فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ

وَهَلْ سَعْدٌ إِلَّا صَخْرَةٌ بَتُّوفَةٍ مِنْ الْأَرْضِ لَا يُدْعَى لِعَيِّ وَلَا رُشْدٍ<sup>5</sup>

16. مجاور<sup>6</sup> الريح و مطعم الطير:

فقد وضعهما عمرو بن الحي عند الصفا و المروة<sup>1</sup>. الأوّل سمي نهيك نصب على الصفا

و الثّاني مطعم الطير نصب على المروة ، ربّما كان معناه أنّ الطير كانت تقترب منه فلا

<sup>1</sup>. الأصنام ص36.

<sup>2</sup>. اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . دار العراق ج1 ص225.

<sup>3</sup>. ابن دريد : جمهرة اللغة ، حيدر آباد، 1351 هـ ، مادة دسع.

<sup>4</sup>. جواد علي : المفصل ج 6 ص274.

<sup>5</sup>. الأصنام ، ص37.

<sup>6</sup>. سمّي مجاور الريح و مجاود الريح.

يعرض لها أحد أو أنّ النَّاس كانوا يضعون الحبوب عندهما لتأكلها الطيور<sup>2</sup>. و بما أنّ من شعائر الحجّ الطواف بالكعبة والسعي بين الصنم مجاور الريح على الصفا و بين مطعم الطير على المروة يؤدّي بنا إلى إحتمال أنّ الأصل في وضع الصنمين هو تحديد مسار السعي ثمّ تحولا إلى معبودين ، كما كان الحال بالنسبة لإساف و نائلة .

### 17. عُمَيَانِس:

و كان هذا الصنم ليطن من حَوْلَان يقال لهم الأَدْوْم و هم ( الأَسوم).<sup>3</sup> و فيهم نزل: " وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ".<sup>4</sup> وذلك لأنهم كانوا يقسمون له من أنعامهم و حروثهم قسما بينه و بين الله (عزّوجلّ) بزعمهم. فما دخل في حقّ الله من حقّ عُمَيَانِس، ردّوه عليه و ما دخل في حقّ الصنم من حقّ الله الذي سمّوه له، تركوه له.<sup>5</sup> و بالتّالي الصنم هو داعيها الرابع في هذه القسمة. ذكر محقّق كتاب الأصنام أبياتا ذكر فيها الصنم عميانس:

أَضَلَّ هُمْ صَنَمٌ هُمْ عَمُّ أُنْسٍ      لَكُنُوا إِذَا مَا الْغَيْثُ عَنْهُمْ اِحْتَبَسَ  
تَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِالذَّبَائِحِ      أَنْ يُمَطَّرُوا وَ أَعْظَمُ الْقَبَائِحِ<sup>6</sup>

<sup>1</sup>. الأزرقى : أخبار مكة ج1 ص13.

<sup>2</sup>. أخبار مكة ج1 ص73. والمحرر لابن حبيب ص 313.

<sup>3</sup>. الأصنام ص44 و معجم البلدان ص158 ج4.

<sup>4</sup>. سورة الأنعام الآية 136.

<sup>5</sup>. المصدر السابق ص43.

<sup>6</sup>. هامش الأصنام ص43 و هذا الشعر ذكره أحمد البدوي الشنقيطي في كتابه عمود النسب.

## أوثان العرب

و قد ورد ذكر هذا الصنم في خبر و فـخولان الذي قدم على رسول الله (ص) سنة عشر .  
إذ ذكر أنّ الرسول (ص) قال لهم: ما فعل عم أنس فقالوا: بشرّ و عزّ، أبدلنا الله به، و لو قد  
رجعنا إليه هدمناه.<sup>1</sup>

### 18 . سُعِير :

بصيغة التصغير، و قد كان هذا الصنم لعنزة\* و كانوا يزورونه و يطوفون حوله و يذبحون  
العتائر. و هذا ما بيّنه جعفر بن خلاس الكلبيّ ، عندما مرّ به على ناقته فنفرت الناقة من  
رؤية العتائر المصرّعة، فقال:<sup>2</sup>

نَفَرْتُ فُلُوصِي مِنْ عَتَائِرِ صُرَّعَتِ حَوْلِ السُّعَيْرِ تَرُورُهُ ابْنًا يَفْقُدُ

و السّعير النّار واللّهب، و لا أستبعد و جود صلة بين هذا المعنى و بين هذا الصنم. بأن  
يكون هذا الصنم ممثلاً للشمس.<sup>3</sup>

### 19 . عَائِم :

و كان لأزد السراة صنم يقال له عائِم. ورد اسمه في شعر لزيد الخير المعروف أيضا بزيد  
الخيّل الطائيّ:<sup>4</sup>

نُخَبِّرُ مَنْ لَأَقَيْتَ أَنْ قَدْ هَرَمَتْهُمْ وَلَمْ تَدْرِ مَا سِيَمَاهُمْ، لَا وَ عَائِمِ

<sup>1</sup> . نهاية الإرب ج18 ص82 - طبقات ابن سعد ج1 ص324 دار صادر .

\* . عنزة: وهي من القبائل التي تنزل بالحجاز و نجد حتى بادية الشام .

<sup>2</sup> . الأصنام :ص 41. و بلوغ الإرب ج2 ص210 .

<sup>3</sup> . تاج العروس ج3 ص 268(سعر)

<sup>4</sup> . الأصنام ص40 و الأغاني ج16 ص 57 .

### 20 . ذو الكفين:

صنم كان لدوس ثم لبني مُنْهَب بن دوس<sup>1</sup> و في الطبقات أنه لعمر بن حممة أحد حكام العرب في الجاهلية.<sup>2</sup> كان من خشب و قد أحرقه الطفيل بن عمرو الدوسي حين أسلم، فقال:

يَا ذَا الْكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عِبَادِكَ      مِيلَادُنَا أَكْبَرُ مِنْ مِيلَادِكََا

إِنِّي حَشَوْتُ النَّارَ فِي فُؤَادِكَ<sup>3</sup>

<sup>1</sup>. الأَصْنَام ص 37 ، السيرة م 1 ص 81.

<sup>2</sup>. طبقات ابن سعد، ج 4 ص 239

<sup>3</sup>. الأَصْنَام ص 37 . و في الطبقات لابن سعد استبدلت كلمة أكبر بأقدم . و إِنِّي حَشَوْتُ بِأَنَا حَشَشْتُ.

# قائمة المصادر و المراجع

## قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

- 1- إبراهيم شمس الدين : مجموعة أيّام العرب في الجاهليّة و الإسلام , دار الكتب العلمية
- 2- أبكار السقاف : الدين في شبه الجزيرة العربية , نشر الانتشار العربي بيروت لبنان , الطبعة الأولى , 2004 .
- 3- ابن الأثير, محمّد : الكامل في التاريخ , راجعه نخبة من العلماء , دار الكتاب العربي بيروت لبنان, الطبعة السادسة, 1986.
- 4- ابن الكلبي, أبو المنذر هشام : كتاب الأصنام , تحقيق أحمد زكي باشا , دار الكتب القاهرة مصر , الطبعة الخامسة , 2003.
- 5- ابن حبيب, أبو جعفر محمّد : المحبر , رواية أبي سعيد الحسن السكري , اعتنى بتصحيحه الدكتورة :إيلز لىختن شنتير , منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت لبنا
- 6 : المنمق في أخبار قريش، صحّحه وعلّق عليه خورشيد أحمد فارق، عالم الكتب بيروت، ط1، 1985.
- 7- ابن حزم , أبو محمّد علي الظاهري :الفصل في الملل والأهواء والنحل , وبهامشه الملل والنحل للإمام أبي الفتح الشهرستاني , المجلّد الثاني , دار الفكر .
- 8- ابن خلدون، عبد الرحمن:مقدمة ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي و الفهارس خليل شحادة ، مراجعة د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان، 2001.
- 9- ابن خلكان, أبو العباس شمس الدين : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ,تحقيق إحسان عباس , دار الثقافة بيروت لبنان , 1971 .
- 10- ابن دريد،أبو بكر محمد بن الحسن: الاشتقاق ،تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت، ط 1، 1991.



- 11- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني: العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت، د.ت.
- 12- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، تقديم إحسان عبّاس ، دار صادر بيروت لبنان، 1998
- 13- ابن سلام الجمحي ، محمّد : طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني 1943 .
- 14- ابن سيّدة، علي بن إسماعيل الأندلسي: المخصّص، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط 1، 1996.
- 15- ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله الدينوري : الشّعْر و الشعراء ، حقّقه وضبط نصّه و وضع حواشيه د. مفيد قميحة و أ. محمّد أمين الضّناوي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 2000.
- 16 : المعارف ، حقّقه ثروة عكاشة، دار المعارف القاهرة، ط1، د.ت.
- 17 : الميسر و القداح، نسخه وعلّق عليه ووضع فهرسه السيد محبّ الدين الخطيب، المطبعة السلفية، ط 2.
- 18: الأنواء في مواسم العرب ،دار الشؤون الثقافية بغداد، 1988.
- 19- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية و النهاية، مكتبة المعارف بيروت، 1990-1991.
- 20- ابن منظور : لسان العرب ،اعتنى بتصحيحه أحمد محمّد عبد الوهاب و محمّد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1999.
- 21- ابن هشام ،أبو محمّد عبد الملك : السيرة النبويّة ، دار الكتاب الجزائر ، 2010.
- 22- أبو ذؤيب ولفنسون : تاريخ اللغات السّامية ، دار القلم بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 1980.
- 23: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية و صدر الإسلام ، مطبعة الاعتماد مصر ، 1927.

- 24- أبو عمر يوسف بن عبد البر: الاستيعاب في أسماء الصحابة، دار الفكر للطباعة و النشر بيروت، 2006.
- 25- أحمد أمين : فجر الإسلام , دار الكتاب العربي بيروت لبنان .د.ت , د.ط .
- 26- أحمد أمين سالم: معام تاريخ العرب قبل الإسلام، مكتبة كريدية إخوان بيروت.
- 27- أحمد زكي كنون :المقدّس الدّيني في الشعر العربي المعاصر - من النكبة إلى النكسة نشر إفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب , 2006 .
- 28- أحمد كمال زكي : الأساطير ( دراسة حضاريّة مقارنة ) , دار العودة بيروت لبنان , الطبعة الثانية , 1979 .
- 29- أحمد محمّد البغدادي : محاضرات في الشرائع السامية (ما بين النهرين و اليهود و العرب قبل الإسلام ) , طبع على نفقة المؤلف , 2000 .
- 30 - أحمد محمّد عبيد : معجم أصنام العرب , دار الكتب الوطنية شعبة التبادل والإهداء أبوظبي, الطبعة الأولى , 2000 .
- 31- إريس جرخ: 25 عاما حفريات و أبحاث في اليمن 1978-2003، أصدره المعهد الألماني قسم الشرق مكتبة صنعاء.
- 32- إسماعيل محمّد عبد العاطي : الأسطورة والرّمز في الشّعْر العربي القديم , نهضة مصر للطباعة والنّشر والتوزيع , الطبعة الأولى , 2006 .
- 33- الأبشيهي , شهاب الدّين : المستطرف في كلّ فنّ مستظرف , شرحه ووضع هوامشه د. مفيد محمّد قميحة , دار الكتب العلميّة بيروت لبنان ,
- 34- الأزرقى , أبو الوليد محمّد : أخبار مكة و ما جاء فيها من الآثار , صحّحه وعلّق حواشيه و وضع فهارسه رشدي الصالح ملحق , نشر عبد المقصود محمّد سعيد خوجة المطبعة الماجديّة جدّة المملكة السعويّة , الطبعة الثانية , 2005 .
- 35- الأعشى، ميمون بن قيس: الديوان الكبير، تحقيق محمود إبراهيم الرضواني، وزارة الثقافة و الفنون و التراث قطر، ط1، 2010.

36- الأنباري، أبوبكر بن القاسم : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف مصر، ط 5، 1963.

37- الأسود بن يعفر النهشلي: الديوان، صنعه نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة و الإعلام العراق، سلسلة كتب التراث، د.ت ، د.ط.

38- الألوسي ، محمود شكري : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ،شرحه وصحّحه محمّد بهجة الأثري ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، 1314هـ.

39- الأسدي، بشر بن أبي خازم:الديوان،تحقيق عزّة حسن،

40- الأصفهاني ، أبو الفرج : الأغاني ،تحقيق إحسان عبّاس ، دار صادر بيروت لبنان الطبعة الثالثة ،2008.

41- الأصفهاني، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن، طبعة كراچي ،1961

42- البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل:البدء و التاريخ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1997.

43- البخاري،أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيحه، دار ابن كثير، طبعة جديدة مضبوطة ومصحّحة ومفهرسة، ط2، 2002.

44- البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، مطبعة الموسوعات مصر، ط 1، 1901.

45- الثعالبي،أبو منصور عبد الملك بن محمد: عرائس المجالس

- فقه اللّغة و سرّ العربية، تحقيق عبد الرزاق المهدي،دار إحياء التراث العربي

46- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر: كتاب الحيوان،وضع حواشيه محمّد باسل عيون السّود منشورات محمّد علي بيضون ، دار الكتب العلميّة بيروت لبنان ، الطبعة الأولى،

. 1998

47 :البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 7،

.1998

- 48:البرصان و العرجان، تحقيق محمد مرسي الخولي، مطبعة الاعتصام القاهرة، 1976.
- 49- الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير و أقيال اليمن (قصيدة) تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد و إسماعيل بن أحمد الجرافي، دار العودة بيروت، ط 2، 1978.
- 50- الخطيب التبريزي :شرح ديوان عنتره , قَدّمه و وضع هوامشه و فهارسه مجيد طراد, دار الكتاب العربي لبنان ,الطبعة الأولى,1992 .
- 51- الخنساء، تماضر : الديوان، شرح معانيه و مفرداته حمدو طماس ، دار المعرفة بيروت ، ط 2 ، 2004.
- 52- الدميري،محمد بن موسى:حياة الحيوان الكبرى ، تحقيق عبد القادر الفاضلي،المكتبة العصرية بيروت، د.ط، د.ت .
- 53- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس،تحقيق عبد الستار فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ،1965.
- 54- الزجاجي ، عبد الرحمن:الأمالي ،تحقيق و شرح عبد السلام هارون،دار الجيل بيروت ط1، 1987.
- 55- الزوزني، أبو عبد الله الحسين : شرح المعلقات السبع ,دار بيروت بيرو لبنان,1986.
- 56- السمؤال: الديوان، تحقيق و شرح عيسى سابا ، دار صادر بيروت،1951.
- 57- السهيلي، عبد الرحمن: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ، تحقيق و تعليق و شرح عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، 1967.
- 58- السكري ، أبو سعيد الحسن : شرح أشعار الهذليين , حقّقَه عبد الستار أحمد فراج , راجعه محمود محمّد شاكر, مكتبة دار العروبة القاهرة مصر .
- 59- الشبلي، بدر الدين محمّد : آكام المرجان في عجائب وغرائب الجان, بيروت،1988.
- 60- الشنفرى ، عمرو بن مالك الأزدي: لامية العرب، شرح و دراسة عبد الحلیم حفني،مكتبة الآداب القاهرة، ط 1، 2008.

- 61- الشهرستاني، الممل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، منشورات مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، 1968.
- 62- الشيخ أحمد مغنية: تاريخ العرب القديم، دار الصفاة بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1994.
- 63- الشيخ نسيب وهيبة الخازن : من الساميين إلى العرب، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، 1979 .
- 64- الطبري، أبو جعفر بن جرير: تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت، ط 3، 2008.
- 65: جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق فاروق أسليم، دار صادر بيروت لبنان، ط 1، 2005 .
- 66- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد: القاموس المحيط، تحقيق مكتبة تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، طبعة منقحة و مفرسة، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر بيروت، ط 8، 2005.
- 67- القالي، أبو علي إسماعيل: الأمايل، نشر مصطفى بن إسماعيل بن دياب، القاهرة، ط 3، 1953. و نسخة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.
- 68- القزويني، زكريا بن محمد الكوفي: عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط 1، 2000.
- 69- القلقشندي، : نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية بيروت، ط 2، 1980.
- 70- القرشي، : جمهرة أشعار العرب، طبعة بولاق، تحقيق البجاوي
- 71- المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران : معجم الشعراء، تحقيق فاروق اسليم ، دار صادر بيروت ، ط 1، 2005.
- 72- المرقشيين: ديوان المرقشيين ، تحقيق كارين صادر، دار صادر بيروت، ط 1، 1998.

- 73- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين : مروج الذهب و معادن الجواهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر بيروت لبنان ، الطبعة الخامسة ، 1973.
- 74 : أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة ، دار الأندلس ، ط2، 1966.
- 75- المفضل الضبي : المفضليات ، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر ، دار المعارف القاهرة مصر ، الطبع السادسة ، 1942.
- 76- المهلهل بن ربيعة : الديوان ، شرحه طلال الحرب ، دار العالمية.
- 77- الميداني : مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، 1955.
- 78- النابغة الذبياني : الديوان ، اعتنى بشرحه حمدو طماس ، دار المعرفة بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، 2005 .
- 79- النويري، شهاب الدين : نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية القاهرة، 1932.
- 80- الهذليين: الديوان، تحقيق أحمد الزين و محمود أبو الوفي، دار الكتب المصرية، 1965.
- 81- الهمذاني، الحسن: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الحوالي، مكتبة الإرشاد صنعاء ، ط1، 1990.
- 82- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخه ، تحقيق عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للطبوعات بيروت، ط 1، 2010.
- 83- امرؤ القيس: الديوان شرحه عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، 2004 .
- 84- أمية بن أبي الصلت: الديوان ، جمعه وحقّقه وشرحه د. سجع جميل الجبيلي ، دار صادر بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 1998.

- 85- أنستاس ماري الكرملّي: أديان العرب وخرافات , تحقيق وتقديم د.وليد محمود خالص , المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر بيروت لبنان , الطبعة الأولى , 2005.
- 86- أنور أبو سويلم : المطر في الشّعر الجاهلي , دار الجيل , الطبعة الأولى , 1987
- 87- أوس بن حجر: الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت.
- 88- بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهليّة و صدر الإسلام , دار الجيل بيروت لبنان , طبعة جديدة منقّحة مشروحة و مفهرسة , 1989 .
- 89 :تاريخ آداب اللّغة العربيّة (الجزء الأول ) تقديم إبراهيم صحراوي , موفم للنّشر , طبع المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعية الجزائر , 1993 .
- 90- بهجة عبد الغفور الحديثي : دراسات نقدية في الشعر العربي , المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية مصر , 2004 .
- 91- تأبط شرا: ديوانه و أخباره، جمع و تحقيق و شرح عليّ ذو الفقار شاكّر، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1984.
- 92- توفيق فهد : الكهانة العربيّة قبل الإسلام , ترجمة حسن عودة و رندة بعث ,شركة قدمس للنشر والتوزيع بيروت لبنان , د.ت , د.ط .
- 93- ثناء أنس الوجود : رمز الماء في الأدب الجاهلي , دار قباء للطباعة والنّشر والتّوزيع القاهرة مصر , 2000.
- 94- جرجس داود : أديان العرب قبل الإسلام و وجهها الحضاري والاجتماعي , مجد المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتوزيع بيروت لبنان , الطبعة الثالثة , 2005 .
- 95- جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام , علّق عليه د.حسين مؤنس, دار الهلال , د.ت .
- 96- جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام, دار العلم للملايين بيروت لبنان , الطبعة الأولى , 1970.
- 97- جواد مطر الموسوي : الميثولوجيا و المعتقدات الدينية ، رند للطباعة والنشر والتوزيع دمشق سوريا ، الطبعة الأولى ، 2010 .

- 98- حاتم الطائي :الديوان ،دار صادر بيروت، 1981.
- 99- حسان بن ثابت: الديوان ،دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ت.
- 100- حسن نعمة: ميثولوجيا و أساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني بيروت ،  
1994.
- 101- حسين الشيخ : العرب قبل الإسلام , دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر ,  
د.ت
- 102- حسين العودات: العرب النصارى عرض تاريخي ، الأهالي للطباعة و النشر و  
التوزيع دمشق ، ط 1، 1992.
- 103- حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) , دار الجيل  
بيروت لبنان , د.ط ,د.ت .
- 104- خزعل الماجدي : أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ , دارالشروق للنشر عمان الأردن ,  
الطبعة الأولى , 1997 .
- 105 : الأسطورة و المعنى- دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية -  
دار علاء الدين دمشق سوريا , الطبعة الثانية , 2001.
- 106- خليل أحمد خليل : مضمون الأسطورة في الفكر العربي ,دار الطليعة بيروت لبنان ,  
الطبعة الثالثة , 1986.
- 107- خليل عبد الكريم : العرب والمرأة - حفرة في الإسطير المخيم - سينا للنشر القاهرة  
مصر , الطبعة الاولى , 1998 .
- 108- درنية عاقل:تاريخ العرب القديم و عصر الرّسول، طبعة دار الفكر بيروت،  
ط3، 1975 .
- 109- ذو الإصبع العدواني :جمعه و حقه عبد الوهاب محمد العدواني و محمد نائف  
الدليمي، مطبعة الجمهور الموصل، 1973.



- 110- نو الرمة : الديوان , قدّم له وشرحه أحمد حسن بسّج , دار الكتب العلميّة بيروت لبنان , الطبعة الأولى , 1995 .
- 111- رفائيل نخلة اليسوعي : غرائب اللغة العربية، دار المشرق بيروت، د.ت.
- 112- رينيه ديسّو: العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواحلي، راجعه محمد مصطفى زيادة ،لجنة التأليف و الترجمة و النشر القاهرة،1959.
- 113- ريتا عوض : بنية القصيدة الجاهليّة للصورة الشعريّة لدى امرئ القيس , دار الآداب ط 1 ، 1992.
- 114- زهير بن أبي سلمى: الديوان ,شرحه حمدو طمّاس , دار المعرفة بيروت لبنان,الطبعة الثانية, 2005.
- 115- سعد الخادم : الفنّ الشعبي والمعتقدات السحرية , مكتبة النهضة المصرية , د.ت .
- 116- سعد زغلول عبد الحميد : في تاريخ العرب قبل الإسلام , دار النهضة العربية بيروت لبنان, 1976.
- 117- سعيد الغانمي: ينابيع اللغة الأولى، مقدمة إلى الأدب العربي منذ أقدم عصوره حتّى حقبة الحيرة التأسيسية،هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث الإمارات العربية المتحدة ، ط1، 2009.
- 118- سعيد بن فايز إبراهيم: العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية و مصر في ضوء النقوش العربية ،مكتبة الملك فهد الوطنية ، المملكة السعودية ، 2003.
- 119- سليم الحوت : في طريق الميثولوجيا عند العرب، دار النهار للنشر بيروت ، ط 3 ، 1983.
- 120- سميح دغيم: أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام , دار الفكر اللبنانيي بيروت لبنان, الطبعة الأولى , 1995 . الطبعة الأولى , 1992 . كلية التربية للبنات بجدة , 1998 .
- 121- سوزان بينكنى ستيتكيفيتش: أدب السياسة وسياسة الأدب, ترجمة د. حسن البنا عز الدين, الهيئة المصرية العامة للكتاب , 1998 .

- 122- شفيق معلوف: عبقر، مطبعة مجلة الشرق، 1936.
- 123- شوقي ضيف: العصر الجاهلي، دار المعارف القاهرة مصر، الطبعة 22.
- 124- صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 2003.
- 125- صاعد أحمد الطليلي: طبقات الأمم، بيروت، 1983.
- 126- طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، حيدرآباد، 1328هـ.
- 127- طرفة بن العبد: الديوان، شرحه محدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 2002.
- 128- طه حسين: في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق القاهرة، ط 3، 1933.
- 129- عاطف أحمد الدرابسة: قراءة النص الشعري الجاهلي في ضوء نظرية التأويل، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع اربد الأردن، الطبعة الأولى، 2006.
- 130- عبد الإلاه الصائغ: الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنيّة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1997.
- 131- عبد الرزاق الحسين: الصابئة قديما وحديثا، مكتبة الخانجي مصر، الطبعة الأولى، 1931.
- 132- عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شهاب الجامعة الإسكندرية، د.ت، د.ط.
- 133- عبد العزيز نبوي: دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة مصر الطبعة الثانية، 2003.
- 134- عبد الفتاح محمد أحمد: المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي (دراسة نقدية)
- 135- عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية و التطبيق، دار جرير للنشر والتوزيع عمان الأردن، الطبعة الأولى، 2009.

- 136- عبد الله جبريل مقداد : شعر يهود في الجاهلية وصدر الإسلام , دار عمار عمان الأردن, 1999.
- 137- عبد الله عفيفي : المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها , مكتبة الثقافة المدينة المنورة المملكة العربية السعودية , الطبعة الثانية , 1932 .
- 138- عبد المالك مرتاض : الميثولوجيا عند العرب دراسة لمجموعة من الأساطير و المعتقدات العربية القديمة , المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر , 1989 .
- 139: السبع المعلقات - مقارنة سيميائية / أنثروبولوجية لنصوصها - منشورات إتحاد الكتاب العرب , 1998 .
- 140- عبيد بن الأبرص : الديوان , شرحه أشرف أحمد عدرة , دار الكتاب العربي بيروت لبنان , الطبعة الأولى , 1994 .
- 141- عدي بن زيد العبادي : الديوان , حققه وجمعه محمد جبار المعبيد , طبع وزارة الثقافة والإرشاد بغداد العراق , 1965 .
- 142- عروة بن الورد: أمير الصعاليك،الديوان، دراسة و شرح و تحقيق أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية بيروت، 1998.
- 143- عفت الشرقاوي : دروس نصوص في قضايا الأدب الجاهلي , دار النهضة العربية بيروت لبنان , د.ت .
- 144- علي إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام - الجاهلية, الدولة العربية , الدولة العباسية-مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر, الطبعة السادسة , 2005.
- 145- علي البطل : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ( دراسة في أصولها و تطورها )، دار الأندلس بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1983 .
- 146- علي سامي النشار:نشأة الدين ( النظريات التطورية و المؤهلة ) مكتبة الخانجي مصر، 2005.
- 147- عماد علي الخطيب : الصورة الفنية أسطوريا دراسة في نقد و تحليل الشعرالجاهلي،

عيسى إسكندر المعلوف : مقدّمة عبقر ، الطبعة الثالثة.

148: الأسطورة معيارا نقديا ( دراسة في النقد العربي الحديث و

الشعر العربي الحديث )، جبهة للنشر و التوزيع عمان الأردن ، الطبعة الأولى ، 2006

149- عمرو بن كلثوم: الديوان، جمعه و حققه و شرحه إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط 1 ، 1991.

150- غسان عزيز حسين :ورقة بن نوفل مبشّر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عصره - حياته-شعره دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

151- فاروق خورشيد : أديب الأسطورة عند العرب ، مكتبة الثقافة الدّينية القاهرة مصر ، الطبعة الأولى، 2004 .

152- فتحي محمّد أبو عيانة : دراسات في جغرافية شبه جزيرة العرب ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر ، 1994 .

153- فراس السواح : موسوعة تاريخ الأديان (الكتاب الثاني) مصر-سوريا-بلاد الرافدين - العرب قبل الإسلام ، دار علاء الدّين دمشق سوريا ، الطبعة الأولى ، 2004.

154: دين الإنسان (بحث في ماهية الدّين ومنشأ الدّافع الدّيني )، دار علاء الدين دمشق سوريا ، الطبعة الرابعة ، 2002 .

155: مغامرة العقل الأولى - دراسة في الأسطورة ، سوريا ، أرض الرافدين - دار علاء الدّين دمشق سوريا ، الطبعة السابعة ، 1988 .

156- فليب حتّي: العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين بيروت ، ط 6 ، 1991.

157- فريزر، جيمس: الغصن الذهبي، ترجمة أحمد أبوزيد و صاحبيه، مطبعة الثقافة مصر، 1971.

158- قيس بن الخطيم : الديوان، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر بيروت.

159- كارل بروكلمان :تاريخ الأدب العربي ،أشرف على التّرجمة العربية أ.د محمود فهمي حجازي ،الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، 1993 .

- 160- كثير عزة : الديوان، جمعه و شرحه إحسان عباس، نشر و توزيع دار الثقافة بيروت لبنان 1971.
- 161- ليبيد بن ربيعة العامري : الديوان , دار صادر بيروت لبنان, د.ت .
- 162- لطفي عبد الوهاب يحيى : العرب في العصور القديمة ( مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام ) دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت لبنان , الطبعة الثانية , 1979-.
- 163- لويس شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، دار المشرق بيروت لبنان , الطبعة الثانية , 1989 .
- 164: شعراء النصرانية قبل الإسلام , دا المشرق بيروت لبنان , الطبعة الرابعة 1991.
- 165- محمد إبراهيم الفيومي : تاريخ الفكر الديني الجاهلي , دار الجيل بيروت لبنان , الطبعة الأولى , 1999.
- 166- محمد أركون : العلمنة والدين , دار الساقى بيروت , 1990.
- 167: الفكر الإسلامي نقد و اجتهاد، دار الساقى بيروت، ط 2، 1992.
- 168- محمد الخطيب : المجتمع العربي القديم (العصر الجاهلي) دار علاء الدين دمشق سوريا، الطبعة الثانية , 2008.
- 169- محمد توفيق أبو علي : صورة العادات و التقاليد و القيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية من القرن 6 - 9 هـ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة، 2007.
- 170- محمد حسين هيكل: حياة محمد، مكتبة النهضة المصرية مصر، ط 13، 1968.
- 171- محمد زغلول سلام : مدخل إلى الشعر الجاهلي ( دراسة في البيئة والشعر ) , منشأة المعارف الإسكندرية مصر , 1995.

- 172- محمد عبد المعين خان : الأساطير العربية قبل الإسلام ,مكتبة الثقافة الدينية القاهرة مصر , الطبعة الأولى , 2005.
- 173- محمد عبد المنعم خفّاجي :الحياة الأدبية في العصر الجاهلي , دار الجيل بيروت لبنان , ط1، 1992.
- 174- محمد عجينة : موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها ,دار الفارابي بيروت لبنان , طبعة جديدة منقحة , 2005
- 175- محمد فتوح أحمد : الحداثة الشعرية -الأصول والتجليات - دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع القاهرة مصر , 2006 .
- 176- محمد نعمان الجارم : أديان العرب في الجاهليّة , مطبعة السعادة مصر , ط الأولى.
- 177- محمود عرفة محمود : العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية و الدينية و أهم مظاهر حضارتهم , دار الثقافة العربية القاهرة مصر , 1998.
- 178- مرسيا إلياد : المقدّس والمدنّس , ترجمة عبد الهادي عبّاس , دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع سوريا الطبعة الأولى , 1988 .
- 179- مسلم بن حجاج: الصحيح،حققه نظر بن محمد الفريابي، دا طيبة،ط 1، 2006.
- 180- مصطفى صادق الرّافعي : تاريخ آداب العرب الجزء الأوّل , دار الكتب العلميّة بيروت لبنان،الطبعة الأولى , 2000.
- 181- مصطفى عبده : الوثنية والأديان , مكتبة مدبولي القاهرة مصر،الطبعة الثانية , 1999 .
- 182- مصطفى علي الجوزو: من الأساطير العربية و الخرافات، دار الطليعة للطباعة و النشر و التوزيع، ط 1، 1979.
- 183- موسكاتي، سببينيو: الحضارات السامية القديمة، ترجمة د. السيد يعقوب بكر ، دار الرقي بيروت ، ط 1، 2005.

- 184-ميغوليفسكي أ.س : أسرار الآلهة والديانات , ترجمة د. حسّان ميخائيل اسحق, دار  
علاء الدّين دمشق سوريا , الطبعة الثالثة , 2007.
- 185- نابغة بني شيبان: الديوان، شرح وتقديم عبد الله بن مخارق بن سليم، دار الكتاب  
العربي بيروت، 1995.
- 186-نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي ،طبعة نهضة مصر، ط 4، 1981.
- 187- ناصر الدّين الأسد: مصادر الشّعْر الجاهلي وقيمتها التاريخية ،دار المعارف القاهرة،  
ط 6، 1982.
- 188- نصرت عبد الرحمن : الواقع و الأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي , دار  
الفكر للنشر والتوزيع عمان الأردن , 1985.
- 189: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث،مكتبة الأقصى  
عمان الأردن، ط2، 1982.
- 190- نوادير المخطوطات، أسماء المغتالين، تحقيق عبد السلام هارون،مطبعة مصطفى  
البابي الحلبي و أولاده مصر، ط 2، 1973.
- 191- نور الدّين السد : الشعرية العربية (دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتّى  
العصر العباسي ) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر , 2007 .
- 192- نور الدّين طواليبي :الدّين والطّوقس والتغيّرات , ترجمة وجيه البعيني , ديوان  
المطبوعات الجامعيّة الجزائر , الطبعة الأولى , 1988 .
- 193-نورة الشمالان :أبو ذؤيب الهذلي حياته و شعره ،نشر عمادة شؤون المكتبات الرياض،  
1980.
- 194- نولدكه، تيودور: تاريخ القرآن، ترجمة وقراءة نقدية رضا محمد الدقيقي،دار النوادر  
قطر، ط2، 2011.
- 195- هدى بو فرحات : قصة و تاريخ الحضارات العربية , بيروت لبنان , 1998 .

- 196- هنري س عبّودي : معجم الحضارات السامية , نشر جروس برس طرابلس لبنان ,  
الطبعة الثانية, 1991 .
- 197-هيرودوت: تاريخه ,ترجمة عبد الإله الملاح , مراجعة أحمد السقاف , إصدار  
المجمع الثقافي أبو ظبي , 2001.
- 198- وحيد السعفي : القران في الجاهلية والإسلام , مؤسّسة الانتشار العربي تونس ,  
الطبعة الأولى . 2007 .
- 199- ورقة بن نوفل: مبشّر الرّسول صلى الله عليه و سلم عصره، حياته، شعره، جمع و  
تحقيق و دراسة غسان عزيز حسين، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 2002.
- 200- ول وايريل ديورانت : قصّة الحضارة (نشأة الحضارة الشرق الأدنى ) , ترجمة  
د. زكي نجيب محمود , الجزء الأوّل المجلّد الأوّل , دار الجيل بيروت لبنان , 1998.
- 201: قصّة الحضارة (عصر الإيمان ) الجزء 13-14 , ترجمة  
محمّد بدران , دار الجيل لبنان 1998 .
- 202- وليد مشوح : الموت في الشعر العربي السوري المعاصر (1950-1990),إتحاد  
الكتاب العرب دمشق سوريا, 1999.
- 203- وهب أحمد روميّة: شعرنا القديم و النقد الجديد , عالم المعرفة الكويت , 1996.
- 204- ياقوت الحموي , شهاب الدّين بن عبد الله : معجم البلدان , دار بيروت للطباعة و  
النشر لبنان، 1984.
- 205- يوسف حلاوي : الأسطورة في الشعر العربي , دار الحداثة بيروت لبنان , الطبعة  
الأولى, 1992.
- 206- يوسف شلّحد : البنى المقدّسة عند العرب قبل الإسلام وبعده , دار الطليعة للطباعة  
والنشر بيروت لبنان , الطبعة الأولى , 1996.
- 207- يونغ , كارل: الدين في ضوء علم النفس، ترجمة و تقديم نهاد خباطة ، دار العربي  
للطباعة و النشر و التوزيع دمشق، ط 1، 1988.



208- الكتاب المقدّس ،مكتبة الأنجلو المصرية.

### رسائل جامعيّة :

- دراجي سعيدي :أسطورة الغول في الشّعَر العربي قبل الإسلام - دراسة تحليليّة للصورة والزّمز -رسالة ماجستير ,جامعة يوسف بن خدّة الجزائر , 2004 -2005 .
- حلّيمة خالد رشيد صالح :الجنّ في الشّعَر الجاهلي , رسالة ماجستير , جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين , 2005 .
- صلوح بنت مصلح بن سعيد السريحي :الصورة في شعر الرثاء الجاهلي ,أطروحة دكتوراه - هالة الناشف : أديان العرب و معتقداتها في طبقات ابن سعد , رسالة ماجستير ,الدائرة العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت , 1972 .
- هزاع محمد عبد الله الحمادي:القرابين و النذور في الديانة اليمنية القديمة,رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآثار المصرية القديمة، جامعة القاهرة كلية الآثار قسم الآثار المصرية.

### مجلات :

- مجلة فصول مجلد3 عدد 3 أبريل 1981:
- د. إبراهيم عبد الرحمن: التفسير الأسطوري للشّعَر الجاهلي.
- د. أحمد كمال زكي :التفسير الأسطوري للشّعَر القديم.
- هوارية لولاسي ( جامعة مستغانم ) :المعتقد الديني في الشّعَر الجاهلي , حوليات التراث عدد :1 , سنة 2004 .
- المعرفة , الأسطورة والفكر الأسطوري (عدد خاص ) ,مجلة شهريّة تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي سوريا , العدد 197 السنة 1978.
- العادل خضر : الأدب عند العرب - مقارنة وسائطيّة - , منشورات كلية الآداب منوبة تونس , دار سحر للنشر تونس , الطبعة الأولى , 2004 .

# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

الصفحة	مقدمة
	الفصل التمهيدي: المعتقد - الأسطورة - الشعر ( المفاهيم و العلاقة )
1	المطلب الأول : المعتقد و الدين
6	المطلب الثاني : علاقة المعتقد بالأسطورة
9	المطلب الثالث : علاقة المعتقد بالشعر
	الفصل الأول: جغرافية بلاد العرب و تاريخهم
13	مدخل: الجاهلية (المعنى و الزمن)
	المبحث الأول : بلاد العرب
15	المطلب الأول : موقع بلاد العرب وأقسامها الطبيعية
17	المطلب الثاني: التعريف بالعرب
21	المبحث الثاني : طبقات العرب و دياناتهم القديمة
21	المطلب الأول: العرب البائدة
23	أ - عاد
25	ب ثمود
27	ت طسم و جديس
28	ث حضورا
29	ج العماليق
	المطلب الثاني : العرب العاربة
29	أ - دولة معين

31	ب - دولة قنبان
33	ت - دولة حضرموت
34	ث - دولة سبأ
36	ج - هدين
37	ح - دولة الحميريين
	<b>المطلب الثالث : العرب المستعربة</b>
40	أ - مملكة الحيرة
43	ب- مملكة الغساسنة
	<b>الفصل الثاني : الأديان السماوية في الشعر الجاهلي</b>
48	<b>المبحث الأول : الحنيفية في شعر ما قبل الإسلام</b>
48	<b>المطلب الأول : التعريف بالحنيفية</b>
50	<b>المطلب الثاني : الشعراء المتحنفون</b>
56	<b>المطلب الثالث : شرائع الحنيفية</b>
56	<b>أولاً : الحجّ في شعر الجاهلية</b>
57	أ - تعظيم الكعبة
61	ب - تعظيم الأشهر الحرم
63	ت - مناسك الحجّ قبل الإسلام
63	1. الطواف
67	2. الوقوف بعرفة
68	3. الإفاضة
73	<b>ثانياً : العمرة في شعر الجاهلية</b>

74	ثالثا : الاغتسال و الختان والاعتكاف
77	المبحث الثاني : اليهودية في الشعر الجاهلي
77	المطلب الأول : التعريف باليهودية
79	المطلب الثاني : تواجد اليهود في شبه جزيرة العرب
83	المطلب الثالث : علاقة اليهود بالعرب
89	المطلب الرابع : شعراء اليهود
94	المبحث الثالث : النصرانية في الشعر الجاهلي
94	المطلب الأول : التعريف بالنصرانية
96	المطلب الثاني : النصرانية في بلاد العرب
107	المطلب الثالث : الرموز المسيحية في الشعر الجاهلي
110	المطلب الرابع : صورة الرهبان في الشعر الجاهلي
	الفصل الثالث : الأديان الوضعية في الشعر الجاهلي
118	المبحث الأول : الوثنية في الشعر الجاهلي
118	مدخل : تعريف : الصنم،الوثن،النصب
123	المطلب الأول : نشأة الوثنية عند العرب
126	المطلب الثاني : الطقوس الدينية عند الوثنيين العرب
136	المطلب الثالث : الشكّ في الآلهة عند العرب
140	المبحث الثاني : الصابئة في شعر ما قبل الإسلام
140	المطلب الأول : التعريف بالصابئة

المطلب الثاني : إيمان العرب بالكواكب النيرة

- 146 أ. الشمس  
147 ب. القمر  
149 ت. الزهرة

المطلب الثالث : أساطير النجوم عند العرب

المبحث الثالث : الجنّ والملائكة في الشعر الجاهلي

المطلب الأول : اعتقاد العرب بالأرواح وطقوس اتقائها

المطلب الثاني : مراكب الجن وطعامهم ومراتبهم

المطلب الثالث : شياطين الشعراء

الفصل الرابع : معتقدات الأخرى في الشعر الجاهلي

المبحث الأول : الكائنات الخرافية في الشعر الجاهلي

المطلب الأول : صورة الغول و السعلاة في الشعر الجاهلي

1 - صفات الغول في شعر ما قبل الإسلام

2- قصص الغول في شعر الصعاليك

المطلب الثاني :أساطير الهاتف, الشقّ، التابع و النسناس

1-الهاتف

2 المشقّ

3 المتتابع

4- أسطورة النسناس في الشعر الجاهلي

المبحث الثاني : صورة الموت وما بعد الموت في الشعر الجاهلي

194	المطلب الأول : الروح و القول بالدهر
205	المطلب الثاني : البعث والحساب في شعر الموحّدين
210	المطلب الثالث : طقوس الدفن في الشعر الجاهلي
216	المبحث الثالث : أوابد العرب في الشعر الجاهلي
216	المطلب الأول : الكهانة , العرافة
221	المطلب الثاني : التطير
224	المطلب الثالث : طقوس العرب في الاستمطار
224	1 صورة المطر في الشعر الجاهلي
230	2-طقوس الاستمطار في الشعر الجاهلي
249	خاتمة
	ملحق: أوثان العرب
251	1- الأصنام المذكورة في القرآن الكريم
256	2- أوثان العرب الأخرى
282	- الملخصات ( عربي - فرنسي -إنجليزي )
-290	- قائمة المصادر والمراجع
308	- فهرس الموضوعات

## الملخص:

احتلت المعتقدات و العبادات و الطقوس الدينية حيزا كبيرا ومهما في حياة الجماعات الإنسانية. وما هذه الدراسة إلا وثيقة لإظهار هذا الموروث الفكري والمعتقداتي الذي تواتر عند العرب في فترة ما قبل الإسلام. فمن خلال تناولنا للشعر العربي بالتحليل والاستقراء استطعنا أن نكشف عن الواقع المعيشي والروحي الذي تميّز به المجتمع العربي الجاهلي.

## Résumé:

Les croyances, les cultes et les rituels religieux occupent une grande place dans la vie d'importants groupes humains. Cette étude ne documente pour montrer ce patrimoine intellectuel et convictionnelle qui était fréquent chez les Arabes dans la période préislamique. Grâce à l'analyse et l'extrapolation de la poésie arabe, nous avons pu dévoiler la réalité de la vie et le spirituel qui a caractérisé la société Arabe préislamique.

## Summary:

Beliefs, cults and rituals figure prominently in the lives of large groups of people. This study documents us to show that intellectual heritage and convictional which was recurrent among the Arabs in pre-Islamic period. Through analysis and extrapolation of Arabic poetry, we could unveil the reality of life and the spirit that characterized the pre-Islamic Arab society.